الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة جيلالي ليابس (سيدي بلعباس)

كلية الآداب واللغات والفنون قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في اللغة والأدب العربي

التخصص : صوتيات

بعنوان :

التغيرات الفونولوجية في أصوات القلقلة

دراسة صوتية وظيفية

أعضاء لجنة المناقشة :

أ.د/ طيبي أمينة	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
أ.د/ رفاس سميرة	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
أ.د/ درار مكي	جامعة وهران	مناقشا
أ.د/ منقور عبد الجليل	المركز الجامعي عين تموشنت	مناقشا
د. مسيردي مصطفى	جامعة سيدي بلعباس	مناقشا
د. هامل الشيخ	المركز الجامعي عين تموشنت	مناقشا

أعدها الطالب :
كبير بن عيسى

بإشراف الأستاذة :
أ.د. رفاس سميرة

السنة الجامعية : 2015 - 2016م

مقدمة

مقدمة

شغل الصَّوت الإنساني الباحثين منذ القِدَم، وقد تراكم عبر القرون كَمٌّ مُعتَبر من الدِّراسات، كان حظُّ اللِّسان العربي منها وافِرًا، وما أن أطَلَّ القرن العشرين حتى جاء دي سوسير ليُعلي من شأن المنطوق مُفضِّلاً إيَّاه على المكتوب، فمهَّد الطَّريق أمام الدَّرس الصَّوتي ليستقِلَّ بعلم يخصُّه هو علم الأصوات العام (الصَّوتيات) الذي عُنِي بتحليل الأصوات وتصنيفها، وبيان كيفية إنتاجها وانتقالها واستقبالها، وسُرعان ما راحت الكتابات في قضاياه تتوالى والنظريات المتصله به تترى.

ثم جاءت التقنيَّة لِتُعطي الدَّرس الصوتي دفعة قويَّة، وتمهره بطابع الدِّقة والرَّقمية، فتحرَّك بذلك الفضول العلمي لدى الباحثين، وبدأت شجرة الصَّوتيات تتفرَّع ومواضيعها تتشعَّب، وما لبث هذا العلم أن نسج شبكةً معرفيةً مُفيدًا من مُعطيات الفيزياء والطبيعيَّات، وعلم وظائف الأعضاء، وعلم التَّشريح.

وهكذا تأسَّست علوم أخرى تتَّصل بالصَّوت اللغوي: (الفونولوجيا) تدرُس وظائفه، و(علم الأصوات التاريخي) يرصُد التَّغيرات والتَّحولات اللاحقة به جرَّاء تطوُّره عبر الزَّمن، و(الصوتيات المقارِنة) تُوازن بين الظَّواهر اللُّغوية في الألسنة المختلِفة للوقوف على خواصها المشتركة، واستنباط الفروق والتقاطعات بين أنظمتها الصوتية، ليتسنَّى بذلك كشف القوانين العامَّة التي تحكمها.

ولم يتخلَّف دارسو اللِّسان العربي عن الرَّكب، فأخضعوا أصواته للبحث المخبري، وعقدوا المقارنات بين ما توصَّلوا إليه وما وصلهم عن المتقدِّمين، ونظروا في الظَّواهر الصوتية كُلًّا على حِدةٍ، وكانت القلقلة إحدى تلك الظَّواهر التي نالت من العناية نصيبها، وقد وجدت ضالَّتي البحثية فيها بما تُثيره من تساؤلات تستفِزُّ الدَّارس؛ مِن قَبيل: ما هي حقيقة القلقلة؟ وكيف تؤدَّى؟ وما هي مراتبها؟ وما هي الأصوات المعنية بها؟ وماذا عن مخارجها وصفاتها وآلية إخراجها؟ وكيف يُمكِن توجيه نصوص التراث التي وصفت بعض تلك الأصوات وصفًا يختلف والمعطيات الصوتية المعاصرة ؟ وما هي التَّغيرات اللاحقة بتلك الأصوات؟

أذكت هذه التَّساؤلات في نفسي الرَّغبة البحثيَّة، فطفِقْت أطوف بما حُرِّر من مقالاتٍ وكُتبٍ في هذا المقام إلا أنَّ جملةً من الإشكالات التي كانت في جَعبتي ظلَّت عالِقةً، وكثيرًا مما أُجيب عنه، عاد لِيطرَح أسئلةً جديدةً، أو يتضارب مع إجابات سابقة، وما صَفِي لا يتأتَّى إيجاده مجموعًا في موضعٍ واحدٍ لمن رامه من الدَّارسين. فاستشعرت الحاجة إلى إعادة البحث في موضوع القلقلة وما يتَّصل بها، بشكلٍ يجمع شتاتها ويَستوفي مباحثها، واندفعت مُزاحمًا بدَلوي دِلاء الماتحين، فوضعت دِراستي هذه مُعَنوِنًا إيَّاها بـ: (التغيرات الفونولوجية في أصوات القلقلة : دراسة صوتية وظيفية).

ولمُعالجة هذا الموضوع اعتمدتُ خُطَّةً قائمةً على خمسة فصول، مهَّدت لها بمدخلٍ؛ تناولت في مباحثه الخمسة: مفهوم القلقلة، وموضعها وأصواتها وطرق أدائها ومراتبها. وأفردت أول الفصول لصوت القاف، وثانيها للطاء، والثالث للجيم، والرابع للدال، والخامس لصوت الباء. وإنما راعيت هذا الترتيب في

الفصول نظرا للخلاف الواقع بين القدامى والمحدثين في مخارج وصفات الأصوات الثلاثة الأولى، مقارنة بالدال والباء اللذَين هما محل اتفاق بين الطرفين.

وأدرت جميع تلك الفصول على خمسة مباحث؛ أولها لبيان مخرج الصوت محل الدَّرس، والثاني للكشف عن صفاته، أما الثالث ففيه توضيح كيفية إخراج ذلك الصوت، وخصَّصت المبحثَين الأخيرين لتفحُّص أهمِّ التَّغيرات الطارئة على تلك الأصوات؛ وهما الإبدال والإدغام. وفي خاتمة دِراستي هذه، أجملت النتائج التي توصَّلت إليها.

وقد استَعَنتُ بثلاثة مناهج: المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الفيلولوجي، والمنهج الاستقرائي. أَفَدت من المنهج الوصفي التحليلي في حديثي عن مَخارج الأصوات، وصفاتها، وكيفية حدوثِها. وأفَدت من المنهج الفيلولوجي والمنهج الاستقرائي في تَتَبُّعِي لما لحِق تلك الأصوات من تغييرات، ومقارنتها بنظيراتها في قَريبات العربيَّة من اللُّغات.

وبما أنَّ القيمة المضافة لأي بحث علمي لا يُمكنُ تحصيلها إلا بعد استقراء تام ومسحٍ دقيقٍ واستيعابٍ واسعٍ للأدبيات التي أُنجِزَت في موضوعه تفاديًا للتكرار، ومُجانبةً للإغراق في التنظير المجرَّد. لأجل ذلك وجدتُني حريصًا على رصد ما طالته يدي من دراسات قديمة وحديثة تَتَّصِل بموضوع بحثي، حتى أُقدّم صُورةً وافيةً عنه.

وقد اقتضى ذلك تنويع مكتبتي البحثية؛ فجاءت كُتب اللُّغوِيِّين والقُرَّاء القُدامى في مُقَدِّمتها، إذ لا مناص من الرُّجُوعِ إلى أقدم النُّصوص المكتوبة ليتأتَّى وصف أصوات العربية، ولم أُغفِل دِراسات المُحدَثين من عَرَبٍ ومُستعرِبين، لأنَّها أفادت

من التَّراكُم المَعرِفي، وأُتيحَت لها وسائلُ مخبرِيَّةٌ لم تُتَح للمُتقدِّمين؛ فجاء بعضُ تلك الدِّراسات ناقدًا، والبعضُ الآخرُ شارِحًا ومُبَيِّنًا.

وأهمُّ كتب المتقدِّمين التي رافقت بحثي هذا: (كتاب العين) للخليل، و(الكتاب) لسيبويه، و(المقتضب) للمبرد، و(رسالة أسباب حدوث الحروف) لابن سينا، و(الرعاية) لمكي بن أبي طالب، و(شرح الشافية) للرضي الإستراباذي، و(جهد المقل) للمرعشي.

ومن المحدثين: (الأصوات اللغوية) لإبراهيم أنيس، و(علم الأصوات) لكمال بشر، و(المدخل إلى علم اللغة) لعبد التواب رمضان، و(اللغة العربية: معناها ومبناها) لتمام حسان، و(الأصوات اللغوية: رؤية عضوية) لسمير شريف أستيتية، و(الدراسات الصوتية عند علماء التجويد) لغانم قدوري الحمد، و(الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات) للنيرباني.

وأعترِفُ أنَّني كنت أسلك دروبا صعبة، وأنه كثيرًا ما اعترضتني عوائق تحول بيني وبين إدراك الحقيقة، فربما وقفت في المبحث الواحد أكثر من شهر، أُقلِّب النَّظر فيما تضارب من الأقوال، وأحاول تخريجها ما أمكنني، أو رَدَّها بحُجج مُؤسَّسة. وربما استهوتني شهوة البحث، فأحببت أن أُشرِك القُرَّاء في كل ما وقفت عليه من فوائد، فكنت أجد من المُشرِفَة: الأستاذة الدكتورة (رفاس سميرة) ما يكبح جماح تلك الرغبة، ويُعينُني على فهم ما أشكل عليَّ أو عَسُر توجيهه. فلها مِنِّي جزيل الشُّكر على جميل صبرِها ودعمِها المتواصل، ودقيق اطِّلاعها على تفاصيل البحث، وتوجيهها دفَّة هذه الدِّراسة حتى بلغت بَرَّ الأمان، وأخرَجَتها في هذه الصُّورة التي هي عليها.

ولا يفوتُني في مقامي هذا أن أُخلِص عبارات الشُّكر والامتنان للسَّادة الأساتذة، أعضاء لجنة المُناقشة المُوَقَّرة، الَّذين حَبونا بشرف الاطِّلاعِ على هذه الأطروحة وتقويمها وتقييمها، وتجشَّم بعضهم عَناء السَّفرِ ليُشرِّفَنا بحُضورِه. وشُكري مَوصولٌ لِكُلِّ مَن أعانَنِي على إنجاز أطروحتي هذه مِن أساتذةٍ كِرام وزُمَلاء أعِزَّاء، وإلى القائمين على كلية الآداب واللغات والفنون، وخصوصا قسم اللغة العربية وآدابها على ما يُقدِّمونه للطَّلبة من خدمات. والحمد لله أوَّلاً وآخِرًا.

الطالب : كبير بن عيسى

الجزائر فـي : 22 شعبان 1436 هـ

المُوافق : 09 جوان 2015 م

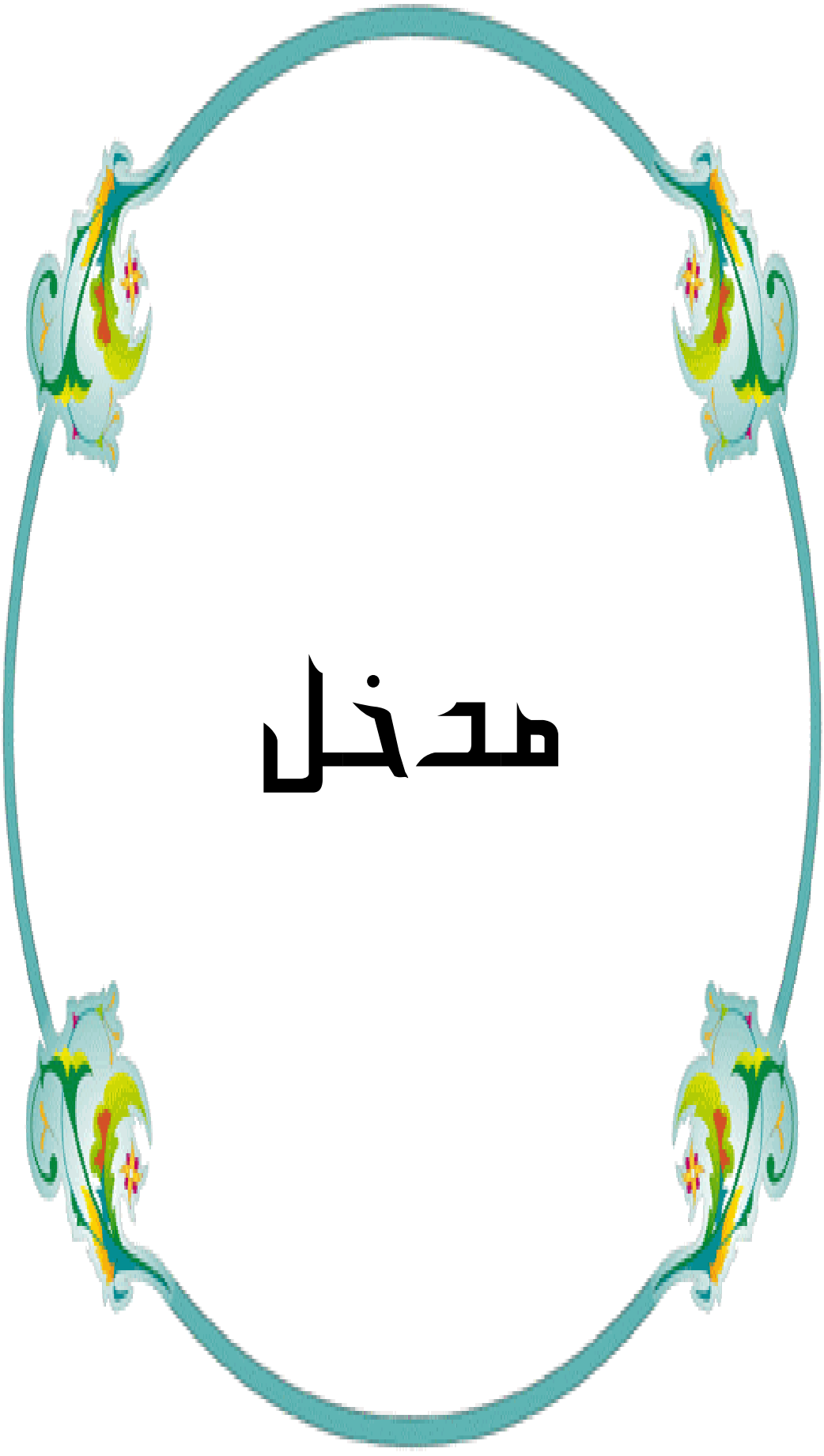

مدخل

مفهوم القلقلة

1 – تعريف القَلْقَلَة :

أ/ لغة: القاف واللام أصلان صحيحان، يَدُلُّ أحدهما على نَزَارة الشيء، والآخر على خلاف الاستقرار، وهو الانزعاج؛ فيُقال: تَقَلْقَلَ الرِّجل وغيره، إذا لم يَثْبُتْ في مكان، وَتَقَلْقَلَ المِسمار: قَلِقَ في موضعه. ومنه فَرَسٌ قُلْقُلٌ: سَرِيعٌ، ومنه قولهم: أخذه قِلٌّ من الغضب، وهو شِبْهُ الرِّعْدَةِ [1]. والقلقلة أيضًا : شِدَّة الصِّياحِ والإِكْثارِ في الكلام [2]، وحكاية الأَصوات إِذا كَثُرت أوقُطِّعت [3]. فكُلُّها تعبيراتٌ عن حالات عدم استقرارٍ مادي أو معنوي تعتري الأشياء. وبالتأمُّل يتبيَّن أنَّ المعنى الثاني لمادة (ق ل ل) راجعٌ إلى الأوَّل؛ فالقلقلة من معانيها : قِلَّة الثبوت في المكان [4].

ب/ اصطلاحا: معالم مصطلح "القلقلة" حدَّدها سيبويه بقوله [5]: «واعلم أنَّ مِن الحروف حروفًا مُشرَبةً ضُغِطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صُوَيتٌ، ونبا اللِّسان عن موضعه، وهي حروف القلقلة. وذلك: القاف، والجيم،

---

(1) انظر: ابن فارس، أحمد بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م. ج5ص3.

(2) انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرّائي، دار الحريّة، بغداد 1985. ج5ص26.

(3) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، لبنان، ط.3، 1992م. ج7 ص481.

(4) انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين. ج5ص26.

(5) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مصر، مكتبة الخانجي، ط.3، 1988م. ج4ص174.

والطاء، والدال، والباء [1]»، ثم ذكر سيبويه : «الدَّليل على ذلك أنك تقول: الحِذق، فلا تستطيع أن تقف إلاَّ مع الصُّوَيت، لشِدَّة ضغط الحرف. وبعض العرب أشدُّ صوتاً، كأنهم الذين يَرُومون الحركة» [2].

يُمكننا أن نستخلص من مُجمَل ما أورده سيبويه خريطة طريق لمبحث "القلقلة":

1- فحقيقة القلقلة: صُوَيتٌ يخرج من الفم مع نَبوة من اللِّسان عن موضعه؛ ويشرح السيرافي فيقول: «وذلك أن هذه الحروف لما انضغط موضعها، ولم يكن للصوت منفَذٌ صار الوقف عليه وقطعُه بمنزلة قطع شيء شديد التَّحزيق [3]، والتَّحزيق [هو] الذي يوجِب التَّصويتَ؛ لأنَّ ما كان مُنفذًا لم يكن له في التَّصويت من الأثر ما للمُحزَّق» [4]. فهذه الظاهرة الصوتية «يصحَبُها ضغط اللسان في مخرجها في الوقف، مع شدة الصوت المُتصَعِّد من الصَّدر، وهذا الضغط التام يمنع خروج ذلك الصوت. فإذا أردت بيانها للمخاطب احْتَجْتَ إلى قلقلة اللِّسان وتحريكه عن

---

(1) وفي نسخة الزبيدي من الكتاب: «وحروفُ القَلْقَلَةِ: جطد قب» قال : «ووُجدَ فِي بعضِ النُّسَخِ: قجط دب، وَفِي أُخرى: قطب جد، وكُلُّ ذلكَ صَحِيحٌ».

انظر: الزَّبيدي، محمّد بن محمّد، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، مصر، د.ط، د.ت. ج30ص279.

(2) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص174.

(3) أي: التضييق.

(4) السيرافي، الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2008. ج5ص46.

موضعه حتى يخرج صوتها فيُسمَع» [1]. كما في قولك: (الحِذق)، فلا يتأتَّى لك الوقف على قافها، لشدَّة ضغط الحرف إلاَّ مَصحوبةً بصُوَيتٍ يتلاشى تدريجياً حتى يَنعدِم، فتكون آخرَ الصوت حين يفتر القلقلةُ [2].

2- أصوات القلقلة مُشرَبةٌ؛ أي: يخالطها شيء ليس من بِنيتها؛ وهو: التَّحريك الخفيف (الصُّوَيت) [3]، كما يرى كمال بِشر. وأيَّده النيرباني بقوله: «فالإشراب هو: خروج صُوَيتٍ من الفم عند الوقف على الحرف، وهو في اللُّغة: الخلط، قال الله تعالى ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: 93]، فكأنَّ الحرف المُشرَب لمّا أُتبع بذلك الصُّوَيت خُلِط به» [4]. لكن يُشكِلُ على هذا التَّعريف أنَّ سيبويه لم ينعَت المهموسة بالمُشرَبة مع أنها كُلَّها يُوقَف عندها مع نفخٍ [5]. والرَّاجِح أنَّ المُشرَبة: هي التي أُشرِبَت من صَوْتَ الصَّدر، أي: أنها تخرُج مع صوت الصدر، ومعنى ذلك: أنها مجهورةٌ [6].

3- أصوات القلقلة خمسة؛ القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء.

---

(1) انظر: الأستراباذي الرضي، محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد وزميلاه، دار الكتب العلمية، لبنان، 1982. ج3ص263.

(2) كما هو الحال مع النفخة التي تصحب الأصوات الأربعة.

انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص175.

(3) انظر: بشر، كمال محمد، علم الأصوات. دار غريب، مصر، د.ط، 2000. ص379.

(4) انظر: النيرباني، عبد البديع، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، دار الغوثاني، سورية، ط.1، 2006م. ص74.

(5) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص174.

(6) انظر: الحَمَد، غانم قَدُّوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار، الأردن، ط2، 2007. ص116.

4- الباعث على قلقلة هذه الأصوات الخمسة شِدَّة ضغط الحرف.

5- لا تُقلقل تلك الأصوات إلاَّ إذا كانت ساكنةً، مَوقوفًا عليها، غير موصولة بغيرها. فإذا وُصلت بغيرها ساكنة، كما في نحو: أذْهِبْ زيداً [1]؛ انتفى فيها الصُّوَيتُ الفَموي مع نَبوَة اللسان، فيُعدَم الصَّوت لأنه لم يتصعّد من الصَّدر صوتٌ يُحتاج إلى إخراجه، وأيضاً لم يحصُل ضغطٌ تام [2]، فانتفى بذلك المُقتضي لوجود صُوَيت القلقلة، ووُجِد المانعُ، وهو أخذك في ابتداء صوتٍ آخرَ يمنع الصَّوت أن يبلغ تلك الغاية في السَّمع [3].

6- أنَّ الصُّوَيت الفَمَوي الذي يخرج مع أصوات القلقلة حال الوقف، يُرفَقُ بتجافٍ للسان وَتَبَاعُده عن موضعه.

7- بعض العرب يُبالِغ في قلقلة الساكن الموقوف عليه من تلك الأحرف الخمسة حتى يكاد يحرِّكُه، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ القلقلة إلى الحركة أقرب، وهو مُقتضَى تسميتها اللُّغوِيَّة، كما سبق.

وقد حاول من تلى سيبويه أن يَصُوغ من مُجمل عبارته تعريفًا للقلقلة؛ فاكتفى بعضهم بما فيها بلا تزيُّدٍ [4]، وأضاف بعضهم إلى ما ذكره سيبويه بعض التَّفاصيل،

---

(1) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص176.

(2) انظر: الأستراباذي الرضي، محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب. ج3ص263.

(3) قاله سيبويه تعليلا لإسقاط همز ألف المد في الوصل. انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص177.

(4) كما فعل ابن الوجيه الواسطي، حيث عرَّف القلقلة بأنها : «صوتٌ كالنّبرة، يتبَع الحرف عند الوقوف عليه دون الوصل، لخروج اللسان عنها إلى صوت آخر».

انظر: ابن الوجيه، عبد الله بن عبد المؤمن، الكنز في القراءات العشر، تح: خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر، ط.1، 2004م. ج1ص169.

وكان من هؤلاء ابن الجزري، حيث عَرَّف القلقلة بأنَّها: «ظُهُورُ صَوْتٍ يُشْبِهُ النَّبْرَةَ حَالَ سُكُونِهِنَّ [1] في الوقف وغيره، لزيادة إتمام النُّطق بهن. فذلك الصوت في سكونهن أبيَن منه في حركتهن، وهو في الوقف أمكن» [2]. وتعريفه هذا هو تحوير وتطوير لما ورد عند مكي بن أبي طالب [3]، وقد أصبح تعريف ابن الجزري عُمدة المتأخِّرين.

وربَّما أشار بعض المُعرِّفين إلى آلية إنتاج هذا الصوت ؛ كما فعل الجُرَيسي حيث حَدَّ القلقلة بأنها: «صوتٌ زائدٌ حدث في المخرج بعد ضغط المخرج، وحصول الحرف فيه بذلك الضغط. وذلك الصَّوت الزَّائد يحدُث بفتح المخرج بتصويتٍ، فحصل تحريك مخرج الحرف وتحريك صوته. أمَّا المخرج؛ فقد تحرَّك بسبب انفكاكٍ دفعي، بعد التصاق مُحكَمٍ. وأمَّا الصَّوت؛ فقد تبدَّل في السَّمع، وذلك ظاهرٌ. فلك تعريف القلقلة بتحريك الصوت أو بتحريك المخرج» [4].

وإذا رُمنا الوصول إلى تعريف أقرب إلى ما أورده سيبويه؛ فسيكون: «القلقلة صُوَيتٌ يخرج من الفم مع نَبوة من اللِّسان عن موضعه، حال الوقف على أحد هذه الأصوات المشربة الخمسة التي ضُغِطت من مواضعها؛ وهي القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء».

---

(1) يعني: الأحرف الخمسة.

(2) انظر: ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، دار الكتاب العلمية، لبنان، د.ط، د.ت. ج1ص203.

(3) انظر: القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، ط3، 1996م. ص124.

(4) الجريسي، محمد مكي، نهاية القول المفيد في علم التجويد، ط.1، مصر، 1886م. ص55.

* واضحٌ إذًا أنَّ لتسمية سيبويه هذه الظاهرة الصوتية بالقلقلة ارتباطًا وثيقًا بالمعنى اللُّغَوي؛ فالمُتقَلقِلات لما فيها من شِدَّة الصَّوت الصَّاعد بها مع الضَّغط دون غيرها من الصَّوامت، حين سكونها لاسيما إذا وقفت عليها، تُقَلقِل المخرج حتى يُسمَع له نَبرةٌ قويةٌ [1]، وهو ما عبَّر عنه سيبويه بـ(نبوة اللسان) وعبَّر عنه آخرون بـ: «اضطراب اللسان» [2] أو «اضطراب الصوت في المخرج» [3]. فلا يكاد يتبيَّن صوتها بسكونها ما لم يخرُج إلى شِبه التَّحريك لشِدَّة أمرها، من قولهم: قَلقَلَه إذا حرَّكه [4]. فالمُقَلقَل غير ثابتٍ، وهو يُشبِه السَّاكن ويخالفه، ويُشبِه المتحرِّك ويخالفه؛ فهو حالة بين حالتين.

هذا عن القلقلة من منظور القُدامى، أمَّا المُحدَثون، فقد اختلفت تعاريفهم للقلقلة ؛ فإبراهيم أنيس يرى أنَّها صوتُ لينٍ قصيرٌ جِدًّا شبيه بالكسرة، الغَرَض منه الحِرص على إظهار كُلِّ ما في الصَّوت من جَهرٍ، فلا يختلِط بنَظيره المهموس [5]، وعلى هذا «فالقلقلة ليست في الحقيقة إلا مُبالغةً في الجهر بالصوت، لِئلا تَشوبه شَائبةٌ من

---

(1) انظر: القاري، علي بن سلطان، المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، تح: أسامة عطايا، دار الغوثاني، سورية، 2006م. ص18.

(2) انظر: الحفيان، أحمد محمود عبد السميع، الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.1، 2000 م. ص85.

(3) انظر: السندي، عبد القيوم عبد الغفور، صفحات في علوم القراءات، المكتبة الأمدادية، السعودية، ط.1، 1985م. ص219.

(4) انظر: ابن الحاجب، عثمان بن عمر، الإيضاح في شرح المفصل، تح: موسى بناي العليلي، وزارة الأوقاف، العراق، 1982م. ج2ص488.

(5) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، مصر، د.ط، د.ت. ص47.

همس» [1]. وباختصارٍ فمفهوم القلقلة عند إبراهيم أنيس: صوتُ لينٍ قصيرٌ جدا مجهورٌ يُشبِه الكسرة، يُضاف إلى الحمولة الجهرية للصوت، لئلاَّ تشوبه شائبةٌ من همس.

ومُراد إبراهيم أنيس بـ : «صوتِ لينٍ قصيرٌ جدا» أنَّه حركةٌ لم تَستوفِ المُدَّة الزَّمنية اللازمة لإنتاجها، وأنَّ مادته هواءٌ خارج من الرئتين لا يُعتَرَض مجراه ولا يُحبَس كما يحدث مع الأصوات الشديدة، وأنَّه يُسمَع من مسافة قد تخفى الأصوات الساكنة عندها أو يُخطَأ في تمييزها. وأمَّا أنَّه «يُشبِه الكسرة»؛ فيعني أنَّ هذا الصُّوَيت ينتمي إلى المجموعة الأولى من أصوات اللين في تصنيف دانيال جونز، وهي التي تشمل الضَّيِّقة (close) منها، ويُرمَز إليها بالرمز (i)، ومع هذه الأصوات يبلُغ اللسان أقصى ما يُمكِن أن يصل إليه من صعودٍ نحو وسط الحنك الأعلى، والفراغ بينهما يكون أضيق ما يمكن للنُّطق بصوتِ لينٍ، بحيث لا يُحدِث الهواء المار بينهما أيَّ نوعٍ من الحفيف [2].

ويُرجِّح محمود السَّعران أنَّ القلقلة صائتٌ إضافيٌّ مجهورٌ مركزيٌّ ضعيفٌ (Central Vowel Weak) [3]، والمقصود بكون الحركة مركزية: أنَّ أعلى نُقطة في اللِّسان تكون عند نُطقها قَريبةً من الحنك الصلب، أو قُل إنها بين الحنك الصلب والحنك اللين [4]، ويُرمَز إليها بالرَّمز [ə] .

---

(1) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص107.

(2) المرجع السابق. ص27، 33، 37.

(3) انظر: السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، مصر، ط.2، 1997م. ص135.

(4) انظر: أستيتية، سمير شريف، الأصوات اللغوية: رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل، الأردن، ط.1، 2003م. ص287.

أمَّا عند كمال بشر؛ فالقلقلة لا تعدو أن تكون تحريكًا خفيفا [1] بصُوَيت أو نَبرة، أو حفزًا للصوت إكمالاً لنُطقه بتمامه [2]، فصُوَيت القلقلة عنده «لا يدخل في إطار الصوت بالمعنى الاصطلاحي الموسوم بالفتحة أو الكسرة أو الضمة، إنه في حقيقة الأمر: مجرد إطلاقٍ للهواء (release) بعد الوقفة الحادثة عند بداية النُّطق بالصَّوت الشَّديد ليحدُث الانفجار، فيكتَمِل نُطق هذا الصوت الشديد، ويتحقَّق أنه صوتٌ شديدٌ أي وقفةٌ انفجارية» [3]، كما اصطُلِح على تسميتها في الدَّرس الصَّوتي الحديث.

جَلِيٌّ أنَّ رؤية كمال بشر للقلقلة مُقتضاها إسقاط القلقلة من صفات الأصوات، لأنها في تصوُّره ليست سوى جزء من صفة الشدة. وهذا التَّصَوُّر للقلقلة قد تبنَّاه زيد القرالة؛ فهي عنده: هي «الخلخلة الناجمة عن فك الأعضاء النُّطقية الملتصقة لإرسال الصوت» [4]، و«الهواء المستَخدَم في إنتاج هذا الصُّوَيت من مُستَلزَمات الصَّامِت الانفجاري، ولم يصدُر هواءٌ خاصٌّ بإنتاج حركةٍ بعد الصَّامت السَّاكن، وإنما هي المرحلة الثالثة لإنتاج الأصوات الإنفجارية الساكنة» [5]. ويَستَدِلُّ على ذلك بأنَّ صُوَيت القلقلة «لا يصل إلى درجة الحركة، لأنه لم يظهر على الأجهزة الصوتية أثناء عمل بعض التجارب» [6]. فليس ثمة في الحقيقة شيءٌ اسمه قلقلة، والصُّويت

---

(1) انظر : بشر، كمال محمد، علم الأصوات. دار غريب، مصر، د.ط، 2000. ص380.

(2) المرجع السابق. ص390.

(3) انظر: بشر، كمال محمد، علم الأصوات. ص390.

(4) انظر : القرالة، زيد خليل، الحركات في اللغة العربية: دراسة في التشكيل الصوتي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط.1، 2004م. ص30.

(5) انظر : القرالة، زيد خليل، الحركات في اللغة العربية. ص30.

(6) المرجع السابق.

الذي يحمل هذا الاسم إنما هو جزءٌ من ماهية الصَّوت الوقفي، وهذا يلتقي تمامًا مع رؤية كمال بشر.

ويرُدُّ حامد الشنبري على هؤلاء؛ فيقول: «يبدو أنَّ المقصود هو الإتيان بصوت أشبه ما يكون بما يُسمَّى بالحركة المركزية؛ ويتَّضِحُ من وصف القدماء لهذا الصُّوَيت الزَّائد أنه يتبع حرف القلقلة، مما يعني تغيُّر وضع اللسان الذي ينبو عن موضعه، كما عبَّر سيبويه، ولا يَنبو اللِّسان عن موضعه إلا إذا كان ثَمَّة صوتٌ جديدٌ يُراد إخراجه، وله طابعه الخاص به» [1]، وهذا يردُّ رأي كمال بشر في اعتباره جزءا من عنصر الشدة في الصوت لا مُضافا إليه، وكونه يميل إلى الحركة يُسقِط عَدَّه القلقلة مجرَّد إطلاقٍ للهواء.

فتحصَّل من مجموع ما ذُكِر أنَّ المُحدَثين طائفتان :

الأولى: ترى في صُويت القلقلة مُكوِّنًا من مُكوِّنات نُطق الأصوات الشديدة، به يتحقَّق الانفجار السريع ليكتمل نُطق الصوت الشديد، وعليه فهو أساسي في بنية الصوت لا إضافي، وبذلك فهو شاملٌ للمجهور والمهموس معًا، الغرض منه أن لا يَفقِد الصوت عنصر الانفجار، فيشتَبِه بغيره.

والأخرى : ترى في صُويت القلقلة صائتا إضافيًّا مجهورًا يَقِي الصَّوت المجهور من الهمس، ويمنعه ضَعف شِدَّته ورخاوته. ولا شكَّ أن هذه الرُّؤية هي الأصوبُ؛ كما سيأتي بيانه مُفصَّلاً.

وقد حاول إسماعيل عمايره تبنِّي رؤية تبدو أقرب إلى النظرة التوفيقية التي تُحاول الجمع بين المذهبين السَّابِقَين؛ فهو يُعرِّف القلقلة بأنَّها: «صوتٌ خفيفٌ

---

(1) انظر : الشنبري، حامد بن أحمد، النظام الصوتي للغة العربية: دراسة وصفية تطبيقية، مركز اللغة العربية، مصر، ط.1، 2004م. ص31.

اختلاسي؛ فكأنما هو شروعٌ في إيجاد حركةٍ خفيفةٍ غير مُكتمِلَةٍ تتبع أصوات القلقلة الانفجارية حالَ سُكونها، إذ بدون هذا التَّحريك يكون الهواء قد انحبس انحباسًا كاملاً نتيجةَ انغلاق العضوين اللَّذَين يُشكِّلان مخرج الصوت، ويترتَّب على ذلك تعرُّضه لشيءٍ من الخفاء» [1]. وهذا التَّعريف، مع بعض الغموض الذي يكتنِفُه، أَميَلُ إلى مذهب كمال بِشر وأتباعه.

2- مرادفات لمصطلح (القلقلة) :

ليس مصطلح (القلقلة) الوصفَ الوحيدَ الذي به نُعِتت تلك الأصوات الخمسة (قطب جد)، بل ثمة مصطلحات أخرى تؤدي الغرض نفسه؛ فقد نُعِتت تلك الأصوات بأصوات اللقلقة [2]، والأصوات المضطربة، والأصوات المهتزة، وكذلك وُصِفت بالأصوات شديدة الصِّياح والمنبورة، وباليابسة، ونُعِتت أيضًا بالمضغوطة والمحقورة.

- فوُصِفَت بالمضغوطة والمحقورة؛ لأنّها تُحَقَّرُ في الوقف وتُضْغَطُ عَنْ مَوَاضِعِهَا فلَا تَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ عَلَيْهَا إِلَّا بِصَوْتٍ، وَذَلِكَ لشدَّة الحَقْر والضَّغْطِ [3]. فهي تُستضعَفُ ولا تُمنَح ما تستحقه من الشدة والجهر.

- ونعتُها بالمُلَقلَقة؛ لأنَّ هذه اللَّفظة تُطلق على كُلِّ صوتٍ في حركةٍ واضطرابٍ، وعلى شدة الصياح والإكثار في الكلام [1]؛ فيُقال: لقلقت الحيّة إذا أدامت تحريكَ لَحْيَيْها، وإخْراجَ لِسانِها، واللّقْلقة: صوتُ طائر اللّقْلاقُ [2].

---

(1) انظر: عمايره، إسماعيل أحمد، بحوث في الاستشراق واللغة، دار البشير- مؤسسة الرسالة، الأردن- سورية، ط.1، 1996م. ص197.

(2) انظر: النُّوَيْري، محمد بن محمد، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تح: مجدي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.1، 2003م. ج1ص243.

(3) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب. ج4ص208.

- ووَصفُها بالأصوات المضطربة والمهتزة؛ لما يعتري مخرجها من الحركة والتذبذب والزلزال الصوتي.

- ووَصفُها بالأصوات اليابسة؛ لأنّها تحدِثُ عند إخراجها صوتًا شبيهًا بذاك الذي تحدِثُه الأشياء اليابسة إذا وُطئت.

- وأمَّا كَونُها أصواتا شديدة الصياح؛ فَلِدُخولها ضمن الأصوات الثمانية الشديدة التي ينحبس معها النَّفَس (الوقفيات)، المجموعة في قولهم (أجد قط بكت).

- وأمَّا كَونُها منبورة؛ فـ«لأنها إذا وُقِف عليها، قلقل اللِّسان بها حتى يُسمَع لها نبرةٌ قوِيَّةٌ» [3]؛ أي: صوتٌ عال.

فهذه الألفاظ كُلُّها تدور في فلك معانٍ شِبه مُتقارِبَةٍ، تعني في مجملها: شدة اضطراب الشيء في تحركه، وقِلَّة ثبوته في المكان؛ فـ«الخاصية الأساسية التي تشير إليها هذه التسميات لا تختلف، وهي: كون هذه الحروف لازمة التَّحريك إذا وقعت ساكنةً في النُّطق» [4]، وكل تلك الأوصاف إما لما يعتري مخرجها من الحركة والتذبذب والزلزال الصوتي، أو لما تتصف به من انحباس هواء الصوت بها في مخرجها حال سكونها.

---

(1) انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين. ج3ص425.

(2) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب. ج7ص481.

(3) انظر: القاصح العذري، علي بن عثمان، سراج القارئ المبتدي. ص410-411.

(4) انظر: بشر، كمال محمد، علم الأصوات. ص379.

3- مُقابِل مصطلح (القلقلة) :

وضع بعض علماء التَّجويد المتأخِّرين؛ ومنهم: محمد بن محمود السمرقندي، والحسن بن شُجاع التُّوني، مُصطلحَ (السُّكون) مُقابلاً لمصطلح (القلقلة)، وعلَّل الدركزلي تسمية غير المُتقَلقِلات بذلك، فقال: «أي: أنها ذات سكونٍ وعدم اضطراب في مخارجها مُطلَقًا» [1]. فكأنَّ هؤلاء نظروا إلى أصل الوضع اللُّغَوي للقلقلة الذي هو التحرُّك والاضطراب، فأوجدوا لها ضِدًّا بناء على ذلك، لكن حقيقة القلقلة أنها حالةٌ بَينيَّةٌ تتوسَّط السُّكون والحركة، فلا يُتصوَّر وجود مُقابلٍ لها، لذلك عدَّها جمهور علماء التجويد من الصِّفات التي لا ضِدَّ لها.

4- الطبيعة الصوتية للقلقلة :

أشار سيبويه إلى ثلاثة أنواعٍ من الصُّويتات تخرُج من الفم [2]، يَتبعُ كُلُّ نَوعٍ منها طائفةً من الصَّوامت حال الوقفِ، وهي تتفاوت فيما بينها من حيث قُوَّتُها [3]:

- فأقواها القلقلة، وتكون في المجهورات الشديدة الخمسة (القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء). وهي محلُّ بحثنا، فلا داعي إلى الإطالة فيها هنا.

- تليها النفخة ؛ وهي: هواءٌ يَتبعُ المهموسات العشرة (الهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين، والسين، والتاء، والصاد، والثاء، والفاء)، بِلا اهتزازٍ للوترين الصوتيين، ولا إقلاقٍ للسان عن موضعه، ومن ثَمَّ فلا يُعَدُّ حرفًا مُستَقِلا [4]. وإنما

---

(1) انظر: الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص263.

(2) لذا ألغى الغُنَّة التي تُسمَع بعد النون والميم في الوقف؛ إذ كان مخرجُها من الأنف.

انظر: النيرباني، عبد البديع، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات. ص75.

(3) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4 ص174-175.

(4) انظر : الشنبري، حامد بن أحمد، النظام الصوتي للغة العربية. ص31.

هو صوتٌ زائدٌ يُلابِسُ جَريَ نَفسٍ، حدث عند انفتاح المخرج، فهو صوت همسٍ ضعيفٍ [1].

وإنما يُوقَفُ عند المهموسة «مع نفخٍ، لأنهن يخرُجن مع التَّنفُّس، لا صوتِ الصَّدر؛ وإنما تَنسَلُّ معه. وبعض العرب أشد نفخاً؛ كأنهم الذين يرومون الحركة فلابُدَّ من النَّفخ؛ لأن النَّفَس تسمعه كالنَّفخ» [2]. فهذه النَّفخة في الوقف بعد المهموسات تقتضيها طبيعة هذا الأصوات، فالنُّطق بها يحتاج إلى إخراج نفس أكثر، وبذل جُهدٍ أكبر. ففي هذا النفخ إشارة إلى أنَّ الرِّخوَ من تلك الأصوات لا يزال يحتفِظ بصفة الرَّخاوة بعد تَوقُّف تيَّار الهواء المُصاحِب لها [3]، أمَّا الشَّديد منها، وهما الكاف والتاء، فتُكسِبُهما النَّفخةُ قَدرًا من الاحتكاك يُخلِّصُهما من الخفاء المترتِّب على انحباس الصوت [4] جرَّاء الوقف.

- وأخيرا شِبه النَّفخة ؛ ومحَلُّها الأصوات الأربعة المجهورة الرِّخوة (الظاء، والذال، والضاد، والزاي) التي لم تُضغَط ضَغطَ المقلقلات الخمسة؛ فهذه يُسمَع منها نَحوُ النَّفخة عند الوقف لأنها «إذا خرجت بصوت الصُّدر انسَلَّ آخِرُه، وقد فَتَر من بين الثَّنايا لأنَّه يجِدُ مَنفذاً. وبعض العرب أشد صوتاً، وهم كأنهم الذين يرومون الحركة. والضَّاد تجد المنفذ من بين الأضراس» [5]. فالفتور اللاحق بآخر هذه

---

(1) انظر : الجريسي، محمد مكي، نهاية القول المفيد في علم التجويد، ط.1، مصر، 1886م. ص57.

(2) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص175.

(3) انظر : الشنبري، حامد بن أحمد، النظام الصوتي للغة العربية. ص31.

(4) انظر: عمايره، إسماعيل أحمد، بحوث في الاستشراق واللغة. ص216.

(5) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص175.

الأصوات الرِّخوة جرَّاء الوقف يُضعِفُ جهرها، فتَحتاج إلى تقوية وقعها في السَّمع بشِبه النَّفخة.

فمُجمَل ما يُصاحبِه صوتٌ عند الوقف عليه من صوامت العربية الأصليَّة تسعة عشر صامتًا؛ خمسة مجهورة شديدة تُقلقل لتستعيد ما سلبه إيَّاها الضَّغطُ من جهارتها وشدتها، وحمايةً لها من تأثير الأصوات المجاورة لها. وعشرةٌ مهموسةٌ تتبعها النَّفخة حفاظا على رخاوة الرِّخو منها، وإكسابًا للشَّديد قَدرًا من الاحتكاك يُخلِّصُه من الخفاء المترتِّب على انحباس الصوت جرَّاء الشدة. وأربعة تتبعها شِبه نَفخةٍ تَقويةً لوقعها في السَّمع، وتعويضا لها عمَّا فقدته من الجهر بسبب الوقف.

أمَّا العشرة الباقية وهي: الألف، والواو، والياء، والراء، والهمزة، والعين، والغين، واللام، والميم والنون؛ فهذه لا يَتبعُها صوتٌ حال الوقف عليها. يقول النيرباني: «والهمزة أمّ هذا الباب؛ لأنَّ الوقف عليها يكون بانطباق الطَّيَّتَين الصوتِيَّتين، فلا يحدُث بعد ذلك تسرّب للهواء يُسمعُ معه صوتٌ» [1].

وقد أفصح سيبويه عن المانع من إتباع تلك الأصوات العشرة بصوتٍ عند الوقف؛ فأمَّا الستة الأخيرة منها [2]، فهي مع كونها مُشربةً إلاَّ أنَّها لغياب المنفذ لا يُسمع بعدها نفخٌ أو شِبهُه، وانتفت عنها القلقلة لغياب الضغط [3]. وأمَّا الألف والواو والياء؛ فهي حروف لينٍ ومدٍّ، ومخارجها مُتَّسِعة لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها، ولا أمَدَّ للصَّوت، فإذا وقفت عندها لم تَضُمَّها بشفةٍ ولا لسانٍ ولا حلقٍ كضمِّ غيرها؛ فيهوي الصوت إذا وجد مُتَّسَعاً حتى ينقطع آخره

(1) انظر: النيرباني، عبد البديع، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات. ص76.

(2) أعني: الهمزة، والعين، والغين، واللام، والميم والنون.

(3) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص175.

في موضع الهمزة [1]. وأمَّا الرَّاء ؛ فقد قال عنها سيبويه أنها نحو الضَّاد [2] التي تُتبَع بشِبه نفخ، ولعلَّ ذلك لما فيها من التَّفشِّي الذي أشار إليه سيبويه بقوله: «وهي تفشَّى إذا كان معها غيرُها» [3]، فتفشِّيها في الفم من التكرار الذي فيها.

وقد أومأ سيبويه إلى أمور مهمة تتصل بالطبيعة الصوتية للقلقلة ؛ فوصفها بالصُّوَيت الخارج من الفم مصحوبا بنبوة للسان، يخالط أصوات (قطب جد) جَرَّاء الضَّغط الشَّديد الذي تتعرَّض له من مواضعها إذا وُقِف عليها [4]. فيُفهم من كلامه أن القلقلة حركةٌ مُختَلَسةٌ تخرج من الفم لا من الصدر تُضاف إلى الصوت المُقلقَل السَّاكن.

هذا عن المتقدِّمين، أمَّا عُلماء الأصوات المُحدَثون؛ فقد اختلفوا في الماهية الصوتية للقلقلة :

فبعضهم يرى أنَّ القلقلة «مجرد إطلاقٍ للهواء (release) بعد الوقفة الحادثة عند بداية النُّطق بالصَّوت الشَّديد ليحدُث الانفجار، فيكتَمِل نُطق هذا الصوت الشديد، ويتحقَّق أنه صوتٌ شديدٌ أي وقفةٌ انفجارية» [5]. فالقلقلة بذلك راجعةٌ إلى طبيعة الصوت الشديد (الانفجاري) الذي لا يتأتَّى نُطقه النُّطق الكامل من غير أن يُتبَع بصوت آخر مُستقِلٍّ عنه هو هذا الهواء المندفِع، الذي يكون إمَّا مهموسًا وإما مجهورًا؛ فالشديد المهموس يتبعه عادة صوت مهموسٌ قصيرٌ، والشديد المجهور يتبعه عادة صوت مجهور قصير أشبه ما يكون بالفتحة المُختلَسَة.

---

(1) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص176.

(2) المصدر السابق. ج4ص175.

(3) المصدر نفسه. ج4ص448.

(4) نفسه. ج4ص174.

(5) بشر، كمال محمد، علم الأصوات. ص380.

ويرى آخرون أنَّ «القلقلة ليست في الحقيقة إلاَّ مُبالغةً في الجهر بالصوت ، لئلاَّ تشوبه شائبةٌ من همس» [1]، فهي مُصوِّتٌ إضافي مجهور مركزي ضعيف (Weak Central Vowel)؛ تنتقل به الأصوات الانفجارية من "السكون" إلى "شبه الحركة"، ومعلومٌ أنَّ "الحرف المتحرك" صامتٌ يتلوه صوت مصوِّتٌ قصيرٌ، والمصوِّتات مجهورة [2]، لا نِزاع في ذلك. وقد أثبتت التجارب المخبرية أن الحركة المتبوعة بصامت مجهور أطول مدة من تلك المتبوعة بصامت مهموس؛ لأن الحركات مجهورة فإذا أُتبِعت بمجهور مثلها، زادت كميتها الصوتية، بسبب تداخل عملية الجهر، فالانتقال من مجهور إلى آخر لا يستدعي تغييرا كبيرا في وضعية الأوتار الصوتية، وبذلك فليس ثَمَّ زمنٌ مفقودٌ [3].

فالخلاف بين الرأيين مرَدُّه إلى أمرين: وظيفة القلقلة، وكونها زائدة أو أصلية في الصوت المُقلقَل. فالأوَّلون فهِموا من نصوص المتقدمين أن الصوت إنما يُقَلقَل ليُحافَظ على شدته، وفهموا الآخرون أن المقصود بالقلقلة نقل الصوت من السكون إلى شبه تحريك لتقويته، يقول المرعشي: «ولا تتأتَّى القلقلة إلا بالجهر البالغ، لأن أدنى الجهر إسماع غيره، لا إسماع نفسه. فمن أسمع القلقلة نفسه فقط، لا يُقال إنَّه أتى بالقلقلة، وإنما يُقال إنَّه ترك القلقلة، فهو لحنٌ» [4]. ولا شكَّ أنَّ هذا الرأي الأخير يتفق مع المنقول عن سيبويه، وهو مُؤدَّى المصطلح نفسه الذي يعني التَّحريك في أصل وضعه اللغوي.

---

(1) انظر: أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص107.

(2) انظر: السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ص135.

(3) انظر : القرالة، زيد خليل، الحركات في اللغة العربية. ص42-43.

(4) انظر : الجريسي، محمد مكي، نهاية القول المفيد في علم التجويد. ص54-55.

وقد أورد الخفاجي هاهنا اعتراضين وَجيهَين، يحسُن الجواب عنهما :

أولهما: أنَّ مَن علَّل تسمية أحرف (قطب جد) بالمُقَلقَلة بأنها إذا وُقِف عليها تقلقل اللسان بها عند خروجها، فقد سها؛ لأنّ الباء منها، وهي شفوية لا يتحرّك اللِّسان بها [1]. والجواب : أنَّ تلك التسمية أغلبية، إذ كانت الأصوات الأربعة الباقية كُلَّها يتحرك اللسان عند الوقف عليها.

والآخر: أنَّ ثمَّة تجوُّزًا في تعليل المتقَلقِلات بأنها حين سُكونِها تتقَلقَل عند خروجها حتى يُسمع لها صوتٌ ونبرةٌ، لأنَّه المراد بتقَلقُلها مشابهتها للمُتَقلقِل لا تحرُّكُها حقيقةً، وإلا لَزِم اجتماع السُّكون والتحرُّك في حالةٍ واحدةٍ [2]. يعني: أنَّ في ذلك اجتماعًا للنَّقيضين. قلت: ليس ذلك بلازم لأنها تخرج إلى شبه تحرُّكٍ، ثم إنها لا تبقى ساكنة كاملة السُّكون لأنَّ ذلك يَذهب بالوضوح السَّمعي للصَّوت، فلا يتحقَّق الغرض من التَّصويت الذي هو التَّبليغ.

5 – القيمة الصوتية للقلقلة :

للقلقلة ثمرتان صوتيتان :

أولاهما: تتَّصل بذات الصَّوت؛ فعندما لا تُنطَق النُّطق الكامل، تكون أصوات القلقلة قد خضعت لعملية "تقليل جهر" (Devoicing)، فتُصبح انفجارية ضعيفة الهمس أو "أصواتا قذفية ضعيفة" (Weak Ejective Sounds) [3]، فتغدو غير

---

(1) انظر : الخفاجي، أحمد بن محمد، عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر، لبنان، د.ط، د.ت. ج1 ص163.

(2) انظر : الخفاجي، أحمد بن محمد، عناية القاضي. ج1 ص163.

(3) انظر: السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ص136.

واضحة. وبالقلقلة تستعيد ما سلبه إيَّاها الضَّغطُ من جهارتها [1]، فتتبيَّن في السَّمع، ويُأمَن بذلك اختلاطها بنَظيراتها من المهموسات [2]. وكذلك القلقلة تصون الشدة (الوقفة) من الاختلاط بالرخاوة (الاحتكاك) والذَّوبان فيها، فيصُبح الصوت حينها رِخوًا صِرفًا [3]. فالجيم مثلاً، إذا لم تُقلقَل غدت مُعطَّشَة، وقرُبَت من الرَّخاوة، فالقلقلة تحفظ على الجيم صفة الشِّدَّة.

ويرى إسماعيل عمايره أنَّ حركة القلقلة تساعد في تحديد الصفات المميزة لكل صوت انفجاري عن الآخر، إذ يترتب عن الانفراج الخفيف ما يَسمح للهواء بالانسياب، ولولا ذلك لَظَلَّ العضوان اللذان ينحبس بانطباقهما النَّفَسُ مُنغلِقَين. فبهذه الحركة الاختلاسية (القلقلة) التي تعقُب الانفجار يكون قد اكتمل نُطق الصوت الانفجاري الصامت، ويتَّضِح مخرجه [4]، ويكتسب قدرًا من الجهر يُخرِجه من حالة الصفر، مُمثَّلَةً في لحظة الصَّمت التي نتجت عن لحظة انحباس النَّفَس.

---

(1) بل قد تكسب مزيدا من الجهارة ؛ فبعضهم يرى أن الحرف الموقوف عليه أتمُّ صوتًا، وأقوى جرسًا من المتحرّك، فسدَّ ذلك مسدّ الحركة.

انظر: ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.1، 2001. ج5ص287.

(2) انظر: أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص47،107.

(3) انظر: بشر، كمال محمد، علم الأصوات. ص392.

(4) فلا يشتبه في مخرجه وصفاته مع صامت آخر؛ فالباء الشفوية مع الحركة الخفيفة تمثلان صفتين متكاملتين للباء، في مُقابِل الصفة الشفوية والغُنَّة في الميم مثلاً.

انظر: عمايره، إسماعيل أحمد، بحوث في الاستشراق واللغة. ص197.

وتتجلى هذه الظاهرة في مواقع التحسين الصوتي كقراءة القرآن أكثر مما تتجلى في مواطن النطق العادي [1].

والأخرى: تتَّصِل بجِوار الصوت؛ لأنَّ الحركة تقي الحرف من التغير في السياقات المختلفة، أمَّا السكون فيُضعِفُه ويُعرِّضه لأَنْ يجذبه جواره الصوتي إلى نوعٍ من صفاته، خصوصًا إذا كان من مخرجه، فـ«القوي من الحروف إذا تقدَّمه الضعيف مُجاوِرًا له جذَبَه إلى نفسه إن كان من مخرجه، ليعمل اللسان عملا واحدًا في القوة من جهة واحدة» [2]. ففي قلقلة الصوت حمايةٌ له من تأثير الأصوات المجاورة له حال سكونه [3]؛ فلو لم يُقلقل المجهور الشديد، لهُمس أو ضَعُف جهره إذا وَلِيَه مهموسٌ، ولصار رِخوا أو ضَعُفت شِدَّتُه إذا تلاه رخوٌ. لذا تعيَّن بيان الدَّال في نحو ﴿قَدْ نَرَى﴾ [البقرة: 144] [4] بالقلقلة حتى لا تُنتَقَص شدتها بمجاورتها النون التي فيها بعض الرخاوة، وكذلك الباء تُقلقَل في نحو : اطلبْ تُفَّاحة، لئلا تَسلُبَها التَّاء جهرها أو تُضعِفَه.

---

(1) المرجع السابق. ص197.

(2) القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة. ص206.

(3) انظر : البركاوي، عبد الفتاح، ترتيل القرآن الكريم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، دار الجريسي، مصر، ط.1، 2004. ص73.

(4) انظر : السخاوي، علي بن محمد، جمال القراء وكمال الإقراء. تح: مروان العطيَّة ومحسن خرابة، دار المأمون للتراث ، سورية- لبنان، ط.1، 1997م. ج2ص542.

موضع القلقلة

بِناءً على ما تقدَّم نقلُه عن سيبويه ؛ يتَّضح أن موضع القلقلة هو: الصامت المجهور الشَّديد، غير المُدغَم، إذا كان سَاكنًا موقوفًا عليه. وسأتناول كُلَّ عُنصُر من هذه العناصر استقلالاً أو في شكل ثُنائِيَّاتٍ للرابطة الموجودة بينها، وطلبًا للاختصار، وتجنُّبا للتكرار.

1 – الجهر والشدة :

تقدَّم عن سيبويه: «أنَّ مِن الحروف حروفًا مُشرَبةً ضُغِطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صُوَيتٌ، ونبا اللسان عن موضعه... فلا تستطيع أن تقف إلاَّ مع الصُّوَيت، لشِدَّة ضغط الحرف» [1]. فالبَاعِث على قلقلة هذه الأصوات الخمسة عند سيبويهِ شِدَّة الضغط الموضعي الذي يتعرَّض له الحرف.

وقد فَهِم جمهور مَن جاء بعد سيبويه من النُّحاة وعلماء التَّجويد أنَّ الضَّغط المُشارَ إليه إنما يكون بفعل الجهر والشِّدَّة؛ فقد نصَّ سيبويه على أن أصوات الشدة عنده ثمانية: «الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والباء» [2]، واختصَّ منها خمسة بكونها «حروف القلقلة؛ وذلك: القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء» [3]، وهذه مجهورة كلُّها. فاستثنى الهمزة «لأنَّها لم تُضغط ضغط القاف» [4]، وكذا الكاف والتَّاء لأنهما مهموستان تُتبعان بنفخةٍ لا بقلقلةٍ.

---

(1) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص174.

(2) المصدر السابق.ج4ص434.

(3) المصدر نفسه. ج4ص174.

(4) نفسه. ج4ص175.

وتُنطق هذه الأحرف الخمسة (قطب جد) في الوقف على دفعتين؛ أولاهما احتباسية، والأخرى انفجارية مقطوعة بإقفال حنجري [1]. فالشدة تحبس صوت الحرف وتضغطه في مخرجه، فينغلق المخرج انغلاقا تاما يضيق جهاز النطق، فإذا انفتح المخرج، مَنع الجهرُ جريَ النَّفَس فيلتصِقُ المخرج التِصاقًا مُحكَمًا فيَقوى للصوت الحادث عند انفتاح المخرج دفعه، فيخضع لعملية "تقليل جهر" ، ويُصبح انفجاريا ضعيف الهمس أو "صوتا قذفيا ضعيفا" [2]. فيُقلقل الحرف حِفاظًا على جهارته وشدته معًا.

وترى طائفةٌ من الأصواتيين أنَّه لا يُشترط لقلقلة الأصوات إلا أن تكون شديدة؛ حيث يَعُدُّون القلقلة مُكوِّنًا من مُكوِّنات الشِّدَّة نفسِها؛ يقول إسماعيل عمايره : «القلقلة ترتبط بالشدة، فالصوت الانفجاري يكون عُرضَةً للخفاء، وذلك لأنَّ النَّفَس ينحبس بنُطقه انحباسا يترتَّب عليه الخفاء، ثم تعقُبُه صفة القلقلة، لتُكسِب الصَّوت إظهارًا يحدِّدُه ويُبَيِّن ملامحه ومميِّزاته» [3]. وبذلك فالقلقلة موجودةٌ في الأصوات مجهورها ومهموسها لأنها جميعُها يَبدأ نطقُها بوقوف الهواء وقوفا تاما عند مخارجها، ولابد له من نَفاذٍ ليَتمَّ نُطق الصوت كاملا، هذا النفاذ يأتي عن طريق الانفجار السريع، الذي يُعبَّر عنه بالقلقلة [4].

والفصل بين الطائفتين يَرجع إلى ماهية القلقلة؛ فإذا تقرَّر أنها صُوَيتٌ زائدٌ مجهورٌ شِبه مُتحرِّك، فلا شكَّ أنه لا يستقيم إضافته إلى الشديد المهموس، لأنه

---

(1) النيرباني، عبد البديع، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات. ص74.

(2) انظر: السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ص136.

(3) انظر: عمايره، إسماعيل أحمد، بحوث في الاستشراق واللغة. ص215.

(4) انظر : بشر، كمال محمد، علم الأصوات. ص390.

يُضعِفه إذا أُضيف إليه، والغرض تقوية الصوت لا إضعافه؛ فتعيَّن أن محل القلقلة المجهور الشَّديد.

2- الوقف والسكون :

مَردُّ ظاهرة الوقف إلى كراهية توالي الأضداد، أو "كراهية التنافر"؛ فالحركة مظهر من مظاهر الاستمرار في الأداء، وهي إذا وقعت في نهاية الدفعة الكلامية لم يتأتَّ نَبرُ مَقطعها، وذلك يُضعِفها في النُّطق، فتقصُر الحركة عن الوصول إلى الأذن. والصَّمت الذي يأتي عن تمام المعنى جزئيًّا أو كليًّا، أو عن انقطاع النفس، أو لأيِّ سببٍ يدعو إلى قصد الوقف، يُعتبر عكس الحركة تمامًا، فبينه وبين الحركة تنافرٌ. ومن هنا اختار الاستعمال أن يُنشِئ ظاهرة الوقف دفعًا للتَّنافُر، ودلالةً على موقع انتهاء الدفعة الكلامية، وهو موقع يرتبط بتمام المعنى جزئيًّا أو كليًّا [1].

وللوقف وسائل متعددة؛ هي: الإسكان، والرَّوْم، والإشمام، والإبدال، والزِّيادة، والحذف، والنَّقل، والتَّضعيف. والوقف بوسائله المتعددة هذه يدل على موقع هو في طابعه "مِفْصَل" من مفاصل الكلام ، يُمكِن عِندَه قَطعُ السلسلة النُّطقِيَّة [2]. وبما أنَّ الإسكان يأتي في مُقَدِّمة وسائل الوقف، فإنه يتعيَّن بحثهما معًا.

وإذا كان النَّاس متَّفقين على وُقوع القلقلة في أصواتها وقفًا، فإنهم قد تنازعوا في وجودها عند الوصل لضعف صُوَيتها وخفائه في تلك الحال؛ فمنهم مَن ألغاه بالكُلِّيَّة، ومنهم من أثبته في حالتي الوصل التام والوصل الجزئي (الدَّرْج). وسأقف عند كُلٍّ من هذين الرَّأيَين مُناقِشًا لهما، بُغيةَ الوصول إلى الرَّاجح منهما.

---

(1) انظر: عمر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، د.ط، 1994. ص270-271.

(2) عمر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. ص270.

بالرُّجوع إلى ما قرَّره سيبويه ؛ فإننا نجده يذكر أنَّ : «هذه الحروف التي يُسمع معها الصوت والنفخة في الوقف [1]، **لا يكونان فيهن في الوصل إذا سُكِّنَّ**؛ لأنك لا تنتظر أن يَنبُوَ لسانك؛ ولا يَفتُر الصوت حتى تَبتَدِئ صوتاً، وكذلك المهموس، لأنك لا تدع صوت الفم يطول حتى تَبتَدِئ صوتًا؛ وذلك قولك: أيقظْ عُمَيراً، وأخرجِ حاتماً، وأحرزْ مالاً، وأفرشْ خالداً، وحَرِّكْ عامراً، وإذا وقفت في المهموس والأربعة قلت: أفرشْ، واحبسْ؛ فمددت» [2]. فالقلقلة والنفخة إنما يُسمَعان مع هذه الحروف إذا سُكِّنَت في الوقف دون الوصل؛ لأنه لا نبوة للسان، ولا فتور للصوت الأول حتى يبتدىء الصوت الموصول به؛ «لأنَّ أخذك في ابتداء صوتٍ آخرَ يمنع الصَّوت أن يبلُغ تلك الغاية في السَّمع» [3]، فلا يتبيَّن.

فالقلقلة عند سيبويه مُمتنِعةٌ حال الوصل والدَّرْج لأنه لا فاصل زمني بين المُقلقل والصوت التالي؛ لاشتغال عُضو النُّطق حالَ الوصل بصوتٍ آخرَ يَشغلُه عن إتباع الحرف الأول صُويت القلقلة. يقول سيبويه: «ولا يكون شيء من هذه الأشياء في الوصل [4]؛ نحو أَذْهِبْ زيداً؛ وخُذْهما واحرُسْهما» [5]. فهذه الأمثلة الثلاثة تدُلُّ بوضوح تام على أنَّ الوصل عند سيبويه يشمل آخرَ الكلمة ودَرْج الكَلام.

وفي السِّياق ذاته يتحدَّث المُبرَّد فيقول: «وهذه القلقلة بعضها أشد من بعض، فإذا وَصَلتَ ذَهبَت تلك النَّبرة ؛ لأنَّك أخرجت لسانك عنها إلى صوتٍ آخر، فحال

---

(1) يُسمع الصوت مع حروف القلقلة، والنفخة مع الحروف المهموسة.

(2) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص175.

(3) المصدر السابق. ج4ص177.

(4) يعني: لا تكون القلقلة ولا النفخة ولا شبه النفخة في الوصل.

(5) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص176.

بينه وبين الاستقرار» [1]. وقال في موضع آخر: «وإِنَّما تظهر هَذِه النبرة فِي الْوَقْف، **فإِن وَصَلت لم يَكُن**؛ لأَنَّك أَخرجت اللِّسَان عَنْهَا إِلى صَوت آخر، فَحُلت بَينه وَبَين الِاسْتِقْرَار» [2]. فنبرة القلقلة تذهب حال الوصل ؛ لأَنَّ إخراج اللِّسَان عَنْهَا إِلى صَوت آخر، يحول بينه وبين الِاسْتِقْرَار ليَنبُوَ.

ويُؤيِّد هذا الطَّرح ابن يعيش؛ فيقول في سياق حديثه عمَّا يُتبَع بنبرةٍ أو نفخةٍ من الأصوات: «فجميعُ هذه لا يستطيع الوقوفُ عليها إلّا بصوت، فمتى أدرجتَها وحرّكتَها، زال ذلك الصوت، لأنّ أَخْذك في صوت آخرَ وحرفٍ سوى المذكور يشغلك عن إتباعِ الحرفَ الأوّل صوتًا» [3]، فالوصل يُدخل الحرف إلى صوت آخرَ، والتَّحريك «يُقَلْقِله قبل التَّمام، ويجتذِبُه إلى جَرس الحرف الَّذي مِنه حركتُه» [4]. فيُشغل الصوت بالوصل والحركة عن النبرة.

فيتحصَّل ممَّا نُقِل أنَّ القلقلة إنما تكون في الوقف، أمَّا الدَّرْج والوَصْل والتَّحريك، فكل ذلك لا قلقلة فيه. يقول ابن الطَّحَّان: «والقلقلة لا تكون إلا عند الوقف، ولا يُستطاع أن يُوقَف عليه دونها، مع طلب إظهار ذاته، وهي مع الرَّوم أَشدُّ» [5]. ثم استطرد قائلاً: «والنَّفخ صُوَيتٌ أيضًا حادثٌ عند خروج حرفه؛

---

(1) انظر : المقدسي أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز الأماني، تح: إبراهيم عطوة عوض، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط.1، 1981. ج3ص27.

(2) المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، لبنان، د.ط، د.ت. ج1ص196.

(3) ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج5ص286-287.

(4) المرجع السابق.

(5) انظر : ابن الطحان، عبد العزيز بن علي، مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، تح: حاتم صالح الضامن، مكتبة الصحابة- مكتبة التابعين، الإمارات -مصر، ط.1، 2007م. ص51.

لضغطه عن موضعه، ولكنه دون ضغط القلقلة... والنَّفخُ أيضًا لا يكون إلا في الوقف، فكُلُّ الصفات موجودة في مُتقلَّبات الحروف، إلا القلقلة والنفخ، فإنهما خِصِّيصان بالوقف» [1]. ومُراده بـ"متقلبات الحروف" الحالات المختلفة التي تنتاب الأصوات حال التركيب؛ فهذان الصُّوَيتان اختُصَّ بهما حال الوقف، وهما بذلك صفتان مستثنيتان من بقية الصفات التي تَلحَق الحرف في الوصل والوقف.

ويشرح هذا المعنى محمود السعران؛ فيقول: «القلقلة تتبع هذه الصوامت عندما تكون ساكنةً، ولا تحدُث عندما يَتبعُها مُصوِّتٌ قصيرٌ (حركة) أو مُصوِّتٌ طويلٌ (حرف مَدٍّ ولِين)، لأنه في هذه الحالة الأخيرة يكون المصوِّتُ نفسُه هو الصَّوت المُستَقِلُّ الضروري الذي يجب أن يَتبع الانفجاري عندما تزال العقبة الحابسة للهواء، لما كان جهر المصوت التالي للانفجاري يبدأ لحظة الانفجار» [2]، فلا مجال لصُوَيت القلقلة في التكوين، ثُمَّ إن المصوت مجهور، فاستُغنِي به عن صُوَيت القلقلة المجهور أيضاً.

فالقلقلة؛ إذًا صفةٌ عارضة لأحرف (قطب جد) [3] حالَ سُكونها «لأنها إذا سُكِّنت ضَعُفَت، فاشتبهت بغيرها، فيُحتاج إلى ظهور صوت يُشبه النَّبرة» [4]. لتخليصها من الضغط الناشئ عن إزعاج جهاز النُّطق بانغلاق المخرج، وتجنب الكلفة في بيانها. أمَّا عند نُطق الصوت مُحرَّكًا، فإنَّ طرفا عُضو مخرج النُّطق يتباعدان

---

(1) ابن الطحان، عبد العزيز بن علي، مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ.ص51.

(2) انظر: السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ص134.

(3) مثلُها مِثل التفخيم والترقيق والإدغام والإظهار وغيرها من الصفات التي تَعرِض للحرف في أحوالٍ وتنفك عنه في أخرى، وذلك لطروء سبب يتعلَّق بالجوار الصوتي للحرف، أو بالحرف نفسه من تحريكٍ أو إسكانٍ. انظر: السندي، عبد القيوم، صفحات في علوم القراءات. ص224.

(4) انظر : القسطلاني، أحمد بن محمد، اللآلئ السنية شرح المقدمة الجزرية. ص40.

فيتباعد الفكَّان، فيتقلقل الصوت قبل التَّمام مُتأثِّرًا بالحركة التي تجتذِبُه إلى جَرْس الحرف الَّذي مِنه حركتُه، فلا سبيل إلى قلقلته.

ثم إنَّه لو تحرَّك الصَّوت لكانت الحركة الكاملة ضما كانت أو فتحا أو كسرا، أوفى بأداء المطلوب من الحركة الخفيفة أو "مشروع الحركة"، فإذا كان شِبه الحركة يُظهِر الحرف المُقَلقَل إظهارًا واضِحًا، فالحركة في الوصول إلى هذه الغاية أَولى [1]. وكذلك في حال الدَّرْج والوصل لا قلقلة في الصوت؛ لانتفاء المُقتضي لها، وهو حصر الصَّوت وغياب نَبوة اللِّسان بسبب انعدام الفاصل الزمني بين المُقلقل والصوت التالي، إضافةً إلى قيام المانِع وهو اشتغال عُضو النُّطق بالصوت التّالي.

وهذا المذهب هو الذي عليه النُّحاة شرقًا وغربًا؛ وسأكتفي بأنموذجين من القرن السَّابع الهجري، أحدهما مغربي والآخر مشرقي. يقول ابن عُصفور: «وجميع الحروف التي تَسمع معها في الوقف صوتًا متى أدرجتها ووصلتها زال ذلك الصوت؛ لأنَّ أخذك في صوت آخر وحرف سوى الأوَّل يشغلك عن إتباع الحرف الأوَّل صوتًا، نحو: خُذْهُ واخفِضْهُ واحفظْهُ» [2]. ويقول الأستراباذي: «ولا يكون شيء من النفخ والصوت في الوصل؛ نحو: أذْهِبْ زيداً، وخُذْهما، واحرسْهما. وذلك لاتصال الحرف الثاني به، فلا يبقى لا صوتٌ ولا نفخٌ» [3]؛ فهذان النَّقلان شاهدان بأن صاحبيهما فَهِما من عبارة سيبويه أنَّ الوصل يتضمَّن الدَّرْج أيضًا، بل

(1) انظر: عمايره، إسماعيل أحمد، بحوث في الاستشراق واللغة. ص198.

(2) انظر : ابن عصفور، علي بن مؤمن، الممتع الكبير في التصريف، مكتبة لبنان، لبنان، ط.1، 1996م. ص428.

(3) انظر : الأستراباذي الرضي، محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب. ج3ص263.

حتى من خالف من علماء التجويد يرى ذلك، فنادرا ما تراهم يستعملون لفظة الدَّرْج.

وفيما تبنى هذا المذهب طائفة من علماء التجويد [1]، رجَّحت طائفةٌ أخرى وجود القلقلة في أصواتها وصلاً ووقفًا، إلا أنَّها تكون في الوقف أوضح في السَّمع؛ وهذا مذهب مكي بن أبي طالب [2]، وانتصر له ابن الجزري [3]، وتبنَّاه طائفةٌ مِن الأصواتيين؛ كحامد الشنبري [4] وكمال بشر [5]، انطلاقًا من تصوُّرٍ لصُوَيت القلقلة بأنَّه جُزءٌ من الشِّدَّة، وهو الذي يعطيها طابعها الانفجاري.

ويرى هؤلاء أنَّ ضعف القلقلة في الوصل أدَّى إلى إسقاطها، وهي في الحقيقة موجودةٌ؛ يقول النوري الصفاقسي: «ومن خصَّها بالوقف دون الوصل فقد وَهِم، إلا أنها في حال الوقف أظهر؛ لأنَّ الوقف محل انقطاع النَّفَس، وهي شديدةٌ مجهورةٌ

---

(1) انظر : ابن الباذِش، أحمد بن علي، الإقناع في القراءات السبع، تح: عبد المجيد قطامش، دار الفكر، سورية، ط.3، 1982م. ص185.

(2) فهو يُصرِّحُ قائلا : «فذلك الصوت [يعني: القلقلة] في الوقف عليهن أَبيَنُ مِنه في الوصل بهن». انظر: القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة. ص124.

(3) انظر : ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر. ج1ص203.

(4) يقول الشنبري: «وهذا الذي ذكره من أنَّ القلقلة تأتي في هذه الأصوات إذا كانت ساكنةً، ولو في غير الوقف صحيحٌ من وجهة النظر الصَّوتية، أمَّا ما نفاه من كون هذه القلقلة حركةً فليس بشيء؛ لأنها وإن كانت لا تعني الحركة في أصل الوضع اللغوي إلا أنها تشير إلى وجود حركةٍ تعقُب الحرف الذي اتَّسم بها، وهذه الحركة هي التي أسماها سيبويه (صُويت)، وأسماها غيره نبرة، والذي يترجَّح هنا: أنها سُمِّيت قلقلةً، نظرًا لأنَّ اللِّسان ينبو عن موضعه، ويتحرَّك ليتمكَّن من إصدار هذا الصُّوَيت». انظر : الشنبري، حامد بن أحمد، النظام الصوتي للغة العربية. ص30-31.

(5) انظر : بشر، كمال محمد، علم الأصوات. ص380.

تمنَع النَّفَس أن يجرِي معها، فاحتاجت إلى كثرة البيان» [1]. فالقلقلة عند هؤلاء «صفةٌ لازِمةٌ لهذه الأحرف الخمسة لكنّها في الموقوف عليه أقوى منها في السَّاكن الذي لم يُوقَف عليه، وفي المتحرّك قلقلة أيضاً، لكنّها أقلّ فيه من السَّاكن الذي لم يَوقَف عليه» [2]. وذلك «لأنَّ تعريف القلقلة باجتماع الشدة والجهر يُشير إلى أن حروف القلقلة لا تنفَكُّ عن القلقلة عند تحرُّكِها» [3]، لأنَّ القلقلة هي مُحصِّلةٌ لهاتين الصفتين: الشدّة والجهر، وهما تُلازِمان الحرف في حَالَي الحركة والسُّكون.

فعند هؤلاء القلقلة تَتَّضِح في السَّاكن لأنه بها يُتخلَّص من شدة الضيق في المخرج، وتخفى عند التَّحريك لأنَّ صُوَيتها يذوب في حركة الحرف، كما هو الحال في التَّفخيم بالنسبة للمستعلي المكسور، فكسرُه لا يُخرِجه عن وصف التفخيم بل يمنعه من الظهور. وهكذا فالمُقَلقَل المتحرِّك فيه أصل القلقلة لا القلقلة [4]؛ لأنَّ صِفتي الشدة والجهر لا تنفكَّان عنه، ثم إنَّ الحركة تُضعِف الصِّفة، ولا تُعدِمُها.

والجواب: أن القلقلة وصفٌ طارئ على الصوت اقتضاه الوقف، لا اجتماع الشدة والجهر؛ ففَرقٌ بين صفات الصامت محل القلقلة، وبين السبب المُقتضي لها، فلولا الوقف لما وُجِدت القلقلة، وليس كذلك التَّفخيم.

---

(1) انظر : النوري، علي بن محمد، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، تح: محمد الشاذلي النيفر، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، د.ط، د.ت. ص37.

(2) انظر : الجريسي، محمد مكي، نهاية القول المفيد في علم التجويد. ص55.

(3) المصدر السابق. ص79.

(4) انظر: العبد، فريال زكريا، الميزان في أحكام تجويد القرآن، دار الإيمان، مصر، د.ط، د.ت. ص79.

3 – **التَّخفيف** :

يقول سيبويه في حديثه عن النفخ والقلقلة المصاحبين لبعض الأصوات: «لا يكون في المضاعف في الحرف الأول إذا قلت: أحذُّ؛ ودقَّ؛ ورَشَّ» [1]، ويُوضِّح ذلك السِّيرافي فيقول: «يعني: أنَّ الحرف الأول من الذَّالَين في (أحذُّ)، والقافين في (دقَّ)، والشِّينَين في (رشَّ) لا يُمكن أن يكون بعده تصويتٌ ولا نفخٌ، لاتِّصال الحرف الثاني به، فكذلك هذه الحروف المُدغَمَة التي لم تُدغَم إذا وُصِلَت بغيرها، بَطَل فيها الصُّوَيت والنَّفخُ» [2]؛ فامتنع وجود القلقلة في الحرف الأوَّل من المشدَّد لأمرين:

أولهما : سقوط القلقلة في الوصل؛ وقد بيَّنت ذلك فيما سبق، بما لا مزيد عليه.

والآخر: أنَّ وجود القلقلة يمنع الإدغام الذي يؤدي إلى وضوح سمعي بدرجةٍ أعلى مما تؤديه القلقلة [3]. وبذلك تقتضي القلقلة أن لا تُدغَم أصواتُها فيما بعدها، فإن أُدغِمَت، فلا قلقلة في السَّاكن الأوَّل من المشدَّد؛ لأنَّه إذا قُلقِل انفكَّ الإدغام (الشَّدَّة).

---

(1) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص176.

(2) السيرافي، الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه، ج5ص48.

(3) انظر: البركاوي، ترتيل القرآن الكريم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة. ص74.

1 – عند القُدامى :

* اتَّفق جميع علماء اللغة وعلماء التجويد على قلقلة خمسة أحرف؛ هي: القاف، والطاء، والباء، والجيم، والدال . وجمعوها في عبارات لتُحفظ ؛ فقيل : قطب جد [1]، وقيل: جد طبق، وقيل: جطد قب، وقيل: قجط دب [2]، وقيل: "جد بطق" و"قد طبج" ، ومعنى "طبج" : حَمُق، وهو بكسر الباء، ومنهم من يفتحها، وفسَّره بـ: عاب [3]، وقيل: الطَّبْجُ: ضرب اليد على مجوَّفٍ [4]. وسنأتي على ما يتَّصل بكل صوت من أصوات القلقلة الخمسة هذه في فَصلٍ مُستَقِلٍّ به.

* أدرج بعض علماء اللغة والتجويد ضمن المُقَلقلات أصواتا أخرى؛ منها:

الهمزة : يقول أبو حيان النحوي في مَعرِض حديثه عن صفات الحروف: «والمجهورة الشديدة (طبق أجد)، وتسمى هذه حروف القلقلة» [5]، فأضاف إليها

---

(1) قال ابن الجزري: «قُطب جَد؛ يجوز أن يكون أصله : "قُطب جَدْي"، فنُقِلَت كسرة الياء إلى الدال على نية الوقف، وعُومِل مُعامَلَة المنقوص، فحذف الياء، فيكون فيه إشارة إلى قطب الجدي؛ وهو القطب الشمالي الذي بين الجدي والفَرقَدَين».

انظر : ابن الجزري، محمد بن محمد، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تح: أنس مهرة، دار الكتب العلمية ، لبنان، ط.2، 2000م. ص32.

(2) انظر: الزَّبيدي، محمّد بن محمّد، تاج العروس من جواهر القاموس. ج30ص279.

(3) انظر : أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز الأماني. ص754.

(4) انظر: الأستراباذي الرضي، محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب. ج3ص263.

(5) النحوي أبو حيان، محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد ورمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1998م. ج1ص17.

الهمزة، ثم قال بعد ذلك: «والمتقَلقِلة يجمعها قُطب جدٍ» [1]، فأسقطها منها، فلعلَّه فعل ذلك وِفاقًا للجُمهور، ويكون الأول اختياره لأنَّ الهمزة شاركت المتقَلقِلات الخمسة الشِّدَّةَ والجهرَ، ولذلك أضافها بعضهم، بناء على صُوَيت النَّبر الذي يليها عند تسكينها [2]. وكذلك مال بعض المعاصرين ممن يكتفي باشتراط الشدة للقلقلة إلى احتساب الهمزة المحققة من المقلقلات لأنها شديدة خالصة الشدة [3].

ورُدَّت هذه الإضافة من وجوه :

أولها : أنَّ الهمز مع كونه مجهورًا عند المتقدِّمين [4]، فقد «غيَّرَته العرب لثِقله، وتصرَّفت فيه ما لم تتصرَّف في غيره من الحروف، فأتت به على سبع أوجهٍ مُستعمَلَة في القرآن والكلام؛ جاءت به مُحقَّقاً، ومخفَّفاً، ومُبدَلاً بغيره، ومُلقًى حركته على ما قبله، ومحذوفاً ، ومُثبَتاً ، ومُسهَّلاً [5] بين حركته والحرف الذي منه حركته» [6]. فطُرُق

---

(1) النحوي أبو حيان، محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج1ص18.

(2) الجريسي، محمد مكي، نهاية القول المفيد في علم التجويد. ص55.

(3) انظر: عمايره، إسماعيل أحمد، بحوث في الاستشراق واللغة. ص216.

(4) خلافًا للمُحدَثين، الذين نعت بعضهم الهمزة بالمهموسة، بناء على أن إقفال الوترين الصوتيين مع هذا الصوت لا يسمح بوجود الجهر، ورآها آخرون لا مجهورةً ولا مهموسةً، لأنَّ وضع الحنجرة حال إنتاجها صوت الهمزة مُغايِرٌ تمامًا لوضعها أثناء الجهر أو الهمس.

انظر: حمدان، أكرم علي، الهمز بين القراء والنحاة، مجلة الجامعة الإسلامية، السعودية، 2005م. م13ع2ص24.

(5) يقول إسماعيل عمايره : «التخلص من خفاء الهمزة المترتب عن انفجاريتها يكون بتسهيلها أو إكسابها قدرا من التسهيل، والتسهيل يعني: إلغاء ظاهرة الانفجار المترتبة عن انغلاق النفس وتسهيل خروجه تسهيلا كاملا».

انظر: عمايره، إسماعيل أحمد، بحوث في الاستشراق واللغة. ص206.

(6) انظر : القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة. ص95.

التخلُّص السَّبعُ المذكورة أَدخلت على الهمزة بعض التَّخفيف [1]، فضعُفت بذلك شدَّة ضغطها، فاستغنت عن القلقلة.

الثاني: أنَّ الهمزة مع كونها شديدةً، فإنها تعتمد في مخرجها على جزء واحد، هو أقصى الحلق، بلا التصاق لجُزئَي المخرج، خِلافًا لحروف القلقلة التي تخرج جراء التقائهما، فتحتاج إلى إظهارها بالقلقلة.

الثالث: أنَّ الهمزة تُشبِهُ السُّعلة، وهي كما يقول سيبويه: «نبرةٌ في الصَّدر تخرُج باجتهادٍ، وهي أبعد الحروف مخرجاً، فثَقُل عليهم ذلك، لأنَّه كالتهُّوع» [2]؛ أي: التَّقيُّؤ. فالهمزة خلافًا لبقية الأصوات، تثقُل حال تسكينها سِيما إذا سُبقت بساكن، كما في (الماء، الشيء، الخبء)؛ لذلك كُلِّه تُلُطِّف في إخراجها سَاكنةً، ولم يُتكلَّف في ضغط مخرجها كما هو الحال مع القاف [3]، فلم تحتج إلى القلقلة.

التاء: يرى ابن جني أنَّ جَرس الصوت بالتاء والطاء عند الوقوف عليهما، أقوى منه وأظهر عند الوقوف على الدَّال [4]، ويقول أبو حيَّان النَّحوي: «والجُمهور على أنَّ الباء مُتقلقِلة دون التاء، وذهب بعض أهل النَّحو والأداء إلى أنها التاء دون الباء، وقد ذكر سيبويه التاء في المُتقلقلة، وهي من المهموسة، وقد ذكر لها نفخًا» [5]. وتابعه ابن الجزري فقال في حديثه عن المُقلقَلات: «وذكر سيبويه معها التاء، مع أنها

---

(1) انظر : الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص260.

(2) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج3ص548.

(3) المصدر السابق. ج4ص175.

(4) انظر : ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط.4، د.ت. ج1ص55-56.

(5) النحوي أبو حيان، محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج1ص18.

مهموسة، وذكر لها نفخاً، وهو قويٌّ في الاختبار» [1]. وبيَّن علَّة القلقلة فيها بقوله: «التَّاءُ: يُتَحَفَّظُ بِمَا فِيهَا مِنَ الشِّدَّةِ لِئَلَّا تَصِيرَ رِخْوَةً كَمَا يَنْطِقُ بِهَا بَعْضُ النَّاسِ، وَرُبَّمَا جُعِلَتْ سِينًا، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ سَاكِنَةً نَحْوَ: ﴿فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: 102]، وَ﴿فَتْرَةٍ﴾ [المائدة: 19]، و﴿يَتْلُونَ﴾ [البقرة: 113]، وَ﴿واتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: 27]، وَلِذَا أَدْخَلَهَا سِيبَوَيْهِ فِي جُمْلَةِ حُرُوفِ الْقَلْقَلَةِ» [2]، فالباعث على قلقلة التاء عند ابن الجزري هو الحفاظ على شدتها، لكننا نجده في كتاب آخر له يُصرِّحُ قائلاً: «قيل: إنها من حروف القلقلة، وهذا في غاية ما يكون من البُعد، لأنَّ كل حروف القلقلة مجهورة شديدة، ولو لَزِم ذلك في التَّاء لَلزِم في الكاف» [3]. فأسقط قلقلتها بالهمس الذي فيها.

وهذا النص الأخير من كتاب (التمهيد)، وهو ممَّا ألفه ابن الجزري في مُقتبل العمر؛ يقول في ذلك : «... وإِنْ كُنَّا قدْ أفْرَدْنا لذلك كتابنا: (التَّمْهِيدُ فِي التَّجْوِيدِ)، وهو مما أَلَفْناه حال اشتغالنا بهذا العلم في سِنِّ الْبُلُوغِ» [4]. وقد تراجع عن مسائل عِدَّة قرَّرها في كتابه هذا، كما يتبيَّن من مراجعة بقية كتبه الأخرى [5]، لما اشتد عوده وقوي اجتهاده.

ويظهر أنَّ ابن الجزري قد اطمأنَّ إلى قلقلة التاء، متابعةً لعلماء سبقوه، وإحسانا للظن بهم، وما عزاه إلى سيبويه سبقه إليه أبو حيان النحوي، مع أنَّه ليس ثمَّة نصٌّ

---

(1) انظر : ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، ج1ص203.

(2) المصدر السابق. ج1ص217.

(3) انظر : ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد، تح: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، السعودية، ط.1، 1985. ص111.

(4) انظر : ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر. ج1ص209.

(5) انظر : ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد. ص21.

صريحٌ من (الكتاب) يُقوِّيه، بل الرَّاجح أنَّه إمَّا أن يكون مُتابعةً منهما لمن تقدَّمهما، أو استنباطًا من عبارة سيبويه: «وأما الحروف المهموسة فكلُّها تقف عندها مع نفخٍ، لأنَّهنَّ يخرُجن مع التَّنفُّس لا صوت الصَّدر؛ وإنما تَنسَلُّ معه. وبعض العرب أشَدُّ نفخاً؛ كأنهم الذين يرومون الحركة فلابد من النَّفخ؛ لأن النَّفَس تسمعه كالنَّفخ» [1]. فابن الجَزَري، فيما تقدَّم من كلامه، يُعلِّل إلحاق التاء بالمُقلقلات بأمرين: النفخ الذي يعقُب إخراجها ساكنةً، والمُحافظة على الشِّدَّةِ التي فيها. ولا يخفى أنَّ سيبويه قد فرَّق بين النفخ والقلقلة، كما أنَّه تنصيصه على المجهورات دليلٌ على اشتراطه الجهر في المقلقلات زيادة على الشدة.

وقد وجدت لما ذكره ابن الجزري وأبو حيان شاهدًا يُطابِقه عند السيرافي من سياق شرحه لعبارة سيبويه المتقدِّمة: «ومثلها [2] في النفخ جميع الحروف المهموسة، فأجمَلَها، وهي عشرة أحرف: السين والشين والصاد والحاء والخاء والثاء والكاف والفاء والهاء والتاء، **وقد ذكر التَّاء في حروف القلقلة، وهي من الحروف المهموسة، وقد ذكر لها نفخًا**» [3]. فلم يزِد ابن الجزري على كلام السيرافي إلا بأن أقرَّه قائلاً: «وهو قويٌّ في الاختبار» [4]، وهذا يعني: أنه قد تأكَّد من ذلك عَمليًّا.

وظنِّي أنَّ ما وقع عند السيرافي خطأٌ سببه انتقال النَّظر ؛ فهو قد نقل عن سيبويه في تعداده حروف القلقلة قولَه : «وذلك : القاف ، والجيم ، والطاء ، والدال، والباء» [5]، لكنه في بيانه كيفية امتحان حروف القلقلة يقول: «ينبغي إذا أردت

---

(1) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص175.

(2) أي: الزاي، والظاء، والذال، والضاد.

(3) السيرافي، الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه. ج5ص47.

(4) انظر : ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد. ج1ص203.

(5) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص174.

امتحان ذلك أن تبتدئ بحرف من الحروف، وتُثَنِّيَ بأحد هذه الحروف الخمسة فتقف عليه، فإنك تسمع صُوَيتًا عند الوقف عليه؛ كقولك: اقْ واجْ واطْ وادْ واتْ، وقد تدخل في ذلك الكاف كقولك: اكْ» [1]. فاستبدل التاء بالباء، وبنى على ذلك قولَه فيما بعد «وقد ذكر -يعني: سيبويه- التَّاء في حروف القلقلة، وهي من الحروف المهموسة، وقد ذكر لها نفخًا» [2]، فقوَّى الشُّبهة في إلحاق التَّاء بالمقلقلات عند السيرافي: كونها تُتبَع بالنفخة حال الوقف، مع أنَّه صرَّح في سياق حديثه عن المهموسات بأنَّ : «التَّاء أثبتُهُنَّ في الهمس» [3]، والمُقَلقَل لا يكون إلا مجهورًا.

فالذي يظهر أنَّ ما نُسِب إلى سيبويه من إلحاقِ التاء بالأسرة الصوتية (قطب جد) ليس سوى وَهمٍ محضٍ، أورثه انتقال نظر؛ تَسلسَل من السيرافي إلى مَن جاء بعده، بل نصُّ سيبويه نفسِه يردُّه؛ فهو قد خصَّ المهموسات بوصف آخر غير القلقلة، إنه النَّفخ؛ يقول في ذلك: «الحروف المهموسة كلها تقف عندها مع نفخٍ، لأنهن يخرجن مع التَّنفُّس لا صوت الصَّدر؛ وإنما تَنسَلُّ معه. وبعض العرب أشد نفخاً؛ كأنهم الذين يرومون الحركة، فلابد من النَّفخ؛ لأن النَّفَس تسمعه كالنَّفخ» [4]. وهذا النَّفخ يشترك مع القلقلة في أمرين: كونُه يوجد حال الوقف دون الوصل [5]، وأنَّه يكون مع الرَّوم أشدَّ.

ولعلَّ الضعف الذي يُمَيِّز التاء هو الذي قوَّى الشُّبهة في وجوب قلقلته لإظهاره، يقول ابن الجزري : «وإذا سُكِّنت التاء وأتى بعدها حرف من حروف

---

(1) السيرافي، الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه. ج5ص46.

(2) المصدر السابق. ج5ص47.

(3) المصدر نفسه. ج 5ص396.

(4) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص175.

(5) المصدر السابق. ج4ص175-176.

المعجم، فاحذر إخفاءها في نحو قوله ﴿فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: 102]، وقيل: لأن التاء حرفٌ فيه ضعفٌ، وإذا سُكِّن ضَعُف، فلا بد من إظهاره لِشِدَّته» [1]. وقد جاء إظهار هذا الصوت عند العرب على صورتين مغايِرَتَين للإظهار في أصوات القلقلة [2] :

الأولى : إنهاء الانفجار الذي يعقُب التاء بصوت ناتج عن ارتداد اللسان في حركة انزلاقية خفيفة عن موضع مخرج التاء باتجاه الحنك. وهذا المنحى على قدر من الصعوبة؛ لأن حركة اللسان بهذا تخالف مجرى اندفاع الهواء، وبذلك لا تمثل هذه الصورة الطريقة الأسهل في التخلص من الشدة، ولا الوضع الأفضل لإظهار التاء.

الثانية: إنهاء الانفجار بشيء من الصفير المكتَسَب من قُرب التاء مخرجًا من السين، فتُشرَب التَّاء سينًا. يقول شُرَيح عن التاء: «القُرَّاء قد يتفاضلون فيها؛ فتلتبس في ألفاظهم بالسين لقُرب مخرجها، فيُحدِثون فيها رخاوةً وصفيراً، وذلك أنهم لا يَصعدون بها إلى جهة الحنك، إنما يَنحُون بها إلى جهة الثنايا، وهناك مخرج السين» [3]، فيُقرِّبونها منه لإكسابها قدرًا من الرَّخاوة كَسرًا لانفجارِيَّتها.

الكاف: نظرًا للقُرب المخرجي الكائن بين القاف والكاف، والإبدال الواقع بينهما، كما سيأتي بيانه مُفصَّلاً في موضعه من هذه الرِّسالة، عَدَّها المبرد في المقلقلات، فقال: «وَاعْلَم أَنَّ من الْحُرُوف حروفا محصورة فِي موَاضعهَا، فَتُسمع عِنْد الْوَقْف على الْحَرْف مِنْهَا نبرةٌ تتبعه، وَهِي حُرُوف القَلْقَلَة، وإِذا تفقَّدت ذَلِك وجدته؛ فَمِنْهَا: الْقَاف وَالْكَاف، إِلاَّ أَنَّها دون الْقَاف لأَنَّ حَصْر الْقَاف أَشدّ» [4]. وكرَّر هذا المعنى

---

(1) ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد. ص114.

(2) انظر: عمايره، إسماعيل أحمد، بحوث في الاستشراق واللغة. ص209.

(3) ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد. ص113.

(4) المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب. ج1ص196.

بقوله: «وَهَذِه الْمُقَلْقَلَة بَعْضهَا أَشدّ حَصرًا من بعض، كَمَا ذكرت لَك فِي الْقَاف وَالْكَاف» [1]. فالمقَلقِلات عند المبرد: حُرُوف تُسمع فِي الْوَقْف عِنْدهَا نَبْرةٌ تتبعها، لأَنَّها محصورة فِي موَاضعهَا، على تفاوُتٍ بينها في شدة الحصر.

وفي حديثه عن كيفية امتحان حروف القلقلة، يقول تلميذه السيرافي: «ينبغي إذا أردت امتحان ذلك أن تبتدِئ بحرف من الحروف، وتُثَنِّيَ بأحد هذه الحروف الخمسة فتقف عليه، فإنك تسمع صُوَيتًا عند الوقف عليه؛ كقولك: اقْ، واجْ، واطْ، وادْ، واتْ، وقد تدخل في ذلك الكاف كقولك: اكْ» [2]. فالسيرافي أقرَّ شيخه على مذهبه بناء على تجربة شخصية، وتابعهما ابن يعيش [3]، وقد يكون ثمَّة آخرون. وعُمدة هؤلاء الحصر الواقع على الصَّوت.

ولعلَّ المبرد ممَّن يكتفي باشتراط الشِّدَّة للقلقلة، فقد قال في حديثه عن الأصوات الشديدة : «إِذا لفظت بهَا لم يتّسع مخرج النَّفس مَعهَا... نَحْو: الْهمزَة وَالْقَاف وَالْكَاف والتاءِ» [4]؛ فمثَّل للشديد من الأصوات بهذه الأربعة، وقد ذكر فيها القاف والكاف، ونصَّ عليهما في حديثه عن القلقلة. وقد تنبَّه لذلك المرعشي فقال مُعَلِّقًا على مقالة المبرد السَّابقة: «فكأَنَّه لم يشترط قُوَّة الصَّوت الزَّائد، وإن شرط انحصار صوت الحرف قبلَه ، لكن يلزمه حينئذٍ أن يعُدَّ منها التاء الْمُثنَّاة الفوقية أيضًا» [5]، يعني: لأنَّها على شرطه في الاعتداد بالشِّدَّة وحدها للقلقلة.

---

(1) المصدر السابق. ج1ص196.

(2) السيرافي، الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه. ج5ص46.

(3) ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج5ص524.

(4) المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب. ج1ص195.

(5) المرعشي (ساج قلي زاده)، محمد بن أبي بكر، جهد المقل في تجويد القرآن العظيم، تح: سالم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط.1، 2000. ص56.

والذي أراه أنَّ ذلك لا يلزم المبرد، فإنه لم يستقص قائمة المتقلقلات، بل اكتفى بالتمثيل لها ذاكرا القاف والكاف، وما يُشعِر بأنها طويلة قوله : «وَهَذِه الْمُقَلْقِلَة بَعْضهَا أَشدّ حصرا من بعض، كَمَا ذكرت لَك فِي الْقَاف وَالْكَاف» [1]. وقد يكون المبرَّد -خلافًا لسيبويه- لم يُفرِّق بين الأصوات الثلاثة التي تتبعُها الحروف حال الوقف، فأدرجها جميعًا تحت مُسمَّى القلقلة، وفرَّق بينها بأن فاوت بينها في شدة الصوت الخارج، فهو يعُدُّ كل صوتٍ أعقب حرفًا يُحصر في موضعه إذا وُقف عليه مُقلقَلاً. وعليه؛ فلا خلاف بين الرَّجلين؛ إنما هو اصطلاح، ولا مُشاحَّة في الاصطلاح.

وقد نقل ابن الحاجب عن بعضهم أنه جعل: «الكاف والتّاء من المجهورة، ورأى أنّ الشِّدَّة تُؤكِّد الجهر» [2]. وردَّه بقوله: «وأمَّا جعله الكاف والتاء من المجهورة فبعيدٌ؛ لأنه ليس الشِّدَّة في الجهر، وإنما الشدة في: انحصار جري الصوت عند الإسكان، والجهر: انحصار جري النفس مع تحركه. وقد يجري النَّفس ولا يجري الصوت، كالكاف والياء، وقد يجري الصَّوت ولا يجري النَّفس، كالضاد والعين» [3]. والبعض المُشار إليه هو السكَّاكي [4]، ومع أنَّ الكاف والتاء قد استَوفَيَتا

---

(1) المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب. ج1ص196.

(2) ابن الحاجب، عثمان بن عمر، الشافية في علمي التصريف والخط، تح: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، مصر، ط.1، 2010م. ص97.

(3) انظر: الأستراباذي، حسن بن محمد، شرح شافية ابن الحاجب، تح: عبد المقصود محمد، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط.1، 2004. ج2ص928.

(4) فالجهر عنده: انحصار النَّفَس في مخرج الحرف، فإذا تم الانحصار سمي الصوت شديدًا. وقد عدَّ في المجهورة : الكاف والتاء. انظر: السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.2، 1987. ص11.

شروط القلقلة عنده، إلا أنَّه لم يعدَّهما في المُتقلِقلات ؛ فهو يُصرِّح قائلاً: «وإذا تَبع تمام الانحصار حفزٌ وضغطٌ، كما في حروف قولك: قد طبج، سُمِّيت حروف القلقلة» [1]. وهذا على مذهبه في كون الشِّدَّة أعلى درجات الجهر، وبذلك فهي غير كافية لحدوث القلقلة ما لم يُضَف إليها ضغطٌ وحَصرٌ، وهو ما لم تتوفَّر عليه الكاف والتاء.

وَمُجمَل ما ذكره من رفض إدخال الكاف دائرةَ المقلقلات، يَتمثَّل في :

- أنَّ اجتماع صفة الشدة مع الهمس في التاء والكاف الساكنتين يُثمِر صُويتًا مُتميِّزًا، ولعلَّ هذا الصُّويت هو الذي حملهم على تصنيفه تحت باب القلقلة؛ يقول المرعشي : «ولم يُعدَّ الكافُ والتَّاءُ المثنَّاة الفَوقِيَّة من حروف القلقلة مع أنَّ فيهما صوتًا زائداً حدث عند انفتاح مخرجيهما ؛ لأنَّ ذلك الصوت فيهما يُلابس جَري نَفسٍ، أي: بسبب ضعف الاعتماد على المخرج، فهو صوتُ همسٍ ضعيفٍ، ولذا عُدَّتا شديدتين مهموستين؛ فلو لم يُلابَس ذلك الصوت فيهما بجَري نَفَسٍ لكان قلقلةً، ولكان التَّاء دالاً» [2]؛ أي: لَأصبحت مجهورةً.

- أنَّ في الكاف كما في التاء صفةً تنوب مَناب القلقلة للتخلُّص من شِدَّتهما، ألا وهي صفة الهمس، فالهمس فيهما يَتبع صفة الشدة ولا يتزامن معها، بل الشدة أولا فالهمس ثانيًا؛ فبعد قفل المخرج انقفالاً تاماً ـ وهذه هي صفة الشدة ـ ينفتح، ويخرج الهواء، وهذه صفة الهمس. فالشِّدَّة باعتبار الابتداء، والهمس باعتبار الانتهاء. وبذلك تُكسَب الكاف والتاء أيضًا قَدرًا من الاحتكاك فيتخلَّصان من الخفاء

(1) السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم. ص12.

(2) انظر : الجريسي، محمد مكي، نهاية القول المفيد في علم التجويد. ص57.

المترتب على انحباس الصوت [1] جرَّاء الشدة؛ فأغنتهما صفة الاحتكاك عن حركة القلقلة.

- أنَّ القول بقلقلة الكاف يُفضي إلى أن يبالغ الناس في إتيانها، فيخرج بذلك لفظها إلى غير المعهود؛ والهدف من القلقلة الحفاظ على الخصوصية الصوتية لأحرفها، لا تغييرها. كما وقع مع كاف المؤنّث، فهذه الكاف لأنَّها تخفى في الوقف بسبب الكسرة الدالّة على التأنيث [2]، حَرَص بعض العرب على بيانها؛ فزادت بنو أسد وتميم عليها شينًا مُعجَمَةً، فأُنهِي الكاف الانفجاري بالشين الاحتكاكي، فتشكَّلت ظاهرة الكشكشة. وزادت قبيلة بَكرٍ سينًا مُهمَلَةً، فقَرَّبُوا مخرج الكاف من مخرج التاء، وأَتبَعُوه السِّينَ الاحتكاكي الصفيري، فَالْتَقَت التاء مع السين، فوُجِدت بذلك الكسكسة [3].

فالأسهل في نُطق الكاف إنهاء انفجارها بصوت ناتج عن اندفاع اللسان إلى الأمام لِتُقَرَّب من الفم، ولا ينبغي أن يرتد إلى الخلف حتى لا يُعاكِس مجرى اندفاع الهواء [4]. والحلُّ الأمثل لتفادي خفاء الكاف حال الوقف ليس بالقلقلة، وإنما بقدر خفيف من التَّنفيس، أي: بإكسابها قدرا من الاحتكاك (الرَّخاوة).

اللام: ضمَّ بعضهم اللام إلى المتقلقلات، قال المرعشي: «وإنما يُقلقلها [يعني: الفاء واللام] حِرصًا على إظهارهما وحَذَرًا عن إدغامهما فيما بعدهما» [5]؛ فالباعث على قلقلة اللام عند من يراها إنما هو إبراز اللام لئلاَّ تذوب فيما بعدها. وقد تحدَّث

---

(1) انظر: عمايره، إسماعيل أحمد، بحوث في الاستشراق واللغة. ص216.

(2) انظر: ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج5ص180.

(3) انظر: عمايره، إسماعيل أحمد، بحوث في الاستشراق واللغة. ص210-211.

(4) المرجع السابق. ص210.

(5) انظر: الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية. ص263.

سيبويه عن اللام وجعلها مع النون والميم في مجموعة واحدة، ونعتها بـ"المُشربة" أيضًا، غير أنها لا يُوقَف عليها بصوت ولا نفخ؛ لأنها لا تجد منفذاً كما وجد في (الزاي، والظاء، والذال، والضاد)، و لم تُضغط ضغط القاف [1]. فامتنع قلقلة اللام والنون لضعف الضغط، و«لأنهما ارتفعا عن الثنايا، فلم يجدا مَنفذًا، وكذلك الميم لأنك تضم شفتيك ولا تُجافيهما، يعني: لا تُجافي شفتيك كما جافيت لسانك في الأربعة حيث وجدن المنفذ» [2]، لأجل ذلك امتنع الوقف عليهما بالنَّفخ.

الضاد والزاي والذال والظاء: ألحقها بعضهم بالمُتَقَلِقِلات، لتُتُوِّها وضغطها في مواضعها، حكاه ابن أبي مريم الشيرازي، وردَّه بقوله: «إلا أنها، وإن كانت مُشرَبة في المخارج، فإنها غير مضغوطة كضغط الحروف الخمسة التي ذكرناها، لكن يخرج معها عند الوقوف عليها شِبه النَّفخ، لنشرها في اللَّها واللِّسان» [3]. وأصل هذه الحُجَّة منقولٌ عن سيبويه [4]، وقد أوضح السيرافي مقصده بقوله: «ذكر الأربعة: الظاء، والذال، والضاد، والزاي؛ لأنها من الحروف المجهورة» [5]؛ فكأنه للجهر الذي فيها، أُتبِعَت بالنَّفخ تأمينا لها من أن تُهمَس، ولم يُحتَج إلى قلقلتها لرخاوتها. أما الضاد المُعاصرة فهي تُنطق كما لو كانت دالا مفخما، مع أنها بحسب هذا النطق مجهورة انفجارية، ولا تنتهي بأي ذيول صوتية احتكاكية كما هي الحال في التاء

---

(1) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص175.

(2) السيرافي، الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه. ج5ص47.

(3) انظر : ابن أبي مريم، نصر بن علي، الموضح في وجوه القراءات وعللها، تح: عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، السعودية، ط.1، 1993 م. ج1ص176.

(4) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص174.

(5) السيرافي، الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه. ج5ص47.

والكاف. فهي بذلك صوت مقلقل، فتطوُّر نُطق هذا الصوت يُؤهِّله لغويا للدخول في باب القلقلة، وعدمُ قلقلته يُؤهِّله للخفاء [1].

الفاء: رأى بعضهم أن يُقلقلها حِرصًا على إظهارها، وحَذَرًا عن إدغامها فيما بعدها، وقد ذكر سيبويه في المهموسات العشرة التي تلحقها النفخة، وهي تلي القلقلة في القوة، ولعلَّ ذلك ما دفع بعضهم إلى إلحاقها بالْمُتَقَلقِلات، لكنَّ همس الفاء يمنعها من ذلك، كما هو بيِّنٌ.

2- عند المحدثين :

* انقسم علماء الأصوات إلى طائفتين :

الأولى : اشترطت الشِّدَّة وحدها، وِفاقًا لطائفة من القُدامى؛ فالصَّوامت الشَّديدة عند هؤلاء تخضع جميعها للقلقلة -سواءٌ المجهورة منها والمهموسة-، بدليل التَّحليل الفيزيائي لهذه الصَّوامت. فعندهم: الهمزة، والقاف (لهوية مهموسة أو قصية مجهورة)، والطاء (بالوصف القديم أو حسب نطقنا الآن) [2]، والكاف، والجيم (بصورتيها القاهرية والفصيحة)، والضاد (في نطق المصريين ومن حذا حذوهم، لا الضاد القديمة فهي احتكاكية)، والدال، والتاء، والباء؛ كُلُّ هذه الأصوات تخضع لعملية القلقلة [3]. فوسَّع هؤلاء دائرة المقلقلات، ولم يُفرِّقوا بين الأصوات التي تلحق الحروف حال الوقف، كما فعل سيبويه. ولا شكَّ أن التفريق

---

(1) انظر: عمايره، إسماعيل أحمد، بحوث في الاستشراق واللغة. ص212.

(2) لا تزال ظاهرة القلقلة بارزة في القاف والطاء على الرغم من وصفهما لدى المحدثين بالهمس؛ يقول غانم قدوري الحمد : «ولعلَّ ما في الطاء من الإطباق، وما في القاف من الاستعلاء قد قوَّى صوت القلقلة فيهما».

انظر : الحمد، غانم قدوري، شرح المقدمة الجزرية. ص308.

(3) انظر : بشر، كمال محمد، علم الأصوات. ص390.

بين أنواع الأصوات التابعة لحروف بعينها حل الوقف، هو الصواب في هذا المقام، وقد تقدَّم الحديث عنه مُفصَّلاً.

والأخرى: وافقت على اشتراط الشدة والجهر في ما يُقلقل من الأصوات، إلا أنهم اختلفوا مع جمهور القدماء في انطباق ذينك الوصفين على بعض الأصوات؛ فالقاف والطاء عندهم مهموسان لا مجهوران، والجيم صامتٌ رِخوٌ لا شديدٌ. وسأبحث هذه المسائل في مَظانها من الفصول المفردة لأصوات القلقلة.

* اختلف العلماء في الكيفية التي بها تُؤدَّى أصوات القلقلة ؛ فرأى بعضهم أنَّ القلقلة ساكنةٌ، ورأى آخرون أنَّها إلى الحركة مائلةٌ. وقد اختلف هؤلاء؛ فمن قائلٍ إنها تميل ناحية الفتح مُطلَقًا، وأتبَعَها بعضهم حركة الحرف قبلَها، وبعضهم يُتبِعُها حركة الحرف بعدَها.

1 – القائلون بميلها إلى السُّكون :

القلقلة عند هؤلاء تكون أقرب إلى هيئة خاصة بالصوت؛ فحركتها موضعية لا إعرابية انتقالية، كمن يُراوِح مكانَه، فهو مُتحرِّكٌ في نفسه، وساكن بلِحاظ عدم انتقال موضعه لموضع آخر. فالقلقلة عندهم صوتٌ لا يُشبِه أيًّا من الحركات الثلاث: الفتحة والضمة والكسرة، ولا يُصاحِبه شائبةُ حركةٍ من الحركات الثلاث، وهو مُستقِلٌّ غير مُتأثِّرٍ بحركة ما قبله [1] أو ما بعده.

وهذا المذهب فيه تناقضٌ ظاهرٌ؛ فأصحابه يُقَرِّرون بأنَّ القلقلة: «هي الحركة الاضطرابية، أي: حالة بين الحركة والسكون؛ فالحرف الساكن المقلقل ليس ساكنا تماما، كبقية الحروف الساكنة؛ لخروجه بالتباعد بين طرفي عضو النطق مشبها في ذلك الحروف المتحركة. كما أنه ليس متحركا لأنه لا يصاحبه عند النطق به انفتاح للفم ولا انضمام للشفتين، ولا انخفاض للفك السفلي» [2]. ثم بعد ذلك يُعرِّفون

---

(1) انظر : سالم، صفوت محمود، فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية، دار نور المكتبات، السعودية، ط.2، 2003م. ص45.

(2) شقفي، رحاب محمد مفيد، حلية التلاوة في تجويد القرآن الكريم، مكتبة روابع المكلة، السعودية، ط.2، 2008م. ص139.

القلقلة بأنها: «إخراج الحرف المقلقل حال سكونه، بالتباعد بين طرفي عضو النُّطق، دون أن يُصاحبه شائبة حركة من الحركات الثلاث» [1]. وهذا غير معقول؛ لأنه إذا كانت القلقلة غير مشوبة بحركةٍ من إحدى الثلاث الممكِنة، وليس ثمة غيرها، فكيف يتأتَّى تحقيق الحركة الاضطرابية ؟!

وأما احتجاجهم بأنَّ الميل بالقلقلة تجاه الحركة تبعيضٌ للحركة، وذلك إمَّا رَومٌ وإمَّا اختلاسٌ؛ ولا قائل بهما [2]. فالجواب: أن القلقلة إنما تكون وقفا، فلا حديث عن الاختلاس الذي إنما يكون حال الوصل [3]، وأما الرَّومُ [4]، فقد ثبت عن سيبويه، كما سيأتي، أنَّ بعض العرب ربما رام بالقلقلة الحركةَ، فلا إشكال فيه.

2 – القائلون بميلها إلى الحركة :

وهذا مذهب العديد من العلماء المعتبرين كابن الحاجب والجاربردي، وعبارة سيبويه تُشير إليه، فهو يقول: «الدَّليل على ذلك أنك تقول: الحِذق، فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصُّوَيت، لشدة ضغط الحرف. وبعض العرب أشدُّ صوتاً، كأنَّهم

---

(1) شققي، رحاب محمد مفيد، حلية التلاوة في تجويد القرآن الكريم. ص138.

(2) المرجع السابق. ص139.

(3) يعرفه أبو عمرو الداني بقوله: «وأما المختَلَس حركَتُه من الحُروف؛ فحقُّه أن يُسرع اللَّفظ به إسراعًا، يَظُنُّ السَّامع أنَّ حركته قد ذهبت من اللَّفظ لِشِدَّة الإسراع، وهي كاملةٌ في الوزن، تامَّةٌ في الحقيقة، إلا أنها لم تمطَّط ولا تُرُسِّل بها، فخَفِي إشباعُها، ولم يتبيَّن تحقيقُها».

انظر: الداني أبو عمرو، عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، مكتبة دار الأنبار، العراق، ط.1، 1988م. ص97.

(4) يقول السخاوي: «وأما المُرامُ حركتُهُ عند الوقف أو حال الوصل؛ فحقُّه أن يُضعِف الصوت لحركته، أيَّ حركةٍ كانت، ولا يتم النُّطق بها، فيذهب بذلك مُعظَمُها، ويُسمع لها صوتٌ خَفِيٌّ يُدركه الأعمى بحاسَّة السَّمع».

انظر : السخاوي، علي بن محمد، جمال القراء وكمال الإقراء. ج2ص532.

الذين يرومون الحركة» [1]؛ فسمَّاه صُويتًا، وأخبر أنَّ بعضهم قد يبلُغ به حدَّ الرَّوم، وهذا صريحٌ أنَّ في القلقلة تحريكًا ما. يقول ابن أبي مريم الشيرازي: «وهي حروفٌ مُشربَةٌ من مخارجها إلا أنها لا تُضغط ضغط الحُروف المطبَقة غير أنها قريبةٌ منها، فإنَّ فيها أصواتًا كالحركات تتقلقل عند خروجها» [2]، وذلك يعني أنَّ «إظهار القلقلة في الحرف السَّاكن يُشبِه تحريكَه» [3]، كما يقول المرعشي.

فالقلقلة إذًا حالةٌ وُسطى بين الإسكان والتحريك؛ فـ«صوتها لا يكاد يتبيَّن به سكونها، ما لم يخرُج إلى شِبه التَّحريك، لشِدَّة أمرها من قولهم: قَلقَلهُ إذا حرَّكه» [4]. إنها حالةٌ من القلق الصوتي؛ فالمُقَلقَل يُشابِه المُتحرِّك في كونهما معًا يخرجان بالتباعد بين طرفي عضو المخرج، وهو يُشبِه الحرف السَّاكن من حيث أنه لا يُصاحِبه تحريكٌ للفكَّين يُناسِب الحركة [5]. وإلى هذا المعنى تشير عبارة (صوتٌ زائدٌ) التي كرَّرها المتقدِّمون، وهي تدل على امتناع الإتيان بهذه الأحرف ساكنة. وهذا الصوت الزائد كالصوت الزائد في الإشمام والاختلاس أو الرَّوم، أي أنه جزء من الحركة القصيرة، فهو حركة ذات قيمة أدائية؛ أي ليست وحدات صوتية كاملة لها مقابل في المعنى. وهذا أمرٌ أكَّدته الدِّراسات الصوتية الحديثة؛ يقول محمود السعران : «الصوت الإضافي في حالة "حروف القلقلة" يُشبَّه "بالحركة" أي: بالصَّائت القصير» [6].

---

(1) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص174.

(2) انظر: ابن أبي مريم، نصر بن علي، الموضح في وجوه القراءات وعللها. ج1ص176.

(3) انظر: المرعشي، محمد بن أبي بكر، جهد المقل. ص57.

(4) انظر: أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز الأماني. ص755.

(5) كما هو في المتحرِّك؛ حيث يُصاحِب الحرف المفتوح انفتاح ما بين الفكين، ويصاحب الحرف المضموم انضمام للفم، ويصاحب الحرف المكسور انخفاض الفك السفلى.

(6) انظر: السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ص135.

لكن هل حركة القلقلة مستقلة عن جوارها الصوتي أو تابعة له ؟ هاهنا قولان:

أ/ القائلون بتبعية القلقلة لجوارها الصوتي :

يرى هؤلاء أنَّ الصَّوت المُقلقَل يتحرَّك بحركة مُناسبةٍ لجواره الصوتي، لتَتَحقَّق المجانسة في الأداء وتتناسق الحروف المتتابعة، وتتناسب الحركات. وتحت هذا الرأي قولان:

أحدهما: أنَّ المُقَلقَل يُقَرَّب من حركة الحرف قبلَه؛ يقول حجازي: «تجب المبالغة في القلقلة حتى يَسمع غيرُك نبرةً قويَّةً عاليةً، بحيث تُشبِه الحركة، أيْ: حركةَ ما قبله، وتَتبَع الحرف بعد سُكونه» [1]. فتكون إلى الفتح أقرب، إن كان ما قبله مفتوحًا. وإن كان ما قبله مضموما، كانت قلقلته أقرب إلى الضم. وإن كُسِر ما قبله، كان المُقَلقَل إلى الكسر أقرب. واحتُجَّ على هؤلاء بأنَّ إتباع المقلقل حركةَ الحرف قبلَه لا تحقِّق الغرض من القلقلة؛ فكلمة ﴿لَـمُبْتلين﴾ [المؤمنون: 30]، مثلاً، لو أُتبِعت القلقلة في الباء الضمَّة قبلَها، لَظَلَّ في اللَّفظة ثِقَلٌ على اللِّسان، وانتفى الغرض من القلقلة. ثم إنَّ في ذلك إلزامًا للمتكلم أن يستحضِر حركة الحرف قبله حال اللفظ بالمقلقل ليميل بصُوَيت القلقلة صوبها، وفي ذلك مشقَّةٌ ظاهرةٌ.

والآخر: أنَّ المُقَلقَل يُقَرَّب من حركة الحرف بعدَه؛ فإن كان ما بعده مفتوحًا، فقلقلته للفتح أقرب. وإن كان ما بعده مضمومًا، فقلقلته للضم أقرب. وإن كان ما بعده مكسورًا، كانت القلقلة أقرب للكسر [2]. وإذا كان المُقَلقل مسبوقًا بساكن، أُتبع بحركة ما قبل الساكن، فالساكن ليس بحاجز. ورُدَّ هذا المذهب بـ«أنَّ السَّاكن

---

(1) انظر : الجريسي، محمد مكي، نهاية القول المفيد في علم التجويد. ص63.

(2) انظر : بسّة، محمود بن علي، العميد في علم التجويد، تح: محمد الصادق قمحاوي، دار العقيدة، مصر، ط.1، 2004م. ص77.

الموقوف عليه كحرف الدال في نحو قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدْ﴾ [الفاتحة: 5]، لا يتأتَّى فيه إتباعه لما بعده، لذهاب حركة ما بعده بسبب الوقف عليه» [1]. فالوقف على آخر الكلمة تبطل به حركة الحرف الأول من الكلمة الأخرى، لأنها لم تذكر أصلاً.

وإجمالاً، لا مجال لتحريك الصَّوت المُقلقَل بحركة ما قبله أو ما بعده؛ فتأثُّر الصُّوَيت بحركة ما قبله مُمتنِعٌ لبُعده عنه زماناً ومكاناً، وكذلك تأثره بحركة ما بعده؛ لأنَّ صوت الحرف التالي يَسبق يقيناً حركته، فلا حركة بلا حرف، لذلك يتعذَّرُ تحريك الصامت الأول بتلك الحركة.

ب/ القائلون باستقلال القلقلة عن جوارها الصوتي :

يرى هؤلاء استقلالِيَّةَ المُقَلقَل عن جواره الصوتي؛ فقَلقَلتُه تَنحُو ناحيةَ حركةٍ بعينِها، دون التفاتٍ إلى حركة ما قبله أو ما بعده. ولأنَّ هذه الحركة من القِصَر الزمني بمكان، بحيث لا تتحدَّد هُوِيَّتُها [2]، فقد تنازعوا فيها؛ فرأى بعضهم إمالتها ناحية الضم مُطلقًا، وناحية الكسر أمالها آخرون [3]، وذهب آخرون إلى أنَّ المُقَلقَل يكون أقرب إلى الفتح مُطلقًا.

وهذا القول الأخير رجَّحه جمعٌ من المتأخرين؛ منهم: محمد خليل الحُصَري، وجمال القرش، وعامر بن السيد عثمان، ومحمد إبراهيم سالم [4]، وأحمد بن عبد العزيز

---

(1) انظر : المرصفي، عبد الفتاح السيد عجمي، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، دار الفجر، السعودية، ط.2، 2005م. ص86.

(2) انظر : الجوادي، حيدر أحمد، الجامع لقواعد التجويد في ترتيل كلام الله المجيد، السعودية، د.ت. ص67.

(3) انظر: أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص47.

(4) انظر : سالم، محمد إبراهيم، فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات، دار البيان العربي، مصر، ط.1، 2003م. ج4ص763.

الزيات، وإبراهيم الأخضر، ومحمد أبو رواش [1]. قال محمود علي بسه: «وهو الذي أرى أولوية العمل به» [2]. واحتُجَّ لهذا القول بأمور :

– أنَّ بَين الفتحة والسُّكون أوجها من الشَّبه [3]؛ لذلك لا يتأتَّى غير الميلان للفتح إذا وقعت بعد ساكنٍ كما في نحو: ﴿غَسَّاقْ﴾ [ص: 57]، و﴿محيطْ﴾ [آل عِمران: 120]، و﴿الوَهَّابْ﴾ [آل عمران: 8]، و﴿مِهادْ﴾ [الأعراف: 41]، و﴿مَرِيجْ﴾ [ق: 5].

– أنَّ الفتحة من خصائصها الاتساع، لذا لُقِّبت بـ"صوت العِلَّة المتَّسِع"، وذلك يُعطيها وضوحًا في السَّمع [4] تتطلَّبُه القلقلة.

– أنَّ الفتحة هي الأصل في التَّحريك، ولا مُقتضي للعُدول عنه.

– أنَّ الفتحة أخف الحركات الثلاث [5]؛ فهي أوَّلُ الحركات، وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها، والضمة بعد الكسرة [6]، لذا كانت إمالة القلقلة صوب الفتحة مُطلقًا تحقق العفوية في الأداء.

---

(1) انظر : قابل، عطية نصر، غاية المريد في علم التجويد، مصر، ط.7، د.ت. ص145.

(2) انظر : بسّة، محمود بن علي، العميد في علم التجويد. ص77.

(3) منها: أنه يُهرَب إليهما مما هو أثقل منهما ؛ فمثلاً: حينما استُثقِل توالي الضمتين والكسرتين في فُعُلات وفِعِلات، كما في غُرُفات كِسِرات، هُرِب عنهما؛ تارة إلى الفتح، فقيل: غُرَفات وكِسَرات، وأخرى إلى السُّكون، فقيل: غُرْفات وكِسْرات. انظر : ابن جني، عثمان، الخصائص. ج1ص60.

(4) انظر : عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، مصر، ط.3، 1997م. ص94،100.

(5) انظر : ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، سورية، ط.1، 1999. ص226.

(6) انظر : ابن جني، عثمان، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.1، 2000. ج1ص67-68.

هذه هي أشهر المذاهب في كيفية أداء صُوَيت القلقلة، إلا أنَّ ثمَّةَ رأيين ينبغي الوقوف عندهما :

الأول : أشار إليه سيبويه بقوله : «وبعض العرب أشدُّ صوتاً، كأنهم الذين يَرومُون الحركة» [1]؛ والرَّوم: «صُوَيتٌ ضعيفٌ، بالضم في المرفوع، وبالفتح في المفتوح، وبالكسر في المكسور، يُتبَع ذلك الصوتُ الحرفَ الذي يَقف عليه، فيُعلم أنه محرَّكٌ بتلك الحركة في الوصل» [2]. فظاهر كلام سيبويه يُفيد أنَّ القلقلة تميل إلى حركة الصوت حال الوصل، وهو قولٌ لم أر من ذَكَره، وإن كان النَّظر يُقَوِّيه؛ فإذا كان للصَّوت حركةٌ معيَّنةٌ حالَ وصلِه، فالأَولى أن يُمال إليها صُوَيت القلقلة بَدلا من البحث عن حركة أخرى أجنبية.

والرأي الثاني : مَفادُه أنَّ تحديد المسلك الصَّوتي الأدائي لصُوَيت القلقلة يتوقَّف على الصِّفات النُّطقية للصَّوت المقلقل؛ وهذه النَّتيجة توصَّل إليها علي المباركي استنادا إلى تَنوُّعات أدائية سلكها صُوَيت القلقلة في عينات تلاوات لأربعة من مشاهير القراء المعاصرين لآيات من سورة هود وسور قرآنية أخرى [3].

وما يَسعُني قوله هنا : أنَّ صُوَيت القلقلة مُستقِلٌّ عن الجوار الصوتي لصامته قطعًا، ثم يبقى النَّظر بعد ذلك في كونه إلى الفتح أقرب، أو أنَّه يَميل إلى حركة صامته حال الوصل، أو يتوقَّف على صِفاته النُّطقيَّة. وهذه الأقوال الثلاثة متقاربةٌ في القُوَّة، والترجيح أو الجمع بينها بوجهٍ مقبولٍ، يحتاج إلى دراسة مُستَقِلَّةٍ متأنِّيةٍ.

---

(1) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص174.

(2) السيرافي، الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه. ج5ص40.

(3) انظر : المباركي، يحي بن علي، القيمة الكمية والزمنية لصُويت القلقلة في الأداء القرآني: دراسة تطبيقية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1998. ع22ص234.

مراتب القلقلة

القلقلة أقوى الصفات القوية الاثنتي عشرة [1]، والأمر في مراتب القلقلة دائرٌ بين قلقلة واضحةٍ وأخرى أوضح [2]، وقُوَّة صُوَيت القلقلة تختلف باعتبار مقامات الكلام، وباعتبار صفات القُوَّة في حروفها، وباعتبار الناطقين بها كذلك.

1 – مراتب القلقلة باعتبار مقامات الكلام :

تختلف قوة صُوَيت القلقلة باختلاف مقامات الكلام؛ وذلك راجعٌ إلى تَموضُع الحرف المقلقل في السلسلة الكلامية، وقد تنوعت تراتيب العلماء له بهذا الاعتبار :

* فابن جني يرى أنَّ القلقلة مرتبتان؛ أولاهما: حال الوقف، والأخرى: عند الدَّرج. يقول ابن جني: «فأقوى أحوال ذلك الصوت عندك أن تقف عليه، فتقول: (اصْ)، فإن أنت أدرجته انتقصته بعضه، فقلت: اصْبر. فإن أنت حرّكته اخترمت الصَّوت ألبتة، وذلك قولك: صَبْر. فحركة ذلك الحرف تَسلُبُه ذلك الصوت البتة، والوقوف عليه يُمَكِّنُه فيه، وإدراج السَّاكن يُبقِي عليه بعضه» [3]. فجعل ابن جني التَّحريك سَالِبًا للصَّوت خارِمًا له، أمَّا الدَّرج فهو عنده يُحافظ على بعض ذلك الصَّوت، وأقوى ما يكون ذلك الصُّوَيت إذا وُقف عليه. وقد اعتمد هذا المذهب

---

(1) وبقيتها: الشدّة، الجهر، التفشي، الصفير، الإطباق، الاستعلاء، الإصمات، والصفير، والانحراف، والتكرير، والتفشي، والاستطالة، والغنة.

انظر: أبو الوفا، علي الله بن علي، القول السديد في علم التجويد، دار الوفاء، مصر، ط.3، 2003 م. ص178.

(2) انظر : العبد، فريال زكريا، الميزان في أحكام تجويد القرآن. ص80.

(3) انظر : ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص. ج1 ص58.

بعض المعاصرين، فجعلوا القلقلة مرتبتين؛ كبرى: حال الوقف على الحرف المُقلقل، وصغرى: إذا توسط الحرف الكلمة أو كان في الدَّرج [1].

* وجعل جماعةٌ من عُلماء التَّجويد [2] القلقلةَ أربع مراتب؛ مرتبتين حال الوقف، وأخريين حال الوصل. فأعلاها عندهم المشدد الموقوف عليه، يليه الساكن الموقوف عليه، ثم الساكن الموصول، فالمتحرك [3]. وسأقف عند كُلِّ مرتبة من هذه المراتب :

المرتبة الأولى: تكون فيها القلقلة شديدةً جدًّا، وتُنعَت بـ"الثقيلة" و"الكبرى"؛ وهي تلحق حرف القلقلة المشدد عند الوقف عليه [4]، كما في ﴿الْحَقُّ﴾ من قوله تعالى ﴿ذلك اليوم الحق﴾ [النبأ: 39]؛ فالمُشدَّد «زمانه أطول من زمان الحرف الواحح، وأقصر من زمان الحرفين» [5]. لذا كان أقوى من المخفَّف.

المرتبة الثانية: تلي التي قبلها في القوة، وتُنعت بـ"المتوسطة" و"الوسطى"، وتَلحق الصوت المقلقل المخفف الساكن عند الوقف عليه، سواء كان السكون أصليا كما في قوله تعالى ﴿وإلى ربك فارغب﴾ [الشرح:8]، أو كان نتيجة للوقف كما في ﴿والسماء ذات البروج﴾ [البروج: 1] [6].

---

(1) انظر : العبد، فريال زكريا، الميزان في أحكام تجويد القرآن. ص80.

(2) انظر: المرصفي، عبد الفتاح السيد، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري. ص85.

(3) انظر: مجموعة من الأساتذة والعلماء، الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 2002م. ج1ص370.

(4) انظر : ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد. ص204.

(5) انظر : ديكنقوز، أحمد، شرح مراح الأرواح، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط.3، 1959م. ص156.

(6) انظر : قابل، عطية نصر، غاية المريد في علم التجويد. ص145.

المرتبة الثالثة: تلي سابقتها، وتُنعت بـ"الخفيفة" و"الصغرى"؛ وتلحَق الساكن الأصلي المخفف الموصول، سواءٌ توسَّط الكلمة كما في ﴿يجْمعُ﴾ [الشورى: 15] أو كان في آخرها موقوفا عليها كما في ﴿ولا تُشطِط﴾ [ص: 22]، أو موصولة بما بعدها مثل ﴿إن يسرقْ فقدْ سرق﴾ [يوسف: 77].

المرتبة الرابعة : وهي أخف الأربعة، وتكون عند النُّطق بالمتحرك المقلقل مُطلقًا، كما في ﴿تَقُوم﴾ [الشعراء: 218]، و﴿بَعيد﴾ [إبراهيم: 3].

* وفي المسألة أقوالٌ أُخَر؛ بعضُها يُلغي المرتبة الرابعة، لاعتباره القلقلة صفة عارضة في الحرف لا أصلية، ويحتفظ بمرتبة للساكن الأصلي المخفف الموصول [1]. وبعضها يساوي بين المخفَّف والمثقَّل حال الوقف [2]، استنادًا إلى كون القلقلة في المشدد إنما تكون في ثاني الحرفين.

* وأميل إلى أنَّ القلقلة مرتبتان :

الأولى: تلحق الصوت المقلقل المخفف الساكن عند الوقف عليه.

و**الثانية**: تلحَق المشدد عند الوقف عليه، وهي أقوى من سابقتها؛ إذ «الصوت إذا وقع مشددا في الآخر، كان أقوى ما يكون نُطقًا» [3]، ثم التَّشديد شبيهٌ بقلقلة بطيئةٍ للحرف الذي وُقِف عليه [4]، أيًّا كان ذاك الحرف، فإذا كان في المقلقلات قَوِي به صدى الصُّويت، فلذلك تُمتَحَن أصوات القلقلة به؛ يقول ابن يعيش عن

---

(1) انظر: الحصري، محمود خليل، أحكام قراءة القرآن الكريم، دار البشائر الإسلامية، لبنان، د.ت. ص101.

(2) البركاوي، ترتيل القرآن الكريم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة. ص74.

(3) انظر: عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، د.ط، دت. ص153.

(4) انظر : عمر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. ص272.

المُتَقَلقِلات: «وهي حروفٌ تخفى في الوقف، وتُضْغَط في مواضعها، فيُسْمَع عند الوقف على الحرف منها نَبْرَةٌ تتبعُه. وإذا شدّدتَ ذلك وجدتَه، فمنها القاف، تقول: الحَقّ» [1]، ثم إنَّ «الظَّاهر من الامتحان أنَّ إظهار القلقلة يُشبه التَّشديد» كما يقول المرعشي [2]. فهذا التشابه بين الشدة والقلقلة، يجعل من المشدد المقلقل، كأنه مقلقل مرتين تقريبًا، وهو بذلك أقوى من المخفف المقلقل مرة واحدة؛ فصُوَيت القلقلة «مُكثه واحتباسهُ في المشدّد لما حدَث من التَّضعيف أكثرُ من مُكثِهِ واحتباسه في المخفَّف» [3]، كما في هو الحال الغنّة حيث أقوى مراتبها هي مرتبة النون والميم المشددتين.

فإن قيل: الحرف المشدَّد الموقوف عليه، هو في حقيقته حرفان؛ أوَّلُهما مُدغمٌ لا قلقلة فيه، والثاني هو الذي يقلقل، وهو في ذلك لا يختلف عن المخفَّف في قلقلته. فالجواب : أنه لا وجه لهذا الاعتراض؛ فقد تقدَّم أنه لا قلقلة في السَّاكن الأوَّل من المشدَّد؛ لأنَّه إذا قُلقِل انفكَّ الإدغام (الشَّدَّة)، لكن البحث ليس هو في قلقلة الصامت الأول وإنما في قوة صويت القلقلة حال تشديد حرفها.

2- مراتب القلقلة باعتبار صفات القوة في أصواتها :

تختلف القلقلة في قوتها باختلاف أصواتها، وقد أشار المبرَّد إلى ذلك بقوله: «وهذه القلقلة بعضها أشدُّ من بعض» [4]، وأَرجَع ذلك التَّفاوُت في الشِّدَّة إلى كونِ «هَذِه الْقَلْقَلَة بَعْضهَا أَشدّ حَصرًا من بعض» [5]؛ لأنها تتفاوَتُ في مدى جهارتها

---

(1) ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج5ص524.

(2) انظر: الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص261.

(3) انظر : ابن أبي مريم، نصر بن علي، الموضح في وجوه القراءات وعللها. ص140.

(4) انظر : أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز الأماني. ج3ص27.

(5) المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب. ج1ص196.

وانفجارها [1]، فبعضها أشدُّ من بعض، وبعضها أجهرُ من بعض [2]. وهذا التَّفاوُت في الحصر أفضى إلى التَّفاوُت في الجهر، فتفاوَتتْ بذلك قُوَّة صُوَيت القلقلة المجهور من صوت لآخر.

وقد تقرَّر أنَّ «أصل هذه الصفة للقاف، لأنه حرفٌ ضُغِط عن موضعه، فلا يُقدَر على الوقف عليه إلَّا مع صوت زائد لشدة ضغطه واستعلائه، وقد قال الخليل: القلقلة شدة الصياح، وقال: اللقلقة شدة الصوت؛ فكأنَّ الصَّوت يَشتدُّ عند الوقف على القاف، فسُمِّيت بذلك لهذا المعنى... والقاف أبينُ المُقلقلات صوتًا في الوقف لقُربها من الحلق، وقوتها في الاستعلاء» [3]، ولأنَّه ما اختَلَف أحدٌ في قلقلتها [4]. وأضيف إليها أخواتها لما فيهن من ذلك الصوت الزائد عند الوقف عليهن [5].

فاجتمع للقاف مجموعة من الأمور أهَّلتها لتصدُّر قائمة المُقلقلات :

- القُرب من الحلق؛ وأما البقية فبعيدة عنه.

- شدة الصوت المتصعد من الصدر.

- ارتفاع درجة الضغط والحقر فيه أكثر من غيره مقارنة بغيره [6]؛ فالمقتضي للقلقلة فيها أقوى منه في غيرها.

- امتناع الوقف عليها بدون القلقلة.

---

(1) انظر : عمايره، إسماعيل أحمد، بحوث في الاستشراق واللغة. ص203.

(2) انظر : ابن أبي مريم، نصر بن علي، الموضح في وجوه القراءات وعللها. ج1ص172.

(3) انظر : القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة. ص125.

(4) انظر : العوفي، محمد بن محمد، الفصول المؤيدة للوصول إلى شرح المقدمة الجزرية، تح: جمال السيد رفاعي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، مصر، ط.1، 2005م. ص58.

(5) انظر : القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة. ص125.

(6) انظر : أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز الأماني. ص755.

- قوة الاستعلاء ؛ ولا يشاركها في ذلك من المقلقلات إلا الطاء.

- أصل الاشتقاق اللغوي؛ فوجود القاف في بنية مصطلح "القلقلة" يدل على أحقيتها بهذا الوصف دون بقية المقلقلات، مع أن ألفاظ الجلجلة والطلطلة والبلبلة والدلدلة؛ كُلُّها تَدُلُّ على التَّحريك والاضطراب وشدة الصوت [1]، بل أصل بناء (فعللة) يدل ذلك؛ لكن الاختيار قد وقع على القلقلة لأنها أكثر تأدية للمعنى في وصف ذاك الصويت الذي يتبع تلك الأحرف الخمسة، أو للتَّنصيص على أنه بها ألصق.

- الإجماع على اتِّصافها بصفة القلقلة.

واضِحٌ أنَّ ثَمَّةَ اعتبارات مخرجية وأخرى صفاتية وثالثة سياقية تحكم قوة صُوَيت القلقلة، وأنَّ المرجع ليس هو فقط صفات القوة في الحرف المقلقل. ومع كُلِّ ذلك، يربط بعضهم قُوَّة صُوَيت القلقلة بما في أصواتها من صفات القُوَّة، بناء على أنَّ قُوَّة الصَّوت تُقَدَّر بما اجتمع فيه من الصِّفات القويَّة [2]. فيجعلون المقلقلات باعتبار صويتها درجات ثلاث؛ فيُنزِلون الطاء الدَّرجةَ العُليا باعتباره أقوى الأصوات، ويتَّفقون على إحلال الباء والدال المنزلة الدنيا لاستفالها. ثم يختلِفون؛ فأكثرهم يُنزِل القاف المنزلة الوسطى لاستعلائها [3]، وبعضهم يُقدِّم الجيم، رغم استفالها، على القاف [4].

---

(1) انظر: الزَّبيدي، محمّد بن محمّد، تاج العروس من جواهر القاموس. ج28ص113، 223،499 ؛ ج29ص385.

(2) انظر: الحفيان، أحمد محمود، الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم. ص88.

(3) انظر : الجريسي، محمد مكي، نهاية القول المفيد في علم التجويد. ص54-55.

(4) انظر : العبد، فريال زكريا، الميزان في أحكام تجويد القرآن. ص80.

ولعلَّ ربطهم القلقلة بصفات القوة في المقلقل مرجِعُه إلى ربطهم قوة جهارة الأصوات بما فيها من صفات القوة؛ يقول ابن الجزري : «وبعض الحروف المهموسة أضعف من بعض، فالصاد والخاء أقوى من غيرهما، لأن في الصاد إطباقاً وصفيراً واستعلاء، وهن من صفات القوة، والخاء فيه استعلاء... والمجهورة أقوى من المهموسة، وبعضها أقوى من بعض، على قدر ما فيها من الصفات القوية» [1]. فعلى ذلك تزداد جهارة الصوت بما فيه من صفات القوة، والعكس بالعكس.

لكن الجهر وحده ليس كافيا لقلقلة الصوت، إذ لابد من الشدة أيضًا؛ ولا أدري هل ينظرون إلى الشدة بالنظرة نفسها التي نظروا بها إلى الجهر، أي: أنها تقوى بما في الصوت من صفات القوة. وعلى التسليم بذلك ؛ فسيكون الطاء أجهر وأشد من القاف، لأنه أقوى الأصوات، فقلقلته إذًا أقوى القلقلات، لكننا رأينا قبلُ أنهم اتَّفقوا على أن أصوات القلقلة أقواها القاف.

3- مراتب القلقلة باعتبار المتكلمين :

أشار سيبويه إلى اختلاف درجة قُوَّة صُوَيت القلقلة باختلاف المتكلمين؛ فقال: «وبعض العرب أشدُّ صوتاً، كأنهم الذين يَرومُون الحركة» [2]؛ والباعث لأولئك العرب على الرَّوم [3] إنما هو «الحِرصُ على أن يخرجوا الحركة من حال ما لزمه إسكانٌ على كُلِّ حال، وأن يُعلِموا أنَّ حالها عندهم ليس كحال ما سُكِّن على كُلِّ

---

(1) انظر: ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد. ص86.

(2) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص174.

(3) الذي هو : «صُوَيتٌ ضعيفٌ، بالضم في المرفوع، وبالفتح في المفتوح، وبالكسر في المكسور. يُتبَع ذلك الصوتُ الحرفَ الذي يَقف عليه، فيُعلم أنه محرَّكٌ بتلك الحركة في الوصل».

انظر : السيرافي، الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه. ج5ص40.

حال» [1]؛ فالرَّوم هاهنا علامةٌ فارقةٌ بين ما يكون مَبنيًّا على السُّكون وقفًا ووصلاً، وبين ما يُحَرَّك في الوصل [2]. فبعض القبائل العربية كانوا يخرجونَ صُوَيت القلقلة أشدَّ عُنفًا من غيرهم [3]، فيضيفون إلى صُوَيت القلقلة صُويت الرَّوم، فيشتد الصَّوت الذي يَتبع الحرفَ الموقوفَ عليه بذلك.

وثمة سببٌ آخر إذا كان الموقوف عليه مشدَّدًا؛ وهو أنَّ الوقف على المُشدَّد فيه صعوبةٌ على اللسان، لاجتماع ساكنين غير منفصلين، كأنهما حرف واحدٌ؛ فجيء بالرَّوم ليكون أسهل من الوقف بالسكون؛ لأنك إذا رُمت الحركة أَثبَتَّ الآخِر وعليه حركةٌ ضعيفةٌ تُسمَعُ، فلم يجتمع في لفظك ساكنان على الحقيقة، حيث بقيت في الثاني حركة مَرُومةٌ [4]. وإذا تحقَّق الرَّوم سقطت القلقلة، لأنَّ الرَّوم أطول من القلقلة زمنًا؛ كما هو الحال في المكسور وصلاً، إذا وُقف عليه، وذلك في مثل الباء من قوله تعالى ﴿من كل باب﴾ [ق: 23] [5].

---

(1) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص168.

(2) يقول السيرافي: «القياس في الوقف أن يكون على سكونٍ فقط، وأكثر العرب يقف كذلك، ومنهم مَن إذا وقف أتى في الوقف بما يَدُلُّ به على تحريك الكلمة في الوصل. والعرب في الإتيان بذلك على مراتب، بعضها أوكَدُ من بعض؛ فمنهم من يُشِمُّ، ومنهم من يَرُوم الحركة، ومنهم من يُشَدِّد الحرف، فيقول: خالدّ، وهو أوكد في البيان مما قبلَه؛ لأنه بُيِّن بحرفٍ، والذي قبلَه بُيِّن بإشارة، أو بحركة ضعيفة». فهاهنا ثلاث مراتب: أقواها التبيين بحرفٍ (التشديد)، يليها التبيين بحركةٍ ضعيفةٍ (الرَّومُ)، ثم التبيين بإشارةٍ (الإشمام)؛ وتفاوتها لتفاوت قوتها في تأكيد بيان الفرق بين حالي الوصل والوقف.

انظر: السيرافي، الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه. ج5ص40.

(3) انظر: السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ص135.

(4) انظر: القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة. ص259-260.

(5) انظر: عمايره، إسماعيل أحمد، بحوث في الاستشراق واللغة. ص198- 199.

الفصل الأول :

صوت القاف

مخرج صوت القاف

1 – عند القُدامى :

* للمتقدِّمين في مخرج القاف الأصلية / ق/ أربعة أقوال :

الأول: أقصى الفم، من بين عكدة اللِّسان وبين اللَّهاة، وهو مذهب الخليل؛ يقول في ذلك: «مَخْرَج الجيم والقافِ والكافِ؛ فمن بين عكدة اللِّسان وبين اللَّهاة، في أقصى الفَم» [1]، و«القاف والكاف لَهَوِيَّتَانِ، والكاف أرْفعُ» [2]، أي: أنها «أدنى إلى مُقدَّم الفم» [3]. وعلَّل كونهما «لَهَوِيَّتَانِ» بقوله: «لأنَّ مبدأهما من اللَّهاة» [4]، وهي من جملة الحروف الصُّم [5] «لتمَكُّنِها في خروجها من الفم، واستحكامها فيه». فعند الخليل القاف مبدأها من اللَّهاة ومخرجها من بين عكدة اللِّسان وبين اللَّهاة، في أقصى الفَم، وهي والكاف في حيز واحد، يكتنفه حَيِّزان أحدهما بعده يجمع (ج، ش، ض)، والآخر سابقٌ له من جهة الحلق يشمل (ع، ح، هـ، غ، خ) [6].

الثاني: أقصى اللِّسان وما فوقه من الحَنَك الأعلى، وهو مذهب سيبويه؛ واحتجَّ له بـ: «أنَّك لَو جافَيْتَ بَين حَنكَيْك فبالغتَ، ثمَّ قُلتَ: "قَقْ قَقْ"، لم تَرَ ذَلِك مُخلاًّ

---

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج1 ص52.

(2) المصدر السابق. ج1 ص58.

(3) ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج10 ص124.

(4) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج1 ص58.

(5) وهي: عدا السبعة الحلقية؛ الهمزة، والهاء، والألف، والعين، والحاء، والغين، والخاء.

انظر: القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة. ص127.

(6) انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج1 ص48.

بِالْقَافِ، وَلَو فعلته بِالْكَاف وَمَا بعْدهَا من حُرُوف اللِّسَان أخَلَّ ذَلِك بهنّ، فهذا يدُلُّك على أنَّ مُعتَمَدَها على الحَنَك الأعلى» [1]. فالقاف: «لم تنحدر انحدار الكاف إلى الفم [2]، وتصعَّدت إلى ما فوقها من الحنك الأعلى» [3]. فهي بذلك أَوّل مخارج الْفَم ممّا يَلي الحلق وَيَتْلُوها مخرج الْكَاف [4]. وقد وافق سيبويه من جاء بعده من اللُّغويين وعلماء التَّجويد.

الثالث: الحد المشترك بين اللَّهاة والحنك الأعلى؛ يرى ابن سينا أن القاف والخاء يَشترِكان في المخرج، إلا أن القاف أبعد من جهة الحلق؛ فـ«القاف تحدُث حيث تحدُث الخاء [وأدخلَ] [5]، ولكن بحبسٍ تامٍّ، وأمَّا الهواء ومقداره وموضعه، فذلك بعينه، من حفظ الهواء إلى الحد المشترك بين اللَّهاة والحنك ضغطا قويا مع إطلاق تام» [6]. والفرق الوحيد بينهما عند ابن سينا : أن (الخاء) «تحدُث من ضغط الهواء إلى الحَد المُشتَرك بين اللَّهاة والحَنَك ضغطًا قوِيًّا مع إطلاق، يهتز فيما بين ذلك رُطوبات يعنُف عليها التَّحريك إلى قُدَّام، فكلما كادت أن تحبس الهواء زُوحِمت وقُسِرت إلى الخارج في ذلك الموضع بقُوَّة» [7].

---

(1) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص480.

(2) لأنها من اللسان في موضع أسفل قليلا من القاف ومما يليه من الحنك الأعلى.

(3) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص479.

(4) المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب. ج1ص192.

(5) ابن سينا، الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسان الطيان ويحي مير علم، مجمع اللغة العربية، سورية، ط.1، د.ت. ص117.

(6) المصدر السابق. ص74.

(7) ابن سينا، الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف. ص73.

الرابع: وهو مذهب ابن خلدون الذي يرى أنَّ : «مخرج القاف متّسع؛ فأوّله من أعلى الحنك، وآخره ممّا يلي الكاف. فالنُّطق بها من أعلى الحنك هو لغة الأمصار، والنُّطق بها ممّا يلي الكاف هي لُغة هذا الجيل البدويّ» [1]. وذلك بناء على أن النُّطقين قَديمَين ومُنتَشِرَين على ألسنة العرب، وكلاهما يرجعان إلى مُضَر.

ما ذُكِر يُعطينا تصوُّرًا واضحًا عن مخرج القاف عند المتقدِّمين؛ إنَّه: أوَّل اللَّهاة مع يُقابله من مؤخِّر اللسان، من جهة الفم [2]. وهو الحيِّز الذي حدَّه الخليل بمَعلَمَي اللَّهاة وأقصى الفم، وعناه سيبويه بـ: «أقصى اللِّسان وما فوقه من الحنك الأعلى» [3]، وعبَّر عنه ابن سينا بأنَّه «الحَد المُشتَرك بين اللَّهاة والحنك» [4]، ولعلَّه ما أشار إليه ابن خلدون أيضًا.

2- عند المحدثين :

يُجمِع دارسو الأصوات العربية من المحدثين على أنَّ القاف صوتٌ لهويٌّ، وإن اختلفوا في موقعه مُقارَنةً مع (ك غ خ)؛ فطائفة رأت تقديم مخرج القاف على مخارج الثلاثة الأخرى، فتكون (غ خ ك) من أقصى الحنك، وتكون القاف من اللهاة أعمق منها [5]، بينما مالت جماعة إلى اعتبار (غ خ ق) من اللهاة وما يتصل بها من غشاء

---

(1) انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، لبنان، ط.2، 1988م. ج1ص769.

(2) انظر: النحوي أبو حيان، محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج1ص3.

(3) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص433.

(4) ابن سينا، الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف. ص73.

(5) عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، مصر، د.ط، 1997. ص272.

الحنك، مع إبقاء الكاف من أقصى الحنك [1]، ووافق آخرون علماء العربية في اعتبار الغين والخاء من حروف أدنى الحلق إلى الفم، واعتبار القاف من حروف اللهاة أو أقصى اللِّسان، والكاف أدنى من ذلك إلى مقدم الفم [2].

وبغض النَّظر عن موقع القاف من الثلاثة الأحرف الأخرى (غ خ ك)، فإنه لا تعارُض بين ما ذكره المتقدِّمون وما توصَّل إليه المحدثون فيما يتصل بمخرج القاف؛ وذلك لأمور :

أولها : أنَّ (اللَّهاة) عرَّفها الخليل بأنها : «أقصى الفَمِ، وهي لَحمة مُشرِفَةٌ على الحَلْق» [3]، فذكر لها معنيين؛ أحدهما: واسعٌ، وهو تعريف بموضعها، والآخر مُحَدَّدٌ وهو أدَقُّ، وهو تعريف بالشكل، يقول ابن فارس: «كَأَنَّهَا شُبِّهَتْ بِثُقْبَةِ الرَّحَى، وَسُمِّيَتْ لَهَاةً لِمَا يُلْقَى فِيهَا مِنَ الطَّعَامِ» [4]. وعلى المعنيين السَّابِقَين تدور مقالات أئمة اللُّغة.

أما المعنى الأول (أقصى الفم)؛ فذكره على سبيل التوسُّع، لذلك فهو يشمل: الغلصمة، وأقصى الحلق [5]، وما بين الفم والحلق [6]، وما بين مُنْقَطَعِ أَصْلِ اللِسانِ إلى

---

(1) كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية، تر: صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1966. ص23.

(2) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص85، 88.

(3) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج4ص88.

(4) ابن فارس، أحمد بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة. ج5ص213.

(5) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسُوسي وآخرون، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط.8، 2005. ص1333.

(6) انظر : القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة. ص139.

مُنْقَطَعِ القلْبِ من أعْلَى الفَمِ، كما قال أبو حاتم [1]. وأما المعنى الأخير؛ فهو اختيار ابن منظور [2]، وهو مروي عن الأصمعي حيث يقول: «اللَّهاة لحمةٌ حمراءُ مُعكفَةٌ في أعلى الحنك على عَكَدة اللِّسان» [3]. وقريبٌ منه ما ذكره الجوهري، حيث عرَّفها بأنها: «الهَنَةُ المُطبَقَة في أقصى سقف الفم» [4]. وقال الأحرزي: «هي الطُّلَاطِلَة» [5]، وهذه قَالَ عنها الأصمعيّ: «هِيَ اللحمة السائلةُ على طَرَف المْسْتَرَط» [6]. وهذا المعنى هو المتفق عليه بين المحدثين؛ حيث يعرفون (اللَّهاة) بأنها: "الطُّلَيطِلَة" أي: الزائدة التي في النهاية الخلفية للطَّبَق [7]، الواقعة بين التجويف الأنفي وتجويف الفم، وهي تُقابِل المصطلح الإنجليزي (Uvula) [8].

---

(1) القالي، إسماعيل بن القاسم، البارع في اللغة، تح: هشام الطعان، مكتبة النهضة – دار الحضارة العربية، العراق– لبنان، ط.1، 1975. ص113.

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب. ج15ص261.

(3) القالي، إسماعيل بن القاسم، البارع في اللغة. ص113.

(4) الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، لبنان، ط.4، 1987. ج6ص2487.

(5) القالي، إسماعيل بن القاسم، البارع في اللغة. ص113.

(6) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط.1، 2001. ج13ص204.

(7) شطناوي منير والعظامات حسين، المخارج النطقية للأصوات اللغوية في مدرسة التقليبات الصوتية المعجمية، مجلة جامعة دمشق، سورية، 2008. م24ع3+4 ص318.

(8) وهو مشتق من الكلمة اليونانية (uva)، وتعني: حبة العنب الصغيرة؛ لأنَّ شكل لهاة الحلق تُشبِه العِنَب. وهي بروز عضلي يتكون من نسيج طلائي غدّي، مخروطي الشكل، يتدلى من الحنك الرخو، يبلغ طولها من 15إلى 35 ملم. وتقع قُرب خلف الحنجرة وهي مُعلَّقةٌ في قِمَّة الجُزء الخلفي للفم. انظر : عبد العزيز أحمد وعبد الله ربيع، علم الصوتيات. ص121.

الثاني : أنَّ المتقدمين جعلوا مخرج القاف مما بين اللَّهاة والحنك الأعلى (الطَّبق اللَّين)، وهاتان المَنطِقَتَان مُتجاوِرتان [1]، لذلك تُعدُّ القاف تارةً «أقرب مخارج اللِّسان إلى الحلق» [2]، وتارةً تُعدُّ «المخرج الأول من مخارج الفم، ممَّا يلي الحلق» [3]، وهذا التَّداخُل الكبير في أصوات مَنطِقة الحلق والحَنجرة، دفع كَاتفورد (Catford) إلى جعلهما منطقةً واحدةً نَعتها بـ: الحلقية الحنجرية (Pharyngo-Laryngeal)، فالصَّوت الواحِد قد يكون حَنجَريا ويُصبح حلقيا.

وبسبب هذا الاتِّصال في المخارج؛ تُنسَبُ القاف تارةً إلى أقصى اللِّسان، ومرَّةً إلى أقصى الفم، فيُقال عنها (قصِيَّة)، وقد تُنسَب إلى اللَّهاة وما يتَّصِل بها من غشاء الحَنَك [4] فيُقال فيها (لهوية) [5]، وربما نُعِتت بالحَنكية [6] نِسبَةً إلى الحيِّز الموجود بين الحَنكين اللَّين والصُّلب.

الثالث: التجربة التي ذكرها سيبويه: «أَنَّك لَو جافَيْتَ بَين حَنكَيْك فبالغتَ، ثمَّ قُلتَ: "قَقْ قَقْ"، لم تَرَ ذَلِك مُخلاًّ بِالْقَافِ، وَلَو فعلته بِالْكَاف وَمَا بعْدهَا من حُرُوف اللِّسَان أَخَلَّ ذَلِك بهنّ، فهذا يدُلُّك على أنَّ مُعتَمَدَها على الحَنَك الأعلى» [7]. فهذه التجربة في نُطق القاف لا يُمكِن أن تنطبق على أَيِّ صوتٍ فموي من أصوات العربية

---

(1) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص117.

(2) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص452.

(3) القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة. ص171.

(4) كانتينو، جان، دروس فو علم أصوات العربية. ص23.

(5) انظر: عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة. ص54.

(6) انظر: الهُذَلي أبو القاسم، يوسف بن علي، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، تح: جمال الشايب، مؤسسة سما ، ط.1، 2007م. ص97.

(7) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص480.

سواها، فأنت لو فتحت فمك، وجافيت بين حنكيك إلى أقصى ما تستطيع، وحاولت نُطق القاف الفصيحة، أمكنك ذلك، ولو تكلَّفت نُطق أيِّ صوتٍ فموي آخر، وأنت على هذه الحال، ما استطعت [1].

الرابع: أنّ المتقدمين يتَّخذون في تصنيف الأصوات مَعلما يختلف عن ذاك الذي يَعتمِدُه المحدثون؛ فأكثر المتقدمين [2] يَنطلِقون من الحلق إلى الفم، بينما منطلق المحدثين من الفم إلى الحلق. وعدم مُراعاة هذا الأمر قد يُفضي بالبعض إلى اتهام القُدامى بالتَّناقض؛ فقد فهم تمام حسان من عبارة ابن الجزري عن مخرج الكاف إنه: «أَقْصَى اللِّسَانِ مِنْ أَسْفَلِ مَخْرَجِ الْقَافِ» [3]، أنها أعمق منها [4]، بينما يُراد بكلمة (أسفل) أن الكاف أمام القاف من جهة الفم [5]، لا من جهة الحلق. ويقول منير شطناوي وزميله: «لعلَّ أكثر ما يسترعي الانتباه في وصف الخليل تأخُّر (القاف)

---

(1) النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات، جامعة بغداد، العراق، ط.1، 1989. ص31.

(2) خلافا لصالح بن إسحاق الجَرْمِيِّ (ت 225هـ) وجماعة رأوا أن أول المخارج خارج الشفتين وآخرها أقصى الحلق؛ وهم بذلك موافقون للمحدثين في ترتيبهم لمخارج الأصوات.

انظر : الحمد، غانم قدوري، مخارج حروف العربية: عددها وترتيبها بين الدرس القديم والدرس، مجلة الحكمة، السعودية، 2010. ع38ص315-358.

(3) ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر. ج1ص200.

(4) يقول تمام حسان عن ابن الجزري: «ثم يغلط في تحديد مخارج أصوات الخاء، والغين والكاف والطاء والدال والتاء؛ فيقول: إن صوتي الخاء والغين من أدنى الحلق إلى الفم، وراء مخرج القاف، مع أنهما من مؤخر اللسان مع الطبق أمام مخرج القاف، وهو يجعل الكاف خلف القاف، والعكس أصح، فصوت الكاف من نفس مخرج صوتي الخاء والغين» .

انظر: عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص85-86.

(5) الحَمَد، غانم قَدُّوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص169.

عن (الغين والخاء) في مخرجها، فمعلومٌ أن الغين والخاء صوتان طبقيان، والقاف لهوية، والطبق قبل اللهاة لا بعدها من جهة الفم ؟!» [1]، والخليل إنما رتَّب الأصوات من الحلق إلى الفم، كما هو معلومٌ.

(1) شطناوي منير والعظامات حسين، المخارج النطقية للأصوات اللغوية. م24ع3+4 ص315.

صفات صوت القاف

أجمع الدَّارسون القُدامى على أنَّ القاف: صوتٌ مجهورٌ شديدٌ مُستَعلٍ مُنفَتِحٌ مُقَلقَلٌ [1]؛ فهو بذلك «مُتمكِّنٌ قويٌّ» [2]، اجتمع فيه ثلاث صفات قوية: الاستعلاء والجهر والشِّدة [3].

أمَّا المتأخِّرون فهُم، عَربٌ [4] ومُستشرِقون [5]، على أنَّ القاف الفصيحة اليوم، كما يَنطِقها مُجيدو القِراءات: صوتٌ مهموسٌ شديدٌ مُطبَقٌ، وأنَّ الوصف الذي نَعَت به القُدامى القاف يَنطبِق تمامًا على «النَّظير المجهور للقاف [المعاصرة]، وهو الذي يُرمَز إليه كتابةً بـ [G]/ [گ]» [6]، وهذا النُّطق هو السَّائد في مُعظَم اللَّهجات العربية الحديثة، من المحيط إلى الخليج. ويَستنِد المُحدَثون في توصيفهم للقاف إلى نتائج المُقارنة بين اللُّغات السَّامية؛ ففي العِبرية: قول (KŌL)، وفي الآرامية: قالا

(1) القسطلاني، أحمد بن محمد، لطائف الإشارات لفنون القراءات. ج1 ص205.

(2) القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة. ص171.

(3) القسطلاني، أحمد بن محمد، لطائف الإشارات لفنون القراءات. ج1 ص206.

(4) انظر: عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة. ص79.

(5) انظر: ظاظا، حسن، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار النهضة العربية، مصر، ط.1، 2002. ص27.

(6) السعران، محمود، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي. ص157.

(Kālā)، وفي الحبشية: قال (KāL)؛ بمعنى: "صوت"؛ في الجميع، وهو يقابل في العربية: "قَوْل"، وفي الآشورية (KūLu) بمعنى "صُراخٌ" [1].

فظهر أن ثمة اختلافا في صفتين : الجهر والإطباق، فلم يقع بين المتقدِّمين والمُحدَثين اتِّفاقٌ إلاَّ على تصنيف القاف ضمن الأصوات الشَّديدة، لكنَّ نِزاعهم في وصفه بالجهر أو الهمس، يُلقِي بظلاله على درجة الشدة؛ فالشَّديد المهموس أقوى من الشَّديد المجهور، لأنَّ تَذَبذُب الوترين الصوتيين في المجهورات أقَل.

1- صفة الجهر :

لا يختَلِف عُلماء العربية وعلماء التجويد في أنَّ القاف الأصلي الذي يُتلى به القرآن الكريم صوتٌ مجهورٌ، بل يُصرِّح الخليل قائلاً: «العين والقاف لا تَدخلان في بناء إلا حَسَّنَتَاه، لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جَرْسًا. فإذا اجتمعا أو أحدُهما في بناءٍ حَسُنَ البناء لنَصاعتهما» [2]. غير أنَّ عُلماء الصَّوتيات مُتَّفِقون على أنَّ القاف العربية الفصيحة التي يَنطِقها مُتكلِّمو العربية اليوم صوتٌ مهموسٌ [3]. وكان المستشرق الألماني برجشترايسر (Bergsträsser) أوَّل من أثار مشكلة الاختلاف بين القدماء والمحدثين في القاف [4]، وأوضح أنَّ القاف ما تزال باقية عند بعض البدو، على أنَّ نُطقها عند العرب عُمومًا يختلِف عما كان قديما [5]. ويحتجُّ علماء الأصوات لما ذكروه،

---

(1) عبد التواب، رمضان، في قواعد الساميات (العبرية والسريانية والحبشية)، مكتبة الخانجي، مصر، ط.2، 1983. ص128.

(2) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج1ص53.

(3) كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية. ص110.

(4) حيث ذكرها مع أربعة أصواتٍ أُخَرَ هي: الجيم، والضاد، والطاء، والظاء.

(5) برجشترايسر، جوتهلف، التطور النحوي للغة العربية، تع: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، ط.2، 1994. ص16-17.

بأنَّ الفراغ الحلقي الممتد من الحنجرة إلى ما يُقارِب أقصى اللِّسان واللَّهاة يجعل إنتاج أصوات شديدة (انفجارية) فيه صعبًا، أمَّا الصَّوت الرِّخو (الاحتكاكي) فكثير الوقوع، ويُمثِّل ذلك الصوتان العربيان الحاء والعين [1]. ويبدو أنَّ الجزء الذي يخرج منه الغين والخاء، وهو أدنى الحلق من الفم، يُشَكِّل الحدَّ الفَاصِل بين ما يُمكِن أن يُنتَج فيه صوتٌ شديدٌ وما لا يُمكن ذلك فيه. فالقاف تخرج من منطقة قريبةٍ جدًّا من مخرج الغين والخاء، وهي شديدةٌ؛ فمن حاول نُطقَها مجهورةً من الموضع نفسِه مع المحافظة على شِدَّتها، استحال عليه ذلك، لأنه يضعُف تحكُّم النَّاطق به ، فهو ليس كطرف اللِّسان حين نُطق التَّاء المهموسة، ثم الدَّال المجهورة، أو الطَّاء المهموسة، ثم الضَّاد المجهورة –حسب النُّطق المعاصر– [2].

والظَّاهِر أنَّ قُوَّة تيَّار النَّفَس مع الصَّوت المهموس تُساعد على إحكام الضَّغط حين النُّطق بالقاف المهموسة، وأنَّ الجهر يؤدِّي إلى ضعف تيَّار النَّفَس؛ لأنَّ اعتراض الوَتَرين الصَّوتِيَّين يُضعِف أثر الخَفْقة التي يُحدِثها ضغط الحِجاب الحاجز على الرِّئتين، ومن ثَمَّ يؤدي ضعف تيار النَّفَس مع ما فيه من أثر تردُّد وذبذبة الوترين الصوتيين إلى صُعوبة التحكُّم في مخرج القاف، بحيث تظل شديدة ومجهورة في وقت واحد. على أننا إذا تقدَّمنا شيئًا يسيرًا باتجاه طرف اللسان من مخرج القاف، أمكننا أن نَنطِق بالكاف مهموسة، وأن ننطق بالكاف مجهورة، من غير أن يُغيِّر الجهر الذي يلحق الكاف شيئًا من خصائصها الصوتية الأخرى [3].

---

(1) عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي. ص94.

(2) الحَمَد، غانم قَدُّوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص217.

(3) المرجع السابق. ص219.

وقد أورد الباحثون عِدَّة احتمالات لتخريج هذا التَّبايُن الواقع بين توصيف المتقدمين لصوت القاف وما توصَّل إليه المحدثون؛ وأهمُّ تلك الاحتمالات ثلاثةٌ [1]:

الاحتمال الأول: أن يكون للقاف القديمة أكثر من صورةٍ نُطقِيَّة، ارتأى اللُّغويون أن يَصِفوا إحداها، باعتبارها الأصلية في نظرهم. وقد اختلف المُحدثون في تعيين القاف الموصوف؛ فرجَّح بعضهم أن تكون هي القاف البدوية (الجيم القاهرية)، وهي صوتٌ بين القاف والكاف، مخرجها الطَّبَق لا اللَّهاة، وهي أشبه ما تكون بصوت / G/ في الإنجليزية. وإذا صَحَّ هذا الاحتمال، يكون موقع القاف يلي مخرج الغين والخاء، كما قرَّر الخليل [2] وسيبويه. ومال آخرون إلى أنه «كان يُشبِه إلى حَدٍّ كبير تلك القاف المجهورة التي نسمعها الآن بين القبائل العربية في السُّودان، وجنوب العراق، فهم يَنطِقون بها نُطقًا يخالف نُطقها في مُعظَم اللَّهجات العربية الحديثة؛ إذ نسمعها منهم نَوعًا من الغين» [3]. فعلى هذا لم يصف المتقدمون القاف الأصلية، وإنما وصفوا أحد ألوفوناتها.

وهذا الاحتمال مُستبعَدٌ لوُجوه؛ منها :

1/ أنَّ سيبويه حينما وصف القاف بالجهر، لم يكُن يَصِف قافًا شَبيهةً بالغين، لأنَّه وصفها بالشِّدَّة، ووصف الغين والخاء بالرَّخاوة [4]. فلا مجال لإيجاد تفسيرٍ لنُطق القاف غينًا أو قريبًا من الغين، لأنَّه لا يُعقَل أن يَغيب عن نظر القُدامى ذلك القُرب الشَّديد حينئذٍ بين نُطق القاف ونُطق الغين، فالقاف «مهموسةٌ شديدةٌ عند المصريين

---

(1) انظر: عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي. ص294.

(2) بشر، كمال محمد، علم الأصوات. ص110.

(3) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص77، 85-86.

(4) الحَمَد، غانم قَدُّوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد.ص217.

مجهورةٌ، وأميَل إلى الرخاوة عند السودانيين» [1]، فما يُرجَّح مُمثِّلاً للقاف الأصلية يختلف عن القاف المهموسة.

2/ أنَّ سيبويه جعل الحروف التي من مخرج واحد مضمومة بعضها إلى بعض، والمختلفة المخرج منفردة، على نحو ما فعل في: ع ح ، غ خ، ط د ت، ص ز س، ظ، وقد أفرد القاف عن الكاف [2]، ولو كانت القاف كافا مجهورة لأوردهما في موضع واحد [3]. ثم إنه حدَّد مخرج القاف من نُقطة هي أعمق من النقطة التي تخرج منها الكاف، واستدلَّ على ذلك بـ«أنَّك لو جافيت بين حنكيك فبالغت، ثم قلت: قْقْ قْقْ، لم تر ذلك مخلاً بالقاف. ولو فعلته بالكاف وما بعدها من حروف اللسان، أخلَّ ذلك بهن. فهذا يدُلُّك على أن مُعتمَدَها على الحنك الأعلى» [4]. فإذا فتح المتكلم فاه بأوسع ما يمكن، ثم حاول نُطق القاف الفصيحة، فقال: قق قق، أمكنه ذلك ولم يجد ذلك مخِلاً بالصوت، ولو حاول ذلك مع الكاف المجهورة لم يَستطع الإتيان بها [5]. فهذا كُلُّه يَنفي احتمال كون المتقدِّمين بوصفهم القاف أرادوا الكافَ المجهورة.

3/ أنَّه «وبالرُّجوع إلى النُّصوص القديمة نجد أنَّ القُدماء لاحظوا وجود نُطقٍ للقاف في اللَّهجات العربية يُشبِه (الكاف المجهورة) التي تَغلِب على نُطقِنا للقاف اليوم في العربية الدَّارجة» [6]. وهو صوتٌ مُتفرِّعٌ عن القاف، يُنطَق بين القاف

(1) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص 85.

(2) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص433.

(3) النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص36.

(4) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص480.

(5) النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص26.

(6) الحَمَد، غانم قَدُّوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص215.

والكاف، قال عنه السِّيرافي: «هو مِثل الكاف التي كالجيم، والجيم التي كالكاف» [1]، وقال عبد الوهاب القرطبي: «ونرى اليوم من يتكلَّم بالقاف بين القاف والكاف بمثل لفظ الكاف التي بين الجيم والكاف» [2]، وهي التي سمَّاها أبو حيَّان النحوي "القاف المعقودة"، وقال عنها: «وهي الآن غالبةٌ في لسان مَن يوجد في البوادي، حتى لا يكاد عربيٌّ ينطق إلا بالقاف المعقودة لا بالقاف الخالصة الموصوفة في كُتب النحويين والمنقولة عن وصفها الخالص على ألسنة أهل الأداء من أهل القرآن» [3]. فبقية التحقُّقات النُّطقية لصوت القاف، لم تكن غائبة عن أذهان الدارسين السَّابقين، كما هو واضحٌ من هذه النُّقول، وغيرها مما لا يتَّسِع المقام لذكرها.

4/ ويقوي كون القاف التي ننطق بها اليوم هي القاف القديمة، لا الكاف المجهورة، أننا لو نطقنا الأصوات الثلاثة : / ق/ ، [گ]، / كـ/ ؛ لوجدنا القاف أعمق الثلاثة، يليها الكاف المجهورة / گ/ ، فالكاف. وهما وإن كانا من مخرج واحد إلا أن الجهر يجعل الناطق يحس أن المجهور أعمق، لاهتزاز الوترين، لتكون الكاف المجهورة بين القاف والكاف، وهي قاف أكثر العراقيين اليوم في لهجتهم العامية [4].

5/ أنَّ الأمر لو كان كذلك لاطرَّدت به قراءة القرآن؛ يقول ابن الحاجب: «وبَقِي حرفٌ لم يُتعرَّض له، وإن كان ظاهر الأمر أنَّ العرب تتكلَّم به، وهي القاف

---

(1) السيرافي، الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه. ج6ص451.

(2) القرطبي، عبد الوهاب بن محمد، الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط.1، 2000. ص87.

(3) النحوي أبو حيان، محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب. ج1ص4.

(4) المرجع السابق.

التي كالكاف، كما يتكلَّم بها أكثر العرب اليوم، حتى توهَّم بعض المتأخرين أن القاف كذلك كانوا ينطقون بها، حتى توهَّم أنهم كذلك يقرؤون بها. والظَّاهر أنها في كلامهم، وأن القاف الخالصة أيضا في كلامهم، وأن القرآن لم يُقرأ إلا بالقاف الخالصة على ما نقله الأثبات مُتواتِرًا، ولو كانت تلك قُرئ بها، لنُقِلت كما نُقل غيرها، ولَمَّا لم تُنقل دلَّ على أنها لم يُقرأ بها، أو قَرأ بها من لم يُعتدَّ بنقلٍ عنه» [1]؛ لأنه لا يُتصوَّر أن يُجْمِعَ قراء القرآن في كل بلاد الإسلام على هذا الصوت ، وهم يَتلقَّون القراءة مُشافهةً من جيل إلى جيل، ثم نزعم أنه ليس الصوت القديم، مع أنَّ الكلمات التي بالقاف تلفظ في لهجاتهم المحلية لفظا مختلفاً، فالقاف في (قال) مثلا، في شمال إربد تُنطق (G)، وتُنطق (K) في فلسطين [2].

وعليه؛ «فإنَّ الضَّابط في القول بالتَّحوُّل أو الثَّبات في أيِّ صوتٍ من الأصوات؛ هو : النَّظر في الصَّوت كيف يَنطِقُه قُرَّاء القرآن المجيدون في قراءتهم، وكيف ينطقون الصَّوت ذاتَه في لهجاتهم المحلية؛ فإن اتَّفقوا على نُطقه في قراءة القرآن مع اختلافهم فيه في لهجاتهم، كان ذلك دليلا على أن النُّطق المُجمَع عليه نُطقٌ موروثٌ بالتَّلقين والتَّلقي. وإن وجدناهم يختلفون في نطقه في قراءة القرآن، دَلَّ ذلك على تحوُّل الصَّوت، ويكون النَّظر إلى ذلك كُلِّه في ضوء ما أورده علماء العربية من وصفٍ لمخارج الحروف وصفاتها» [3]، في حدود مُرادهم من مصطلحاتهم التي وضعوها.

الاحتمال الثاني: أنَّ القاف القديمة كانت مجهورةً، وهُمِسَت في العربية الفُصحى اليوم لكونها أصبحت مهموسةً في اللَّهجات الحضرية المدنية؛ يقول كانتينو

---

(1) ابن الحاجب، عثمان بن عمر، الإيضاح في شرح المفصل. ج2ص284.

(2) انظر : النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص30،26.

(3) انظر : المرجع السابق. ص29.

(cantineau): «بما أنَّ قِسمًا كبيرًا من الألسُن الدَّارجة العربية يَنطَق بقافٍ مجهورةٍ، أمكننا الاعتقاد على سبيل الاحتمال والتَّرجيح، بأنَّ القاف كان بالفعل حرفًا مجهورًا في العربية القديمة. ويُمكِن أن يكون نُطقه مهموسًا في العربية الفُصحى اليوم، ناتجًا عن كونه أصبح مهموسًا في اللَّهجات الحضريَّة المدنية؛ لأنَّ أغلبيَّة المثقَّفين اليوم، هم من أصل مدني» [1]. والحضر يميلون إلى الهمس خلافًا للبدو الذين يميلون إلى الجهر.

وهذا الاحتمال ساقطٌ أيضًا؛ فالقاف نُطِقت على الوجهين منذ القِدَم، وقد استظهر ابن خلدون أنهما حرفٌ واحدٌ مُتَّسِعُ المخرج [2]؛ «أوّله من أعلى الحنك وآخره ممّا يلي الكاف. فالنُّطق بها من أعلى الحنك هو لغة الأمصار، والنُّطق بها ممّا يلي الكاف هي لغة هذا الجيل البدويّ» [3] من العرب.

الاحتمال الثالث: أن يكون وصف القاف بالجهر خطأ وقع فيه القدماء [4]، لعدم معرفتهم بالوترين الصوتيين، بسبب نقص معرفتهم التشريحية بالحنجرة والحلق وغيرهما، واعتمادهم في وصف الأصوات اللغوية على التجربة باللسان والأذن، لا على المعامل والأجهزة، يقول المستشرِق شاده (Shaade) مُعلِّقًا على تقسيم سيبويه للمخارج ووصفِها: «نُشاهِد غاية التَّفصيل مَثلاً في تقسيمه للأسنان، وقد قسَّمها إلى الثَّنايا والرُّباعيات والأنياب والأضراس، ويخالِف هذا التَّدقيق معاملته للحلق،

---

(1) كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية. ص107.

(2) خلافًا لأهل العربيّة الذين جعلوا القاف القريبة من الكاف، متوسّطة بين مخرجي القاف والكاف، وعَدُّوها حرفا مستقلا. انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر. ج1ص769.

(3) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر. ج1ص769.

(4) عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص96.

فإنَّ سيبويه، وإن قسَّمه إلى أقصى الحلق، وأوسط الحلق، وأدنى الحلق، لم يكن يَعرِف الحُنجرة، ولا أجزاءها كالمزمار والأوتار الصوتية» [1]. والخلل المذكور في مدارك سيبويه، في زعم هؤلاء، منعه وغيره من المتقدِّمين من الوقوف على حقيقة الجهر والهمس؛ فحكموا على القاف بأنه مهموسٌ، وهو في الحقيقة مجهورٌ.

والجواب من وجهين :

1/ أنَّه ينبغي أن نُحاكم المُتقدِّمين إلى مُرادهم من مصطلحاتهم لا مُرادنا منها؛ فمثلاً مفهوم الجهر والهمس عند المحدثين يتعلَّقُ أساسًا باهتزاز الوترين وعدمه، وهذا غير منظور إليه في هذين المصطلحين عند القدماء، وليس صحيحا أن يحاكموا في مصطلح وافقناهم في لفظه، وخالفناهم في معناه ! [2]

2/ أنَّ ضابط التَّفريق بين الجهر والهمس عند سيبويه يقوم على ثلاثة أمور؛ هي: أ- خفض الصوت بالحرف إلى أدنى ما تستطيع (الإخفاء). ب- ترديد الصوت بالحرف (التكرار). ج- إجراء النَّفَس أثناء القيام بهذه التجربة (جري النفس). فإذا لم تُؤَدِّ التجربة إلى تحوُّل الحرف المُفرَد، فيُسمع بوضوح وبصوت مرتفع، فهو مهموس. وإن أدَّت التجربة إلى سماع حرف آخر، فهو مجهور [3].

---

(1) انظر: عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة. ص31.

(2) انظر : النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص27.

(3) يقول النُّعَيمي : «وقد جرَّبت ذلك مع المهموسات جميعًا، فأمكنني ذلك، وفهمها السَّامع، وميَّز أصواتها، وجرَّبته مع الطاء فسُمِعت تاء، ومع القاف فسُمعت خاء. أما الهمزة؛ فلا يمكن إجراء النفس معها ابتداءً، لأنها تكون بانطباق الوترين انطباقا تاما. وهذه التجربة تثبت أن الطاء والقاف والهمزة لا ينطبق عليها ضابط الهمس، فهي إذن مجهورة بضابط القدماء، ومعنى ذلك أيضا أن الصوت الشائع الفصيح اليوم للقاف والطاء هو الصوت القديم لهما».

انظر : النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص28.

2- صفة الإطباق :

يُشير مُصطَلَح الإطباق إلى عملية فسيولوجية نُطقية، شرحها سيبويه بقوله: «إذا وضعت لسانك في مواضعهن، انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان تَرفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك، فالصوت محصورٌ فيما بين اللِّسان والحنك إلى موضع الحروف» [1]. فيصير الحنك كالطَّبق على اللِّسان، فتكون الحروف التي تخرج من بينهما مُطبَقًا عليها [2]. والمنفتحة بخلافها لأنه ينفتح ما بين اللسان والحنك عند النُّطق بها.

فبذلك تكون عملية الإطباق مُحصِّلَة عمليتين متلازِمَتَين:

أولاهما: الاستعلاء؛ وهو: ارتفاع أقصى اللسان مُستَعلِيًا بالهواء عند النُّطق بالحرف إلى جهة الحنك الأعلى [3]. يقول الزمخشري: «المستعلية: الأربعة المطبقة [4] والخاء والغين والقاف، والمنخفضة ما عداها. والاستعلاء: ارتفاع اللسان إلى الحنك، أطبقت أو لم تُطبِق» [5].

والأخرى: الحصر؛ وهو: الحاصِل عن تقعُّر اللِّسان وما يَصحَبُه من حَبس الهواء القادم من الرئتين، وقد أشار إلى ذلك سيبويه بقوله : «فإذا وضعت لسانك؛ فالصَّوت محصورٌ فيما بين اللِّسان والحنك إلى موضع الحروف» [6].

---

(1) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص436.

(2) انظر: التهانوي، محمد بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. ج1ص648.

(3) انظر: المرعشي، محمد بن أبي بكر، جهد المقل. ص 65.

(4) أي: الصاد والضاد والطاء والظاء.

(5) الزمخشري، محمود بن عمر، المفصل في صنعة الإعراب، تح: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، لبنان، ط.1، 1993. ص395.

(6) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص436.

وينتُج عن عملية الإطباق أصوات: الصاد والضاد والطاء والظاء، وهذه الأربعةُ «لها موضعان من اللسان، وقد بُيِّن ذلك بحصر الصوت» [1]، فأصوات الإطباق تُنسب إلى موضعين: موضع نُطقها الأصلي، وموضع عملية الإطباق، وهو ما حاذى الحنك الأعلى من اللِّسان. وهي بذلك تختلِف عن المُنفتِحات اللاَّتي ينفتح الحنك عند النطق بها عن اللسان [2]، فـ«لا تُطبِق لشيءٍ مِنهُنَّ لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى» [3]، و«إنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهن» [4]، فلها مَوضِعٌ نُطقي واحدٌ هو موضعها المقرَّر لها.

والإطباق بالنِّسبة لأصواته صِفةٌ فونيميَّةٌ (تمييزية)؛ يشرح ذلك سيبويه فيقول: «ولولا الإطباق لصارت الطاء دالًا، والصاد سينًا، والظاء ذالًا، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيءٌ من موضعها غيرها» [5]. فكُلُّ صوتٍ مُطبَقٍ ومُقابِلُه يَشترِكان في كُلِّ صِفةٍ ومخرجٍ إلَّا الإطباق، ويقول أيضًا: «فإنما يخرُج الصوت إلى مثله في كُلِّ شيءٍ إلا الإطباق» [6]. بمجموع هذه الأقوال يَقطع سيبويه أيَّ خيطٍ يُلحِق صوت القاف بالمُطبَقات، وهو على وَعي تامٍّ بحقيقة الإطباق [7].

---

(1) المصدر السابق.

(2) الأستراباذي، حسن بن محمد، شرح شافية ابن الحاجب. ج2ص930.

(3) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص436.

(4) المصدر السابق.

(5) المصدر نفسه.

(6) نفسه. ج4ص481.

(7) إبراهيم، عبد الفتاح محجوب، القاف المسماة فصيحة والأخرى المسماة عامية في عربية اليوم الفصحى، مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية المحكمة، السعودية، 1996. ع12س9ص215.

والتَّفخيم هو الأثر السَّمعي الحادِث عن الإطباق، وهو ناجِمٌ عن تَوتُّرٍ نِسبِيٍّ في أعصاب الرَّقبة، مَصحوبًا بتراجُعٍ سريعٍ للِّسان إلى الخلف باتجاه الحائط الخلفي للحَلْق [1]، بعد ارتفاع مُؤخَّره تجاه أقصى الحنك (الطَّبَق اللَّيِّن)، فيحدُث تَغيُّرٌ في التَّجويف الفَموي محدِثًا رَنينًا مسموعًا. فمَن نَظَر إلى الحركة العُليا للِّسان نَعَتَهُ بالإطباق (Velarization) [2]، وفضَّل مُصطَلَح "البَلعَمَة" (Pharyngea-lization) بعضهم [3]، بناءً على تحليل أكوستيكي فسيولوجي، أظهر أن المنطقة المتدخِّلة في التَّفخيم ليست الطَّبَق فقط لكنها منطقة الحلق، وتحديدًا البُلعوم أو لسان المزمار، وعلى هذا يبدو أن وصفها بالأصوات الحلقية أنسب من وصفها بالأصوات المطبقة [4].

والمُستَعلِيات مُتفاوِتَةٌ في التَّفخيم؛ «فما كان استعلاءه أبلغ كان تفخيمه أبلغ، فحروف الإطباق أبلغ في التَّفخيم من باقي حروف الاستعلاء» [5] السَّبعة، التي أشار إليها الزمخشري، والمجموعة في قولهم : (خُصَّ ضَغطٍ قِظ).

وقد أَومَأَ الخليل إلى تفخيم أصوات الإطباق، في سياق تعليله بعضَ الظَّواهر الصرفصوتية؛ فقال: «لأنَّ الطَّاءَ من فِخام حروف الشَّجْر التي قَرُبَت مخارجها من التَّاء، فضَمّوا إليها حرفًا فَخمًا مِثلَها، ليكونَ أيسَرَ على اللِّسان، لِتبايُن مَدْرَجة

(1) انظر: عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص96.

(2) انظر: عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي. ص279.

(3) انظر: العاني، سلمان حسن، التشكيل الصوتي في اللغة العربية: فونولوجيا العربية، تر: ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي، السعودية، ط.1، 1983. ص404.

(4) انظر: العاني، سلمان حسن، التشكيل الصوتي في اللغة العربية. ص71.

(5) المرعشي، محمد بن أبي بكر، جهد المقل. ص 70 .

الحروف الفِخام [1] من مَدارج الحروفِ الخُفت» [2]. فقابَل الفِخام بالخُفت، وأشار إلى صوتين فخمين عنده: الطاء والظاء، وهما من حروف الإطباق. وكذلك أشار سيبويه إلى ارتفاع درجة التَّفخيم في المطبَقات؛ فقال: «والمطبَق أفشى في السَّمع» [3]، وعِلَّة ذلك أنَّ: حروف الإطباق يبقى لها تفخيمُها في كُلِّ وَضعٍ، ومع كُلِّ حرف عِلَّةٍ سابقٍ أو لاحقٍ، أما الثلاثة الطَّبَقية [4]، فلا تُفَخَّم في مجاورة الكسرة [5].

بهذا المفهوم للإطباق عند سيبويه وبقية المتقدِّمين، لم يَكُن القاف مُطبَقًا، بل هو منفتِحٌ مُستَعلٍ، ذو قيمةٍ تفخيمية. فإذا فَقَدَت القاف صفة الاستعلاء انقلبت كافًا صمَّاء، «ليس فيها شِدَّةٌ ولا همسٌ [6]، وهي تحدُث بـ«إطباق أقصى اللسان إلى الحنك عند التَّلفُّظ بالغُنَّة قبل القاف والكاف» [7].

أمَّا المُحدَثُون ؛ فمنهم من يرى القاف صوتًا مُفخَّمًا تفخيمًا كُلِّيًّا، ومنهم من يراه صوتا مفخما تفخيمًا جُزئِيًّا.

---

(1) وهي ماعدا السبعة الحلقية: الهمزة، والهاء، والألف والعين والحاء والغين والخاء .

انظر: القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة. ص127 .

(2) انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج8ص167 .

(3) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص460 .

(4) وهي التي يَتِمُّ نطقها في الطَّبَق: الخاء، والغين، والقاف؛ مع توسع في مدلول الطبق في حالة القاف، حتى يشمل اللهاة باعتبارها قصوى أجزائه.

انظر: عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص93 .

(5) المرجع السابق. ص154 .

(6) يقول ابن الجزري عن الكاف: «فَلْيُعْنَ بما فيها من الشِّدَّة والهمس لِئَلَّا يُذْهبَ بها إلى الكاف الصَّمَّاء الثابتة في بعض لغات العجم، فإنَّ ذلك الكاف غير جائزةٍ في لغة العرب». انظر: ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر. ج1ص221 .

(7) المرعشي، محمد بن أبي بكر، جهد المقل. ص205 .

فالأولون : ومنهم تمام حسان [1]، وحسن ظاظا الذي يتعجَّب من عدم إدراج سيبويه القاف في المُطبَقات مع أنها كذلك في لغة العرب وبقية اللُّغات السَّامية [2]. ولا عَجَب، فالقاف لم يكُن عند سيبويه مُطبَقًا بالمعنى الفونيمي لظاهرة الإطباق، كما هو حادِثٌ في فُصحى اليوم، صفةً فارقةً متى تجرَّد منها الصَّوت انقلب كافًا. ثم إنَّ المُحدَثين لا يُفرِّقون بين الإطباق والتَّفخيم ما دام اللِّسان يتَّخذ فيهما الشكل المُقعَّر.

والآخرون: صنَّفوا القاف ضِمن المُفخَّمات تفخيمًا جُزئِيًّا [3]؛ لكونه أصبح صَوتًا طَبقِيًّا، يَتِمُّ نُطقُه في الطَّبَق، بسبب تراجُع مخرجه من بداية اللَّهاة إلى آخرها، فيَقرُب اللِّسان من الجِدار الخَلفي للحلق في نُقطة فوق منطقة التَّحليق [4]، ويُصبح وضعُ مُؤخِّر اللِّسان على مُؤخِّر الحنك اللَّيِّن، بين الحلق اللَّهاة [5]، فيُكسِبُه العُنصُران الطَّبقي والحلقي في نُطقه بعضَ القيمة التَّفخيمِيَّة [6]، ويغدو أقلَّ استعلاءً وفخامةً. وهم يُقَرِّرون أنَّ العرب لم يَتبيَّنُوا ما يَلحَق صوت القاف من قيمة تفخيمية جُزئية [7]، وأنَّ مَردَّ ذلك إلى انتفاء نَظيرٍ له مرقَّقٍ عندهم [8].

ولعلَّ عدمَ ذِكر اللُّغويِّين العرب القافَ صوتاً مُطبَقًا راجِعٌ إلى كونِ الإطباق في القاف لا يترتَّب عليه تداخل فُونِيمَين؛ أي: أنَّ الإطباق في القاف ليس صِفةً تمييزيَّة،

---

(1) عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص96.

(2) ظاظا، محمد حسن، كلام العرب. ص27.

(3) كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية. ص36، 110.

(4) انظر: عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص93-97.

(5) انظر : إبراهيم، عبد الفتاح محجوب، القاف المسماة فصيحة. ص217، 226.

(6) عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص97.

(7) المرجع السابق. ص96.

(8) عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي. ص295.

كما هو الحال مع الأصوات الأربعة (ص ض ط ظ)، وإنما يَعكِس سِمَةً لهَجِيَّةً أو تنوُّعاً فردياً، فهو بذلك غير ناجم عن أصل النُّطق به، وإنما عن رنين (Resonance) في حُجرة كبيرة نسبياً، ضِمن جهاز النُّطق، وهذا الدَّوِيُّ مَرَدُّه إلى انفكاك أعضاء النطق بعد انحباس الهواء في تلك الحُجرة، نظراً لأن مخرج هذا الصوت من «أقصى اللسان مما فوقه من الحنك» [1]. وهذا الرَّنين (الدَّوِيُّ) يُحدِث صَدًى، ومثل هذا الصَّدى هو الذي يُحدِث التَّفخيم. ومن ثَمَّ فإنَّ إخراج اللُّغوِيِّين القُدماء لصوت القاف من الأصوات المفخَّمة، يَعكِس إدراكهم لطبيعة تفخيمهِ، دليلُ ذلك ذكرهم إيَّاه في الأصوات المُستَعلِيَة المانعة إمالة الألف [2].

فمع سقوط كُلِّ هاتيك الاحتمالات، لم يبق إلا أن يُقال:

1- إمَّا إنَّ القاف الفصحى التي بها ننطق اليوم غدا صوتًا فَذًّا كالضاد العربية القديمة التي إذا أُزيل عنها الإطباق، خرجت من الكلام، لأنه ليس من موضعها حرفٌ غيرها، وهي في نُطقنا الفصيح اليوم مهموسٌ، ونُطقه مجهورًا مع المحافظة على الخصائص النُّطقِيَّة نفسِها مُتعذِّرٌ [3] على الأكثرين. وهذا قولٌ بعيدٌ.

2- وإمَّا أن تكون القاف لا تزال مُحافِظةً على موضعها وعلى صفاتها التي ذكرها علماء العربية صوتًا شديداً مجهوراً بضابط القدماء للجهر، عند قراء القرآن مع اختلافهم في لهجاتهم المحلية، كما هو الحال في لهجة أهل الموصل [4]، وفي كثير من الكلمات في عامية العراق والجزائر وتونس وبعض بلاد سوريا وعامية رشيد وبعض

---

(1) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج2ص453.

(2) ابن جني، عثمان، سر صناعة الإعراب. ج1ص62.

(3) الحَمَد، غانم قَدُّوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص218-219.

(4) النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص26.

مناطق اليمن، وكان مستعملًا منذ عهد غير بعيد في بعض مناطق بني سويف [1]، في البادية المصرية. وهذا القول أقرب إلى الصَّواب.

(1) وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، نهضة مصر، مصر، ط.1، 1957. ص292.

كيفية إخراج صوت القاف

1 – عند القُدامى :

من المُتَّفق عليه أنَّ ابن سينا من القلة القليلة التي عُنِيَت بتوصيف آلية حدوث الأصوات على وجه التَّفصيل، وفيما يتَّصِل بالقاف؛ يرى ابن سينا أنَّ النَّظير الطَّبيعي لها إنما يَنشأ عن شَقِّ الأجسام وقَلعها دَفعةً [1]، وهي «تحدُث حيث يحدُث الخاء [وأدخلَ] [2]، ولكن بحبسٍ تام، وأمَّا الهواء ومقداره وموضعه فذلك بعينه» [3]. وعن الخاء التي جعلها مَعلمًا لبيان صوت القاف؛ يقول ابن سينا: «تحدُث من ضغط الهواء إلى الحَدِّ المُشتَرك بين اللَّهاة والحنك ضغطًا قَوِيًّا مع إطلاقٍ يهتَزُّ فيما بين ذلك رُطوباتٌ يَعنُف عليها التَّحريك إلى قُدام، فكُلَّما كادت أن تحبِس الهواء، زُوحِمت وقُسِرت إلى الخارج في ذلك الموضع بقُوَّة» [4].

وبمجموع ما ذُكر في هذين الموضعين يكون تفسير ابن سينا لكيفية حُدوث صوت القاف : أنها تنشأ من ضغط الهواء إلى الحَدِّ المُشتَرك بين اللَّهاة والحنك وأدخلَ، ضغطًا قَوِيًّا مع إطلاقٍ، يهتَزُّ فيما بين ذلك رُطوباتٌ يَعنُف عليها التَّحريك إلى قُدام، فكُلَّما كادت أن تحبِس الهواء، زُوحِمت وقُسِرت إلى الخارج في ذلك الموضع بقُوَّة ومع حَبسٍ تام. فيُسمَع عند النُّطق بالقاف نظير ما يُسمَع عند شَقِّ الأجسام وقَلعها دَفعةً واحدةً.

---

(1) ابن سينا، الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف. ص93.

(2) المصدر السابق. ص117.

(3) المصدر نفسه. ص74.

(4) نفسه. ص73.

ويقول النُّعَيمي: «يولد صوت القاف بأن يتَّصل أقصى اللسان باللَّهاة، وهي المنطقة الرِّخوة من الحنك التي تُقابل أقصى اللسان، مُسبِّبا حبسًا تاما للهواء، ثم ينفصل فجأة. هكذا كان ينطق الصوت في القديم، وهكذا هو عند العرب اليوم في الفصيح» [1].

2- عند المُحدَثين :

للنُّطق بالقاف الحالية يَندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة، فلا يحرِّك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدنى الحلق من الفم، وهُناك يَنحبِس الهواء حَبسًا كُلِّيًّا، وذلك بأنْ يَرتفع أقصى اللِّسان حتى يَلتقي بأدنى الحلق بما في ذلك اللَّهاة، وحتى يتصل كذلك بالجدار الخلفي للحلق، في نقطة، فوق تلك التي تتصل بها ظاهرة التحليق [2]. ولا يُسمَح للهواء بالمُرور خلال الأنف، وذلك برفع مُؤخَّر الحنك اللَّيِّن (الطَّبق)، حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق [3]؛ يُضغَط الهواء مُدَّةً من الزَّمن، ثم يُطلَق مجرى الهواء بأن يُخفَض أقصى اللسان فيَنفصل العضوان انفصالا مُفاجِئًا، فيندفع الهواء محدِثًا صوتًا شديدا [4] (انفجاريًّا).

---

(1) النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص30.

(2) عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص97.

(3) المرجع السابق. ص96.

(4) انظر: السعران، محمود، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي. ص131.

احتفظت مُعظم اللُّغات السَّامية بالأصوات الثلاثة الشديدة من أقصى الحنك واللهاة : الكاف المهموسة (k)، والجيم المجهورة (g)، والقاف اللهوية (q). وقد بقي صوت القاف بلا تغيير في الأكادية (البابلية-الآشورية) [1]، بينما تعرَّض لكثيرٍ من التغيرات نتيجة للتَّحوُّلات التاريخية في العربية القديمة [2] مُتَّخِذًا في مخرجه اتجاهين، أحدهما خلفي باتجاه الهمزة، والآخر أمامي من اللهاة إلى منطقة الطبق، فتحول إلى الغين مع جهره ورخاوته، ثم انتقل في منطقة الطبق نفسها إلى الكاف، ثم تقدَّم إلى منطقة الغار فتحوَّل إلى الجيم الفصحى أو المزجية، ثم أخيرا تقدَّم إلى منطقة اللثة حيث تحوَّل إلى الصوت المزجي المكون من الدال والزاي (دز) [3].

وخلافا لما ذكره ابن جني [4]، فقد وقع القاف مُبدلا من أحد عشر صوتًا؛ هي: الهمزة، والكاف العربية، والكاف الفارسية، والغين، والجيم، والهاء، واللام، والميم، والنون ، والواو، والصوت المزجي المركب من الدال والزاي.

(1) صفية، وحيد، أشكال التبدلات الصوتية في اللغات السامية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، سورية، 2009. م31 ع1 ص58.

(2) عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي وقوانينه، مجلة كلية اللغة العربية بالرياض، السعودية، 1975. ع5 ص107.

(3) السحيمي، سلمان بن سالم، إبدال الحروف في اللهجات العربية، مكتبة الغرباء الأثرية، السعودية، ط.1، 1995. ص282.

(4) انظر: ابن جني، عثمان، سر صناعة الإعراب. ج1 ص287.

1- إبدال القاف كافا عربية:

من الناحية الصوتية؛ فالقاف والكاف متقاربان مخرجا وصفات، وهذا التقارب أوجد البدل بينهما؛ فالقاف من أقصى اللسان، ومخرج الكاف يليه مباشرة، ثم هما يشتركان في أنهما جميعا: شديدان منفتحان مرققان. ولا يفترقان إلا في أن القاف مجهورةٌ مُستعلِيَةٌ، والكاف مهموسةٌ مُستَفِلَةٌ. وهاهنا مال الناطق إلى التخلُّص من صوت القاف المُفخَّم، واستبدل به الصوت المرقق (الكاف) الذي هو أسهل في النُّطق، لكون مخرجه أكثر أمامية، والأصوات غالبًا ما تَتَّجِه صوب الأمام طلبًا للسُّهولة.

ولهذه الظاهرة جذورٌ قديمةٌ؛ فقد قرأ عبد الله بن مسعود الهُذَلي قوله تعالى ﴿فأما اليتيم فَلا تَقْهَرْ﴾ [الضحى:9] : ﴿فلا تكهر﴾ بالكاف، وكذلك قرأها إبراهيم التيمي والشعبي [1]. وفي مصحف ابن مسعود أيضًا ﴿قُشِطَتْ﴾ من قوله تعالى ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: 11] [2]، وهي لغة تَميم وبني أَسَد [3]. وعلَّل ابن جرير الطبري هذه القراءة بقوله: «الْقَشْطُ وَالْكَشْطُ: بمعنى واحدٍ، وذلك تحويلٌ من العرب الكاف قافًا، لتقارُب مخرجيهما، كما قيل : للكافور قافورٌ، وللقِسط كِسطٌ، وذلك كثيرٌ في كلامهم، إذا تقارب مخرج الحرفين، أبدلوا من كُلِّ واحدٍ منهما صاحِبَه» [4]، وبنحو ذلك علَّلها ابن خالويه [1].

---

(1) انظر : الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح : عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد السند حسن يمامة، دار هجر، السعودية، ط.1، 2001 م. ج24ص490.

(2) انظر : الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج24ص149.

(3) انظر : شاهين، عبد الصبور، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، مكتبة الخانجي، مصر، ط.1، 1987م. ص192.

(4) انظر : الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج24ص149.

ويُزوِّدُنا المعجم العربي بكَمٍّ كبير من الكَلِم وردت بالكاف والقاف على حَدٍّ سواء؛ فمن ذلك: الدُّعْكَةُ والدُّعْقَة: الجَماعة من الابل [2]، القُسْط والكُسْط: الذي يُتبخَّر به، الفَرسَك والفَرسق : جنس من الخوخ أحمر وأصفر، البُخنُق والبُخنُك: البُرقُع الصغير، القِرْشَبّ والكِرْشَبّ: المُسِنُّ، عربي قُحٌّ وكُحٌّ: خالص، إناء قربان وكربان: قَرُب أن يمتلىء، مُكْبَئنّ ومُقْبَئنّ: مُتَقَبِّض، المَوْقُوم والمَوْكُوم: الشديدُ الحُزْن، رجلٌ زَبعَقٌ وزبعَكٌ: إذا كان سيّئ الخُلُق، الأقْهَب والأكْهَب: لونٌ إلى الغبرة، الحرقلة والحركلة: ضرب من المشي، الكُلاكِل والقُلاقِل: القصير المُجْتمِع، العاتِقة والعاتكة: القوس التي قَدُمَت واحمرت، المُقَردِحُ والمُكَردِح: الدائب في عمله، اقْمَهَّدَ واكْمَهَّدَ: رعش من الضعف، قاتَعه وكاتَعه: قاتَله، دقَمَة ودَكَمه: دفع في صدره، عَسِقَ به وعَسِك: لَزِمه، امْتَقَّ وامتكَّ: شرب جميع ما في الضرع [3].

وإبدال القاف كافا نجده في قبيلة (الهواجر) بالمنطقة الشرقية من السعودية [4]، وفي اللهجة المحلمية والخوزستانية أيضًا [5]، كما نجد له حُضورًا في قرًى فلسطينية،

---

(1) ابن خالويه، الحسين بن أحمد، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، مصر، ط.1، 1941. ص122.

(2) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. ج4ص1583.

(3) انظر : اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال، تح: عز الدين التنوخي، سورية، 1961. ج2ص353-364.

(4) انظر: جونستون، ت.م، دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية، تر: أحمد الضبيب، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط.2، 1983. ص54-55.

(5) معروف يحي وعبيات عاطي، الدلالة الصوتية والنحوية في اللهجة العربية الخوزستانية، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة رازي كرمنشاه، إيران، 2011. س4، ع12ص127.

وفي سوريا وشمال الجزائر [1]. وهذا الألوفون قد يَطَّرِد استعماله في بعض البلاد، كما في منطقة جيجل بالجزائر، وقد يكون في مناطق مُستعمَلا في بعض الكلمات دون بعض، كما في المنطقة الغربية من الجزائر حيث يُقال "كتل" في (قتل)، ولا يُقال "كلب" في (قلب).

2- إبدال القاف كافا فارسية :

القاف بتزحزحه عن مخرجه اللهوي إلى الأمام صوب أقرب جيرانه "الكاف" الحنكي ؛ إمَّا أن يحلَّ بداره ويتخلى عن صفاته المميزة له فيصير كافا عربية خالصة، كما تقدَّم، وإمَّا أن يحتل مَوقِعًا بين اللَّهوي والطَّبقي، فينتُج صوتٌ فَرعِيٌّ يَستمِدُّ خصائصه وصفاته من فُقدان الصَّوتَين الأصليين بعض صفاتهما، فيحمل الصفات المشتركة بين القاف والكاف، ويفارقهما فيما تنافرا فيه، ليُحقِّق هُويَّته [2].

وقد كان هذا الألوفون شائعا جدا بين كثير من قبائل اليمن وغيرها في جزيرة العرب ؛ يقول ابن دُرَيد: «فَأَمَّا بَنو تَمِيم؛ فَإِنَّهُم يُلحِقون الْقَاف باللَّهاة، فتغلُظ جِدًّا، فَيَقُولُونَ لِـ"الْقَوْم": "الكَوْم" [3]، فَتكون الْقَاف بَين الْكَاف وَالْقَاف. وَهَذِه لُغَة مَعْرُوفَة فِي بني تَمِيم؛ قَالَ الشَّاعِر:

وَلَا أكُول لكِدر الكَوم كَد نَضِجَتْ وَلَا أكول لباب الدَّار مكفولُ» [4].

---

(1) كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية. ص110.

(2) انظر: رفاس، سميرة، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، رسالة دكتوراه، سيدي بلعباس، جيلالي ليابس، 2007-2008. ص169.

(3) كتبت في بعض النسخ : بالقاف وفوقها الكاف (قـ).

(4) ابن دُرَيد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تح : رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، لبنان، ط.1، 1987م. ج1ص42.

وقد أورد هذا الكلام ابن دريد في سياق التمثيل لـ«حُرُوف لَا تَتَكَلَّم بهَا الْعَرَب إِلَّا ضَرُورَة، فَإِذا اضطرُّوا إِلَيْهَا حَوَّلوها عِنْد التَّكَلُّم بهَا إِلَى أقرب الْحُرُوف من مخارجها» [1]. وتعقَّبه ابن فارس قائلا: «أما الَّذِي ذكره ابن دُرَيد فِي "بور" و"فور" فصحيحٌ. وذلك أن "بور" لَيْسَ من كلام العرب، فلذلك يحتاج العربيّ عند تعريبه إياه أن يُصيّره فاءً، وأما سائر مَا ذكره فليس من باب الضرورة في شيء. وأيُّ ضرورة بالقائل إِلَى أن يقلب الكاف شيناً، وهي ليست في سجع ولا فاصلة ؟ ولكن هَذِهِ لغات للقوم عَلَى مَا ذكرناه فِي باب اختلاف اللغات» [2]. ولعلَّ ابنَ دُريد أراد بالاضطرار رمزَ وكتابةَ هذه الأصوات، إذ لم يجعل لها رَمزٌ، وإنما كُتِبت بأقرب الأصوات إليها [3]. ويُقَوِّي هذا التَّوجيه نسبة ابن دُرَيد هذه القاف إلى بني تميم، وتقريره أنها لغةٌ معروفة فيهم.

استمرَّ وجود هذه القاف على مَرِّ الزَّمان وإلى الآن، وكانت في أهل البادية من العرب فاشِيةٌ في مختلف البلاد، بل صارت «علامةً عليهم من بين الأمم والأجيال مختصًّا بهم لا يُشارِكهم فيها غيرهم، حتّى إنَّ مَن يُريد التعرُّب والانتساب إلى الجيل والدّخول فيه يحاكيهم في النُّطق بها. وعندهم أنّه إنّما يتميّز العربيّ الصّريح من الدّخيل في العروبيّة والحضريّ بالنّطق بهذه القاف» [4]. لذا انتقد ابن خلدون عدَّها حرفًا مُستقِلا، واستهجانها واستقباحها، واستظهر أنَّها أرجح من الفصيحة؛ لكونها

---

(1) ابن دُرَيد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة. ج1 ص41.

(2) ابن فارس، أحمد بن زكرياء ، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.1، 1997م. ص30.

(3) السحيمي، سلمان بن سالم، إبدال الحروف في اللهجات العربية. ص292.

(4) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر. ج1 ص768.

تُدغَم في الكاف لتقارب المخرجين، ولو كانت كما يَنطِق بها أهل الأمصار من أصل الحنك، لم تُدغم [1]، ولأنها مُتوارَثةٌ في أصحابها مُتعاقِبةٌ فيهم [2]، وأنها لغة مُضَرٍ، ولعلّها لغة النّبي ﷺ بعينها [3].

وخِلافًا لكانتينو [4]، يُقرِّر ابن خلدون أنَّ القاف الّتي ينطق بها أهل الأمصار «لم يَستَحدِثوها، وإنّما تناقلوها من لَدُن سلفهم، وكان أكثرهم من مُضَر لمّا نزلوا الأمصار من لَدُن الفتح» [5]. فالنُّطقان كلاهما يمثِّلان لغة قديمة من لغات العرب، ويُؤيِّدُ ذلك أن تميما البدوية كانت تنطق القاف صوتاً شديداً مجهوراً، في حين يَنطقها الحجازيون الحضر صوتاً مهموساً.

---

(1) فأهل البادية «لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأمصار، كما هو مذكورٌ في كتب العربية، أنّه من أقصى اللّسان وما فوقه من الحنك الأعلى. وما ينطقون بها أيضا من مخرج الكاف، وإن كان أسفل من موضع القاف، وما يليه من الحنك الأعلى كما هي، بل يجيئون بها مُتوسّطة بين الكاف والقاف».

انظر : ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر. ج1ص769.

(2) يتَّفق كمال بشر مع هذه الرُّؤية، ويذكر أن وجود هذه الصورة النُّطقية للقاف بهذه الكثرة في هذه اللهجات يوحي «بأنه أثرٌ باقٍ لنُطقٍ قديم، إذ انتشاره في هذه البيئات المختلفة يُضعِف احتمال كونه ابتكاراً لغوياً محليا». انظر : بشر، كمال محمد، علم الأصوات. ص111.

(3) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر. ج1ص769.

(4) الذي رجَّح «أنَّ القاف كانت فعلاً حرفاً مجهوراً في العربية القديمة، ويمكن أن يكون نطقه مهموساً في العربية الفصحى اليوم ناتجاً عن كونه أصبح مهموساً في اللهجات الحضرية المدنية، لأن أغلبية المثقفين اليوم هم من أصل مدني».

انظر: كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية. ص107.

(5) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر. ج1ص769.

وهذا الصَّوت هو أكثر ألوفونات القاف انتشارا في الوطن العربي، ولا يزال طاغيا على ألسنة كثير من متكلمي العربية في اللغة الدارجة [1]، إذ نجده في معظم اللهجات الخليجية والعراقية، واليمن وخوزستان [2]، وشرق سوريا والأردن وفلسطين وصعيد مصر والسودان وليبيا [3]، وكثيرٍ من مُدن الجزائر وتونس والمغرب. وهذه البلاد تختلف في نسبة استعمالها لهذه القاف، فمنهم من تكون هي قافه التي ينطق بها كل الكلمات القافية أو غالبها، ومنهم من يستعملها في بعض الكلمات، ويهجرها إلى القاف الفصيحة في البعض الآخر.

ولأنَّ هذه القاف لا رَمزَ لها عند الأقدمين، فإنَّ هذا الباب يتداخل مع الذي قبله، فتُجمَع الكلمات التي تُنطق بالكاف العربية مع نظيراتها التي تُنطق بالكاف الفارسية. وهذا الألوفون تارةً يُنعت بالكاف المتوسطة بين الكاف الصّريحة والجيم أو القاف [4] أو بكونه بين القاف والكاف، وتارة يسمى القاف المعقودة [5]، وأخرى الكاف الصماء [6]، وهي تختلف عن الكاف الأصلية الشديدة والمهموسة. وربما نُسب هذا الألوفون إلى جغرافية نُطقه؛ فيُقال فيه: الجيم القاهرية أو الجيم اليمنية، أو القاف النجدية، وتارة يُعزى إلى جنس الناطقين به؛ فيُقال فيه: القاف البدوية أو القاف التميمية أو الكاف الفارسية.

---

(1) الحَمَد، غانم قَدُّوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص216.

(2) معروف يحي وعبيات عاطي، الدلالة الصوتية والصرفية. ص 127.

(3) السحيمي، سلمان بن سالم، إبدال الحروف في اللهجات العربية. ص267.

(4) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر. ج1ص44.

(5) الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق، تحت راية القرآن، المكتبة العصرية، لبنان، ط.1، 2002م. ص116.

(6) ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر. ج 1ص221.

ويُنطق هذا الألوفون صوتًا طَبقِيًّا شديدًا مجهورًا [1] مزجيًّا، يُرمَز له برمز [g]، فيُقال مَثلا في قال (qaa/la): ڤال (gaa/la). وهو يُمَثِّل عند بعض المحدثين مجهور الكاف [2]؛ مخرجه من مخرجها، يتشكَّل في نقطة التقاء مُؤخر اللِّسان، بأول اللَّهاة، من جهة منتصف الحلق [3]. وعند جمهورهم «النَّظير المجهور للقاف، الذي يحدُث في نفس الموضع وبنفس الكيفية، ولكن يتذبذب معه الوتران الصوتيان، فليس من جملة الأصوات العربية الفصحى الآن إلا أنه يُسمَع في بعض العاميات» [4]، يَتِمُّ نُطقه برفع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق وإلصاقه به، وإلصاق الطبق بالحائط الخلفي للحلق ليسُدَّ المجرى الأنفي مع ذبذبة الوترين الصوتيين واهتزازهما [5].

3 – إبدال القاف همزة :

خِلافًا لبعض الباحثين [6]، يَدُلُّنا المنهج التاريخي المقارِن على أنَّ هذه الظاهرة لها جذورٌ تاريخية في اللغات السامية، حيث تحولت القاف أحيانًا إلى همزة في أعلام الفينيقية، ثم سقطت، كما سقطت الهمزات الأصلية فيها؛ فمثلاً: العَلَم الفينيقي "حِمَلْقَرْت" (Himalkart) تحوَّل إلى حِمَلْأَرْت ثم إلى "حِمَلَرْ" (Himalar) [7].

---

(1) السحيمي، سلمان بن سالم، إبدال الحروف في اللهجات العربية. ص260.

(2) انظر: أيوب، عبد الرحمن، محاضرات في اللغة، مطبعة المعارف، العراق، ط.1، 1966. ص129.

(3) انظر: عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي. ص295.

(4) انظر: السعران، محمود، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي. ص131.

(5) عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة. ص53.

(6) انظر : بشر، كمال محمد، علم الأصوات. ص111.

(7) عبد التواب، رمضان، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط.3، 1995. ص11.

ويرى بعضهم أنَّه لا وشائج صوتية بين القاف والهمزة تُعِين الباحث على تعليلٍ صوتي مقبول؛ لأنه غالبًا ما يُنقَل مخرج الصوت إلى الأمام، خِلافًا لما هو واقعٌ هنا، حيث ارتدَّ القاف من اللَّهاة إلى أقصى الوراء [1]. والجواب: أنَّ القاف تشترك مع الهمزة في الشدة [2] والانفتاح، وهما على رأي القدامى مجهوران، ومهموسان على رأي المحدثين. وفي هذا الانتقال تسهيل نطقي واضحٌ، إذ أُبدِل صوتٌ مُفخَّمٌ تفخيما جزئيا إلى صوت مُرقَّقٍ. أمَّا التَّعليل بالأصول البدوية للناطقين [3]، فمرفوضٌ، ولا أدَلَّ على ذلك من بقائه في الحواضر العربية إلى الآن؛ في: دمشق والقاهرة ومراكش وتلمسان.

وبالرُّجوع إلى المدونة المعجمية العربية، نجدها قد حفظت لنا ألفاظا رُوِيت بالقاف تارة، وتارة بالهمزة، مع حملها الدلالة ذاتها؛ فمن ذلك: الوَقْبة والوأبة: النقرة في الصخرة تمسك الماء [4]، زَنَّقَ وزَنَّأَ: ضيَّق [5]، قَرَم وأرَمَ: أكل [6]، قَصَر وحصر: حبس [7]، تأبّض وتقبّض: شدَّ رجليه [8]، قَشَبَه بِشَرٍّ وأَشَبَه به: لامه وعابه [1]،

(1) شواهنة، سعيد محمد، التحققات النطقية لصوتي الكاف والقاف في الدارجة الفلسطينية، مجلة جامعة الأزهر، غزة، سلسلة العلوم الإنسانية، 2009، م11ع1-B. ص92.

(2) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص69.

(3) انظر: شواهنة، سعيد محمد، التحققات النطقية لصوتي الكاف والقاف. ص92.

(4) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب. ج2ص301،290.

(5) المصدر السابق. ج1ص84، ج12ص11.

(6) المصدر نفسه. ج14ص279، ج15ص373.

(7) نفسه. ج5ص82، ج6ص407.

(8) نفسه. ج8ص279.

قفز وأفز: وثب [2]، أصر الشيء وقصره : حبسه، قفخ وأفخ: ضرب يافوخه [3]، فَشَق وفشأ: انتشر [4]، زُهاق وزُهاء: قريب من كذا [5].

ولهذا الألوفون حضور في كثير من اللهجات العربية الحديثة، في مغرب العالم العربي ومشرقه؛ في اليمن ومعظم مدن سوريا وفلسطين [6] والأردن ولبنان، وفي مصر والجزائر والمغرب الأقصى [7]. ففي اليمن تبدل القاف همزة في لهجة تِهامة إذ يقولون في قمر، وقرص، وقلب : أمر، أرص، وألب، وفي مصر ينتشر هذا النطق في لهجة القاهرة وفي القليوبية والواسطي وجزء كبير من الفيوم، وفي المغرب العربي، ينتشر في تلمسان وضواحيها، وشمال مراكش ومدينة تطوان وضواحيها، ومدينة وزان؛ فيقال : في قال : آل، وفي القط : الأط [8].

4- إبدال القاف غينا :

ولهذا الإبدال اتجاهان؛ أولهما: تحول القاف إلى غين. والآخر: تحول الغين إلى قاف. فمثال الأول: يلغي في يلقي ، والأخرى: يقني في يغني [9]. ومرد هذا التغير في

---

(1) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، ما اختلفت ألفاظه و اتفقت معانيه، تح: ماجد حسن الذهبي، دار الفكر، سورية، ط.1، 1986. ص18.

(2) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج2ص561-562.

(3) الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية. ج1ص419، 429.

(4) المصدر السابق. ج1ص63، ج4 ص1544.

(5) ابن فارس، أحمد بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة. ج3ص33.

(6) برجشترايسر، جوتهلف، التطور النحوي للغة العربية. ص28.

(7) انظر: عبد التواب، رمضان، بحوث ومقالات في اللغة. ص13.

(8) السحيمي، سلمان بن سالم، إبدال الحروف في اللهجات العربية. ص278.

(9) مطر، عبد العزيز، خصائص اللهجة الكويتية. مطابع الرسالة، الكويت، 1969. ص34.

صوت القاف وانقلابها غينًا: ضياع الانفجار من القاف، وتزحزح مخرجها إلى الأمام قليلاً.

ونظفر بجذورٍ لهذا الإبدال في المعجم العربي القديم؛ فمن الكلمات التي وردت بالقاف والغين : قمس وغمس: إذا غاب في الشيء [1]، الوقب والوغب: الأحمق [2]، غلام أقلف وأغلف : لم يختَن، الغَمَزُ من الناس والقَمَزُ: الرُّذال ومن لا خير فيه، سمعت نَغْيَةَ حَقٍّ ونَقْيَةَ حَقٍّ، أي: كلمة حقٍّ، تزيَّقت المرأة وتزيَّغت : إذا تزيَّنت، قذَم وغذَم له العطاء: إذا أكثر [3]، ويُقال: مشغه ومشقه مائة سَوْط: إذا ضربه [4]، قلقل في الأرض وغلغل: سار فيها بخفة وسرعة [5].

وينتشر هذا الألوفون في مناطق واسعة من العالم العربي حيث تُنطَق القاف غينا أو قريبا من الغين؛ فله وجودٌ في الجزائر عند أهل آدرار وتكانت والحوض [6]، وبوادي مسيلة والجلفة التي يقطنها عرب اليمن [7]، وفي بعض لهجات اليمن كما في لهجتي تعز والحجرية، وكذلك في المنطقة الشرقية من السعودية [8]، وفي لهجة بدو

(1) الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية. ج3ص966.

(2) المصدر السابق. ج1ص234.

(3) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة. ج9ص77، 187، 320.

(4) المصدر السابق. ج8ص47.

(5) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج2ص329،328، 565.

(6) انظر : الشّنْقِيطي، أحمد بن الأمين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، الشركة الدولية للطباعة، مصر، ط.5، 2002. ص513.

(7) معروف يحي وعبيات عاطي، الدلالة الصوتية والصرفية. ص127.

(8) السحيمي، سلمان بن سالم، إبدال الحروف في اللهجات العربية. ص272.

العراق وقراه وجنوبه، وفي الكويت وجزيرة المحرق بالبحرين [1]، وفي بعض كلم لهجات خليجية، وفي اللَّهجة الخوزستانية، وبعض لهجات قُرى فلسطين (طولكرم، نابلس) [2]، وفي بني سويف في مصر [3]. ويشيع هذا النُّطق على ألسنة السودانيين [4]، حيث يظهر على أشده في الشرق والشمال، ويَقِلُّ كلما اتجهنا غربا حتى تكاد تختفي عند عرب دارفور [5] ، وقد يكون وافِدًا من الشرق أو من الحبشة قادما من اليمن ، فاللغة التجرينية في أثيوبيا تَقلِب القاف غينًا [6].

5 – إبدال القاف جيما :

القاف والجيم تتعدَّد مخارِجُهما، فيتقدَّم كل منهما عن مخرجه ويتأخر، وقد يلتقيان في مخرج واحد؛ فالقاف تتأخَّر عن مخرجها حتى تصل إلى الهمزة، وتتقدم عن مخرجها حتى تصل إلى الدال أو المنطقة اللثوية. والجيم يتقدم مخرجها حتى تكاد تصل إلى منطقة اللثة، ويتأخر مخرجها حتى تصل إلى منطقة الطبق اللين، وفي أثناء تحركهما إلى الأمام أو إلى الخلف يلتقيان في مخرج واحد، وهو الطبق اللين. ويكون هذا الصوت قافا عند قوم من العرب وجيما عند آخرين، وقد سجَّل اللُّغوِيُّون

---

(1) مطر، عبد العزيز، الأصالة العربية في لهجات الخليج، عالم الكتب، الكويت، د.ت. ص149.

(2) انظر: الحَمَد، غانم قَدُّوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص213.

(3) عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة. ص80.

(4) انظر: أبو بكر الخليفة، يوسف، أصوات القرآن : كيف نتعلمها ونعلمها، مكتبة الفكر الإسلامي، مصر، ط.1، 1973. ص82.

(5) انظر: عابدين، عبد المجيد، من أصول اللهجات العربية في السودان : دراسة مقارنة في اللهجات العربية القديمة و آثارها في السودان، مكتبة غريب، مصر، ط.1، 1966. ص44.

(6) عابدين، عبد المجيد، من أصول اللهجات العربية في السوادن. ص47.

والمعجمِيُّون ذلك، ووَرِثت اللهجات العربية الحديثة هذا الاختلاف، وحفظته لنا، وهو موجودٌ على الألسنة العربية المعاصرة [1].

وقد أشار ابن فارس إلى إبدال العرب القاف جيما بقوله : «وأما الجِرِّيَّة، وهي الْحَوْصَلَةُ؛ فالأصل الذي يُعوَّل عليه فيها أن الجيم مُبدَلة من قاف، كأنَّ أصلها قِرِّيَّة، لأنها تَقري الشيء، أي: تجمعه، ثم أبدلوا القاف جيما كما يفعلون ذلك فيهما» [2]. ومما ورد بالقاف والجيم في القاموس القديم : أحنق الفرس وأحنج: أي ضَمُر ، تلقف البئر وتلجف: أكل الماء جوانبها، وزلَّق الموضع وزلجه: ملسه [3]، بائقة وبائجة للداهية، الجص والقص: الطلاء يطلى به الحائط وغيره [4]، الجُمزة والقُمزة: وهي كُتلة من التمر [5]، الشج والشق: الكسر، السحق والسحج: الطَّرد الشَّديد، التَّحديق والتَّحديج : شِدَّة النَّظر [6].

وهذا الإبدال لا يزال مُنتشِرًا في مناطق من العالم العربي؛ فيقولون "الجبلة" في (القبلة)، و"جدام" في (قدام)، و"جلب" في (قلب). وهذه الظاهرة تحيط بجميع أجزاء الجزيرة العربية عدا جنوبها ووسطها، فهي في المنطقة الشرقية من السعودية، و في السلسلة الجبلية التي تمتد من شمالها إلى جنوبها، عدا بعض مناطق عسير التي

---

(1) السحيمي، سلمان بن سالم، إبدال الحروف في اللهجات العربية. ص248.

(2) ابن فارس، أحمد بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة. ج1ص448.

(3) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1ص239-245.

(4) انظر : ابن سيده، علي بن إسماعيل، المخصص، تح: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط.1، 1996. ج6ص103.

(5) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. ج3ص892.

(6) ابن فارس، أحمد بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة. ج2ص36.

يتكلم أصحابها بالكشكشة [1]؛ وفي دول الخليج العربي وجنوب العراق وغربه وفي صحراء الشام، وربما تكون في بعض المناطق الجبلية [2]، وهي موجودة في اللهجة الخوزستانية [3]، ومعظم من يستبدل الجيم بالقاف، ينطقون الجيم المشبعة لا المعطشة.

6- إبدال القاف صوتا مزجيا (دز) :

هنا القاف قد تقدَّم مخرجها من اللهاة باتجاه الطبق، فنتج صوتٌ طبقي، ثم تقدم مخرجها إلى الأمام إلى منطقة الغار أو شجر الفم، فتحوَّلت إلى الجيم الفصيحة أو المزجية [4]، المُكوَّنة من الدَّال والزاي (دز).

ولأنَّ العرب لم تَرمُز للأصوات المزجية، وإنما تُعرَف بالمشافهة، فإنَّه يصعُب إيجاد مثال للقاف المزجية في القواميس أو كتب الإبدال، غير أن المقارنة بين بعض المواد اللغوية التي تارة تأتي على صورة الزاي، وتارة على صورة السين، وثالثة على صورة التاء، ورابعة على صورة الشين، قد تدلنا عليها؛ فمن ذلك : اللَّكز والوكز واللَّقز واللَّتز : الدفع، ويُقال به أُلاق وأُلاس: أي جُنون، والمِنقاش والمِنتاش والمنتاخ : ما يُنتف به الشعر، والتُّرنُس: الحفرة تحت الأرض، والترنوق: الماء الباقي في مسيل الماء، والطين الراسب في مسايل المياه، ونتس، نتف، نتق: جذب واقتلع، وبخَس عينه وبخزها وبخقها : إذا فقأها [5].

---

(1) انظر: السحيمي، سلمان بن سالم، إبدال الحروف في اللهجات العربية. ص258.

(2) المرجع السابق. ص258-260.

(3) معروف يحي وعبيات عاطي، الدلالة الصوتية والصرفية. ص110، 127.

(4) السحيمي، سلمان بن سالم، إبدال الحروف في اللهجات العربية. ص271.

(5) المرجع السابق. ص280.

وهذا الإبدال يقع في لهجة معظم القبائل العربية في شرقي الحجاز وغربي نجد، بل حتى في شمال المملكة والرياض وبريدة وعنيزة وحائل، وتمتد منطقة المتكلمين بهذا الصوت حتى الحدود الشمالية للمملكة، وهو ليس في كل قاف، ولكنه في كلمات كثيرة تحتوي على القاف. فهذا النطق هو الذي يميز وسط الجزيرة عن غيره وهو يستعمل إلى جانب القاف الطبقية [1].

وهذا الصوت مرتبط بظاهرة الكسكسة، وهي كاف مزجية (تس) قد جعلوا القاف مزجية أيضا، ومثل هذا حدث لأصحاب الكشكشة وهي كاف مزجية (تش) حيث حولوا القاف إلى صوت مزجي هو الجيم الفصيحة، فإبدال القاف بصوت مزجي مرتبط بالنطق بالكاف المزجية. وقد تجتمع هذه الأصوات المزجية في لهجات بعض المدن السعودية؛ فالمدينة النبوية يتكلم غربيها الكشكشة، فيجعلون القاف جيما فصيحة، وشرقيها يتكلمون يُكَسكِسون، فيحولون القاف صوتا مزجيا (دز)، ويتكلم وسطها الكاف الفصحى وينطقون القاف الطبقية [2]. ولهذا الإبدال حضور محتشَم في الجزائر، فعامة الجزائريين، يطلقون على بلدهم لفظ : دزاير.

7- إبدال القاف ميما :

القاف لهوية والميم شفهية تباعدتا مخرجا وتقاربتا قليلا بالجهر والانفتاح. ومما ورد على الوجهين : ارقَدَّ وارمَدَّ : أسرع، قد الْتُقِع لونه والْتُمِع : إذا حال وتغَيَّر، ماست الجارية وقاسَت : إذا تبخترت في مشيها، قَطَر في الأرض ومَطَر : إذا ذهب فيها، عَرَقت العظم وعَرَمته : إذا أكلت ما عليه من اللحم، مَرَّ الفرس يقزَع ويَمزَع:

(1) انظر : السحيمي، سلمان بن سالم، إبدال الحروف في اللهجات العربية. ص279.

(2) المرجع السابق.

إذا مَرَّ مَرًّا سريعًا، لَقَقتُ عينَه ولَقتها : ضربتها بالكف، عَلِق أمرَه مثل عَلِم، المَلَنْبَس والقَلَنْبَس : البئر الكثيرة الماء [1].

8- إبدال القاف لاما :

القاف لهوية واللام ذلقية، تباعدتا مخرجا، وتقاربتا بالجهر والانفتاح. ومما ورد في القاموس : القِطاط واللِّطاط : الطريق في الجبل في حُيوده، ويُقال : خَردَقت اللَّحم وخَردَلته : فَرَّقته ومزَّقته [2].

9- إبدال القاف نونا :

القاف لهوية والنون ذَلَقِيَّةٌ؛ تباعدتا مخرجا، وتقاربتا بالجهر والانفتاح. يُقال : قَفَز الظَّبي ونَفَزَ : إذا وَثَب، قَضقَضت الأَساوِد ونَضنَضت : حرَّكت ألسِنتها، سَحق وسَحَن : كلاهما بمعنى دَقَّ [3].

10- إبدال القاف هاء :

القاف لهوية والهاء حلقية؛ تجاورتا مخرجا، وتباعدتا صفة؛ يُقال : مَرَّ الفَرَس يَقزَع ويهزَع : إذا مَرَّ مَرًّا سريعًا، القُباتر والهُباتِر : القصير من الرِّجال، ويُقال للرجل إذا ركدت عليه الشمس فدامت : قد صَهَرته الشمس وصَقَرته [4].

11- إبدال القاف واوا :

القاف لهوية والواو شفوية؛ تباعدتا مخرجا، وتقاربتا بالجهر والانفتاح، يُقال : رجلٌ قَسيمٌ ووَسيمٌ : حسنٌ جميلٌ [1].

---

(1) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج2ص365-368.

(2) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج2ص365.

(3) المصدر السابق. ج2ص369.

(4) المصدر نفسه. ج2ص370.

صوت القاف ؛ إمَّا أنْ يُدغَم هو في ما بعده، وإمَّا أنْ يُدغَم فيه ما قبله، وسأبحث الحالتين معًا.

1 – ما تُدغم فيه القاف :

قال ابن يعيش : «القافُ أدنى حروف الفم إلى الحلق، والكافُ تليها، وكلُّ واحدة منهما تُدغَم في مثلها، وفي صاحبتها، ولا تُدغَم في غير صاحبتها» [2].

أ/ القاف: إدغامُها في مثلها، لا إشكالَ فيه، نحو قوله تعالى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ﴾ [الأعراف: 143] ، وقوله ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ﴾ [يونس:90]، وقوله ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ﴾ [التوبة: 100] [3].

ب/ الكاف: تُدغَم فيها القاف مُتحَرِّكةً كانت أو ساكنة ؛ فمن الأولى: قراءة أبي عمرو وحمزة وآخرين قَوله تعالى ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ [الكهف: 19] [4]، وهو ما يُعرَف بـ(الإدغام الكبير). ومن إدغام القاف الساكنة في الكاف، قولك : الحكِّلدة، تُرِيدُ: الحقْ كِلْدة، والإدغام حسنٌ والبيان حسنٌ؛ وإنما أُدغِمَت لِقُرب المخرَجين، وأنهما من حروف اللسان، وهما مُتَّفِقان في الشِّدَّة [5]، ولأنّ الكاف أدنى إلى حروف الفم

---

(1) انظر : ابن سيده، علي بن إسماعيل، المخصص. ج4ص215.

(2) انظر : ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج5ص536.

(3) المصدر السابق. ج5ص536.

(4) النيسابوري، الحسن بن محمد، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.1، 1416 هـ . ج4ص402.

(5) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص452.

من القاف، وهي مهموسة. والإدغامُ حسنٌ؛ لإخراج القاف إلى الأقرب إلى حروف الفم التي هي أقوى في الادغام. والبيانُ أحسنُ؛ لأنّ مخرجهما أقربُ مخارج الحلق إلى الفم، إلّا أنّ إدغام القاف في الكاف أقيسُ من عكسه؛ لأنّ القاف أقربُ إلى حرف الحلق، والكاف أبعدُ منها [1]. هذا تعليل المتقدِّمين، أما المحدثون، فيقول إبراهيم أنيس: «القاف كما يُنطَق بها الآن، لا فرق بينها وبين الكاف إلا في أنَّ القاف أعمقُ قَليلا في أقصى الحنك» [2]، وعلى ذلك فهما متماثلان.

وفي إدغام القاف إذا سُكِّنت في الكاف مذهبان: الإدغام الناقص مع إظهار التفخيم والاستعلاء، كالطاء في التاء، وهذا مذهب مكي بن أبي طالب وغيره، والإدغام الكامل بلا إظهار شيء، فتصير كافا مشددة، وهو مذهب الداني ومن والاه؛ وكلاهما حَسنٌ [3]. وقد اشترط القُرَّاء في إدغام القاف في الكاف أن يكون قبل الصَّوت المدغَم مُتحرِّكٌ [4].

2- ما يُدغَم في القاف :

أ/ الكاف: كما في : أنهِكْ قَطناً، وهنا الإدغام حسنٌ والبيان أحسن. وإنما كان البيان أحسن؛ لأن مخرجهما أقرب مخارج اللسان إلى الحلق، فشُبِّهت بالخاء مع الغين كما شُبِّه أقرب مخارج الحلق إلى اللسان بحروف اللسان [5]. وقد اشترط القُرَّاء في

---

(1) انظر : ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج5ص536.

(2) انظر : أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص131-132.

(3) ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد. ص139.

(4) المصدر السابق. ص139.

(5) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص452.

إدغام الكاف في القاف أن يكون قبل الصَّوت المدغَم مُتحرِّكٌ [1]. كما تقدَّم في إدغام القاف في الكاف سواءً بسواءٍ.

(1) ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد. ص139.

الفصل الثاني :

صوت الطاء

1 – عند القُدامى :

المنقول عن المتقدمين في مخرج الطاء ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول : يُعزى إلى الخليل؛ يقول الخليل: «الطاء والدال والتاء في حيِّز واحد» [1]. ونعتها بـ: النِطْعيَّة، وعلَّل ذلك بقوله: «لأنَّ مبدأها من نِطْعِ الغار الأعلى» [2]. والنِّطع كما عَرَّفه الخليل: «ما ظهر من الغار الأعلى، وهي الجِلدةُ الملتصقةُ بعَظْمِ الخُلَيْقاء، وفيها آثارٌ كالتّحزيز، ويُجْمَعُ على نُطُوع، ومنهم من يقول للأسفل والأعلى: نِطْعان» [3]. وزاد ابن سيده : «وَهُنَاكَ مَوقِعُ اللِّسَانِ فِي الحَنَكِ» [4].

وقد فهم جماعةٌ، منهم ابن الجزري، أنَّ الطاء وأختيها نُعِتت بالنِطعِيَّة، لخروجها من نطع الغار الأعلى، أي سقفه [5]، وردَّ ذلك علي القاري بقوله: «والتحقيق: أنها إنما سُمِّيَت نِطعِيَّة لمجاورة مخرَجِها نِطع الغار الأعلى، لا لخروجها منه» [6]. وعليه؛ فليس في عبارة الخليل إلاَّ بيانُ عائلة الطاء الصوتية، لا توصيفٌ محدَّدٌ لمخرجه. فلا

---

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج1 ص58.

(2) المصدر السابق. ج1 ص13.

(3) المصدر نفسه. ج2 ص16.

(4) ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 2000. ج1 ص550.

(5) كما قرَّر ابن الجزري. انظر : ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر. ج1 ص200.

(6) انظر: القاري، علي بن سلطان، المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية. ص12.

وجهَ لاعتراض مَن اعترض عليه، لأَنَّهُ إنما تحدَّث عن مبدأ الطاء، ونصَّ على أنَّ نِطْعَ الغار الأعلى مَبدَؤُها، أي: موضع تجمُّعها، لا أنَّ مخرَجَها منه.

والدَّليل على ذلك أن الخليل في مواضع أخرى فرَّق بين مخارج هذه الأصوات الثلاثة؛ فهو مثلا يقول : «سِتَّةٌ وسِتٌّ في الأصل سِدْسَةٌ وسِدْسٌ، فأدغموا الدّالَ في السِّين فالتَقَى عندها مخرَج التاء فغَلَبَتْ عليها» [1]، فهذا دليل على أنَّ للتاء مخرجا يخُصُّه، وقال أيضًا: «ويقال: اظَّأَرْت لولدي ظِئْراً، أي اتخَذْتُ، وهو افتَعَلْتُ فأُدغِمَت التّاء في باب الافتعال، فحُوِّلَتْ مع الظاء طاءً لأنَّ الطاءَ من فِخام حروف الشَّجْر التي قَرُبَت مخارجها من التاء، فضَمّوا إليها حرفا فِخماً مِثلَها ليكونَ أيْسَرَ على اللسان لتبايُن مَدْرَجة الحروف الفِخام من مَدارج الحروفِ الخفت» [2]. فمخرج الطاء قريبٌ من مخرج التاء، وهذا معنى كونهما من حيز واحدٍ.

وكذلك قال الخليل عن الدال في موضع : «وتاء الافتعال إذا جاءت بعد الذال تحولت إلى مخرج الدال فتُدغم فيها الذال» [3]. فالدَّال له مخرجه الخاص وإن كان شريكا للطاء والتاء في الحيز. وقال أيضًا : «... لأن الدَّال لانَتْ عن صلابة الطَّاء وكزازتها، وارتَفعت عن خُفُوت التّاء فَحَسُنَتْ، وصارت حالُ السِّين بين مَخْرَجِ الصَّاد والزاي كذلك» [4]. فهذا نص صريحٌ في الخصوصية الصَّوتية للدَّال مُقارنةً بجارَتَيها في الحيز، وفيه بيانٌ أن لكل من الأحرف الأسلية الثلاثة (الصّاد والسِّين والزَّاء) التي تنضوي تحت حيز واحد [6] مخرجا خاصا بها.

---

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج7ص186.

(2) المصدر السابق. ج8ص167.

(3) المصدر نفسه. ج4ص243.

(4) نفسه. ج1ص53.

(6) نفسه. ج1ص58.

المذهب الثاني : مذهب سيبويه الذي يقول: «ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء، والدال، والتاء» [1]. وفي حديثه عن مخرج الضاد قال واصفًا إيّاها بـ: «أنها اتصلت بمخرج اللام، وتطأطأت عن اللام حتى خالطت أصول ما اللام فوقه من الأسنان، ولم تقع من الثنية موضع الطاء لانحرافها، لأنك تضع للطاء لسانك بين الثَّنِيَّتين وهي مع ذا مُطبَقَةٌ» [2]. فيتحصَّل من مجموع كلام سيبويه أنَّ : مخرج الطاء وأختيها عنده؛ مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا، بوضع اللسان للطاء بين الثَّنِيَّتين.

لم يُعَيِّن سيبويه الثنايا المقصودة عنده أهي العلى أم السفلى، وقد نبَّه المبرد على أن المُراد بالثَّنايا عُليَاها، فنصَّ على أن مخرج هذه الأصوات الثلاثة إنما هو: «من طَرف اللِّسَان وأُصول الثنايا العُلَى» [3]، وفي موضع آخر: «من طرف اللِّسَان وأُصول الثنايا مُصعِدًا إِلَى الحنك» [4]. والذين جاؤوا بعد المبرد؛ أكثرهم حافظوا على عبارة سيبويه كما هي، وفي مقدمة هؤلاء: ابن جني [5]، وقِلَّةٌ انتبهت إلى قيد المبرد، فاكتفى بعضهم بعبارته الأولى كما فعل ابن الأنباري [6]، والسكاكي [7]، وجمع آخرون بين العبارتين، وفي مقدمة هؤلاء أبو عمرو الداني؛ فقال: «فالطاء والتاء والدال من مخرج واحد،

---

(1) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص433.

(2) المصدر السابق. ج4ص465.

(3) المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب. ج1ص173-174.

(4) المصدر السابق. ج1ص193.

(5) ابن جني، عثمان، سر صناعة الإعراب. ج1ص60.

(6) ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، أسرار العربية. ص288.

(7) انظر: السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم. ص12.

وهو بين طرف اللسان وأصول الثنايا العُليَا، مُصعِدًا إِلَى الحنك» [1]، واعتمد ذلك جماعة منهم: أبو حيان النحوي [2] والسيوطي [3].

ويُوضِّح ابن الحاجب مذهب المبرد ؛ فيقول: «قولهم (الثنايا) في هذه المواضع، إنما يَعنُونَ (الثَّنايا العُليا)، وليس ثَمَّ إلاَّ ثَنِيَّتان، وإنما عبَّرُوا عنها بلفظ الجمع؛ لأنَّ اللفظ به أخفُّ مع كونه مَعلومًا، وإلاَّ فالقياس أن يُقال: «وأطراف الثَّنيَّتَين»» [4] بالتَّثنِية لا الجمع، ويقوي ذلك قول سيبويه في معرِض حديثه عن الضاد: «...لأنك تضع للطاء لسانك بين الثَّنِيَّتين» [5].

وقول سيبويه: «وأصول الثنايا» ليس بحتم، بل قد يكون ذلك من أصول الثنايا، ويكون مما بعد أصولها قليلا، يقول المرعشي: « فالمراد من أصلَيهما ليس أقصى نِهايَتَيْهما من جانب اللِّثَة لاستحالة الانقسام حينئذٍ، بل المُراد ما يلي اللِّثَة من نِصفَيهما؛ فظهر أن أصليهما ينقسمان إلى ثلاثة مواضع؛ فما يلي اللِّثَة منها يخرج الطاء، ومن بُعَيدِه الدال، ومن بُعَيدِه التاء» [6].

وإزالةً لما قد يبدو من غموض في عبارة سيبويه، أضافت طائفة من العلماء بعض القيود التوضيحية إلى ما ذكره؛ فقال ابن الجزري: «ومن رأسه -يعني:

---

(1) الداني أبو عمرو، عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد. ص105.

(2) انظر : النحوي أبو حيان، محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب. ج1ص10.

(3) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1974. ج1ص349.

(4) المقدسي أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز الأماني. ص748.

(5) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب . ج4ص465.

(6) المرعشي، محمد بن أبي بكر، جهد المقل. ص133.

اللِّسان- أيضاً وأصول الثَّنيتَين العُلْيَيْن؛ الطاء والتاء والدال» [1]. واختار المرعشي أن يُعبِّر بقوله : «ما بين رأس اللسان وأصلَي الثنيتين العُلْيَيْن؛ يخرج منه الطاء فالدَّال المهملتان، فالتاء المثناة الفوقية» [2]. وقال بعض المعاصرين: «ما بين ظهر رأس اللسان وأصل الثَّنِيَّتَين العُلْيَيْن، ويخرج منه الطاء والدال والتاء» [3].

وخِلافا لما رآه بعض الدَّارسين [4]، فلا تعارُض بين ما ذكره سيبويه وما قرَّره شيخه الخليل؛ حيث يقول سيبويه: «الظاء والثاء والذال أخوات الطاء والدال والتاء، لا يمتنع بعضهن من بعض في الإدغام، لأنهن **من حيز واحد**، وليس بينهن إلا ما بين طرف الثنايا وأصولها» [5]، فعدَّ الستة من حيز واحد، «والظّاء والذّال والثّاء لَثِويّة» [6]، عند الخليل؛ فسيبويه يعتمد المصطلح نفسه الذي اعتمده الخليل: (الحَيِّزُ) [7] وهو يُشير إلى: مكان (تبدأ) فيه مجموعة من الأصوات، و(تنتهي) فيه أخرى، فيكون مخرجها منه. وإذا كان مبدأ الطاء وأختيها من النِّطع، فلا مانع أن تخرج من طرف اللسان وأصول الثنايا. ثم إنَّ النِّطع، كما تقدَّم عن الخليل هو الجزء

---

(1) ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد. ص106.

(2) المرعشي، محمد بن أبي بكر، جهد المقل. ص133.

(3) الجرمي، إبراهيم محمد، معجم علوم القرآن، دار القلم، سورية، ط.1، 2001. ص249.

(4) يقول غانم قدوري الحمد: «ظاهر كلام العلماء يَقتضي نفيَ أن يكون مبدأَها نِطعُ الغار الأعلى؛ لأنها تتكوَّن من نُقطةٍ تتحدَّد بالتقاء طرف اللسان بأصول الثَّنايا، وأصول الثَّنايا بَعيدةٌ من نِطع الغار الأعلى». انظر: الحَمَد، غانم قَدُّوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص180.

(5) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص464.

(6) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج1ص58.

(7) ونجد لهذا المصطلح حضورا عند سيبويه في مواضع متعددة ؛ انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص464،101، 465، 468، 481.

الظاهر من الغار الأعلى، وهُنَاكَ مَوقِعُ اللِّسَانِ فِي الحَنَكِ، الذي هو سَقْف أعْلَى الفَمِ. لذا قال أبو القاسم الهُذَلي: «أمَّا الطاء وإن لم تكن أسلية، فإنه قريبٌ منها لأنها نِطعية» [1].

ولأنَّ المذهبين يَصُبَّان في وادٍ واحدٍ، فقد رأى بعض المحققين الجمع بينهما؛ يقول ابن يعيش: «والطاء والدال والتاء من حيّز واحد، وهو ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا، وهي نِطْعيّةٌ؛ لأنّ مبدأها من نِطْع الغار الأعلى، وهو وسَطُه، يظهر فيه كالتحزيز» [2]. وجرى على ذلك ابن الجزري مع إضافته قيد المبرد؛ فقال في حديثه عن مخرج الطَّاء والدَّال والتَّاء: «من طَرَف اللِّسان وأُصُول الثَّنَايَا العُلَيَا مُصْعِدًا إلى جِهَة الحَنَك، ويُقَال لهذه الثَّلاثة النِّطْعِيَّة؛ لِأَنَّها تَخرُج من نِطع الغَار الأعلى، وهو سَقْفُهُ» [3]، كذا قال، والأصوب: «لأنّ مبدأها...»؛ كما صرَّح به ابن يعيش.

المذهب الثالث: من المقدَّم من السَّطح المُمتَدِّ على الحنك؛ يقول ابن سينا : «وأمَّا الطَّاء والتَّاء والدَّال، فإن مخارجها من المقدَّم من السَّطح المُمتَدِّ على الحنك» [4]. ومراده : مُقدَّم سطح اللسان مع سطح الحنك والشجر [5]. وهو بذلك لا يختلف عما سبقوه؛ فابن سينا تحدَّث عن المجال الصوتي العام لهذه الأصوات الثلاثة، لذا عبَّر بصيغة الجمع «مخارجها»، و"مُقدَّم سطح اللسان" عنده يُقابل «طرف اللسان» عند سيبويه، ولا شك أنَّ امتداد هذا السطح على الحنك يصله بأصول الثنايا.

---

(1) الهُذَلي، يوسف بن علي، الكامل في القراءات. ص348.

(2) ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج5ص517-518.

(3) ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر. ج1ص200.

(4) ابن سينا، الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف. ص122.

(5) المصدر السابق. ص79، 122.

أورد المرعشي هاهنا اعتراضا مفاده : أنه إذا كان «الصوت ينحصر في حروف الإطباق بين وسط اللسان والحنك الأعلى، فلزِم أن يكون مخرج الطاء أوسَع من مخرج أختَيها» [1]. وأجاب بأنَّ : «شرط كون العضو مخرجًا انقطاع الصوت عنده، ولا يكفي الانحصار، ولا ينقطع صوت الطاء إلا في موضع ينقطع صوت أختيها فيه» [2]. وقد أشار إلى هذا المعنى ابن سينا بقوله : «وإن كان الحبس بجزء أقل ولكن مثله في الشدة، سُمع التاء. وإن كان بحبسٍ مثل حبس التاء في الكم وأضعف منه في الكيف، سُمع الدَّال» [3]، فالفارق في مقدار الانحصار له أثره السمعي غير أنه لا يؤثر كثيرا على المخرج. ولذا قال سيبويه: «ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً» [4].

2- عند المحدثين :

اختلف المُحدَثون من علماء الأصوات؛ فمنهم مَن أقرَّ عبارة سيبويه بخصوص مخارج الأحرف الثلاثة، وهي: «التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا»، كما فعل محمود السعران [5]، وبعضهم الأسنان واللثة مع حد اللسان وطرفه [6]، وقال آخرون: «بوضع طرف اللسان على الثنايا العليا أو على مغارزها» [7]. ومؤدى هذه العبارات واحدٌ، وهي لا تختلف عما ذكره علماء العربية وعلماء التَّجويد.

---

(1) المرعشي، محمد بن أبي بكر، جهد المقل. ص133.

(2) المصدر السابق.

(3) ابن سينا، الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف. ص75.

(4) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص436.

(5) السعران، محمود، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي. ص128.

(6) عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي. ص316.

(7) كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية. ص23.

وأما اعتراض تمام حَسَّان على نِسبة الطاء وأُختَيها إلى نِطع الغار، بقوله: «الصحيح أنها أسنانية لثوية» ! [1]؛

فالجواب: أنَّ النِّطع عند تمام حسان هو: الغار، ويعني به : الحنك الصلب الذي يلي اللثة، فيشمل بذلك سقف الفم أيضًا [2]، وقد تقدَّم أنَّ المُراد بـ(النِّطع) هُنا الجزء الظاهر من الغار الأعلى لا سقفه، أي المنطقة القريبة من اللِّثة، وشاهِدُ ذلك: قول سيبويه: «الظاء والثاء والذال أخوات الطاء والدال والتاء، لا يمتنع بعضهن من بعض في الإدغام، لأنهن **من حيز واحد**، وليس بينهن إلا ما بين طرف الثنايا وأصولها» [3]. فعدَّ تلك الأصوات الستة من حيز واحدٍ مع أن الثلاثة الأولى لِثَوية والبقية نِطعية، وما ذلك إلا لقُرب النِّطع من اللِّثة. ويقول سيبويه أيضًا: «الطاء والدال والتاء يدغمن كلهن في الصاد والزاي والسين، لقرب المخرجين لأنهن من الثنايا وطرف اللسان، وليس بينهن في الموضع إلا أن الطَّاء وأختيها من أصل الثنايا، وهُنَّ من أسفله قليلاً مما بين الثنايا» [4]. فعدَّ الأسلة مخرجًا قَريبًا من النِّطع.

وبذلك فلا وجه لاعتراض تمام حسان أصلاً، ولذلك لم ير كمال بِشر فَرقًا بين العبارتين؛ فقال، مُقارِنًا بين مخارج الأصوات عند ابن جني ومخارجها عن المحدثين: «ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والثاء؛ ومعنى ذلك أنها أصوات أسنانية – لثوية، بالتعبير الحديث» [5]. فلا خلاف إذن بين القدامى والمحدثين في مخرج الطاء.

---

(1) انظر: عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص86.

(2) المرجع السابق. ص85،86،96.

(3) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص464.

(4) المصدر السابق. ج4ص463.

(5) انظر: بشر، كمال محمد، علم الأصوات. ص186.

1 – عند القُدامى :

ذكر سيبويه الطاء في المجهورة التسعة عشر [1]، وقال: «لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً والظاء ذالاً ، ولَخرجَت الضَّاد من الكلام ؛ لأنه ليس شيءٌ من مَوضِعِها غيرُها» [2] أي: أنَّ الضاد تزول بالكُلِّيَّةِ إذا عُدِمت الإطباق، لأنَّها مُستقِلَّةٌ بمخرجها، ليس لها في العربية صوتٌ مُنفتِحٌ مُقابِلٌ لها. أما الطاء، فالفرق بينها وبين والدال الإطباق فقط، والدال من المجهورات، فكذلك الطاء.

ويَتحصَّلُ من مجموع ما وصف به علماء العربية وعلماء التجويد الطاء أنها: صوتٌ مجهورٌ شديدٌ مُطبَقٌ مُستَعلٍ مُفخَّمٌ مُقَلقَلٌ [3]. وبذلك عُدَّت الطاء أقوى الحروف الهجائية لكون جميع صفاتها قوية، فقد اجتمع فيه صفات القوة كُلُّها؛ الاستعلاء، والجهر، والإطباق، والشدة، والقلقلة [4]. ولأنه قد تقرَّر عندهم أنَّ الحروف المجهورة، بعضها أقوى من بعض، على قدر ما فيها من الصفات القوية غير الجهر [5]، فإنَّ صوت الطاء هو الأكثر جهارة، مُقارنةً بباقي أصوات العربية.

وفي معرض بيانه للفرق بين الطاء والدال والتاء؛ يقول المرعشي: «الكُلُّ متشارِكةٌ في المخرج والشدة؛ ويفترق الطاء عن الدال بالإطباق والاستعلاء

---

(1) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص434.

(2) المصدر السابق. ج4ص436.

(3) القسطلاني، أحمد بن محمد، لطائف الإشارات لفنون القراءات. ج1ص205.

(4) المرجع السابق. ج1ص206.

(5) انظر: القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة. ص116.

والتفخيم، فلولا هذه الثلاث لكانت دالا، ولولا أضدادها في الدال لكانت طاء، وعن التاء بهذه الثلاث وبالجهر، فلولا هذه الأربع لكانت تاء، ولولا أضدادها في التاء لكانت طاء. ولو أعطيت الطاء همسًا مع بقاء الإطباق والتفخيم، لا تصير حرفا آخر سوى أنه لحنٌ. ويفترق الدال عن التاء بالجهر فقط، فلولا الجهر لكانت تاءً، ولولا الهمس في التاء لكانت دالاً. فالطاء أقرب إلى الدال منها إلى التاء بدون العكس، لأنَّ الدال أقرب إلى التاء وبالعكس» [1].

2- عند المُحدَثين :

لا يختلِف دارسو الأصوات المحدَثون في كون الطاء صوتا شديدًا مهموسًا مُفخَّمًا [2]، يقول إبراهيم أنيس: «الطاء كما تُنطق الآن صوتٌ شديدٌ مهموسٌ، يتكون كما تتكون التاء، غير أن وضع اللسان مع الطاء يختلف عن وضعه مع التاء؛ فاللسان مع الطاء يتخذ شكلا مقعرا منطبقا على الحنك الأعلى» [3]، فمؤخرة اللسان ترتفع نحو الطبق عند الطاء، ولا ترتفع نحوه في نطق التاء [4]، فالطاء الحالية لا تفترق عن التاء في شيء إلا في الإطباق، وهذا مُخالِفٌ لما تقدَّم نقله عن سيبويه، حيث جعل الدال المقابل المنفتح للطاء.

ومما يزيد المشكلة تعقيدًا، أننا الآن لا نكاد نلمح فرقا صوتيًّا هامًّا بين نطق اللهجات العربية المعاصرة للطاء [5]، فالإجماع اليوم مُنعَقِدٌ على نطق الطاء مهموسة من قِبَل ناطقي العربية في المستوى الفصيح والدارج، ومنهم قراء القرآن الكريم

---

(1) المرعشي، محمد بن أبي بكر، جهد المقل. ص166-167.

(2) عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة. ص75.

(3) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص53.

(4) عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة. ص46.

(5) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص54.

الذين يحرصون على ضبط نطقهم والمحافظة على صورته الموروثة [1]. ووصف الطاء في كتب الأقدمين، لا يُمكِّن الباحث المدقِّق من تحديد كل صفات ذلك الصوت، ولا كيف كان يُنطَق به على وجه الدِّقَّة [2]، ثم إنه ليست ثمة تجربة لنطقها تجعلها منفردة، ويصح الاستدلال بها، كما هو الحال مع القاف [3].

وهذا التَّحوُّل في نطق الطاء، ليس لدينا تاريخ يدلنا على بدايته، إلا أننا وبمراجعة ما أورده سيبويه، في سياق حديثه عن الأصوات العربيَّة الفرعيَّة غيرِ المُمَثَّلَةِ كتابيًّا، نجده قد ذكر (الطاء التي كالتاء)، وهذه الطاء، كما يرى القرطبي: «تُسمَع من عجم أهل المشرق؛ لأنَّ الطاء في أصل لغتهم مَعدومةٌ، فإذا احتاجوا إلى النُّطق بشيء من العربية فيه طاءٌ، تكلَّفوا ما ليس في لغتهم، فضَعُف نطقهم بها» [4]، «فيقولون في طالع: تالع، وهو مُستَهجَنٌ، لأنه ليس بعربي؛ والعربي الذي يتكلَّم به إنما يتكلم به لمخالطته العجم» [5]، وتأثُّرِه بمنطقهم.

غير أن ذلك لا يمنع وجودها على ألسنة بعض العرب في ذلك الزمان (القرن الثاني الهجري)، لأنَّ سيبويه ذكر تلك الطاء ضمن ثمانية أصوات «غير مستحسنةٍ، ولا كثيرةٍ في لغة من تُرتضى عربيته، ولا تُستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر» [6]. وبذلك يكون هذا الصوت (الطاء التي كالتاء) تحريفا لنُطق الطاء الأصلية على

(1) الحَمَد، غانم قَدُّوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص212.

(2) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص53.

(3) النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص29.

(4) القرطبي، عبد الوهاب بن محمد، الموضح في التجويد. ص86.

(5) الأستراباذي، حسن بن محمد، شرح شافية ابن الحاجب . ج2ص921.

(6) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص432.

مرحلتين؛ الأولى: إذهاب الجهر، والثانية : إذهاب الإطباق؛ فتَقرُب الطاء حينئذ من التاء، إن لم تكن تاءً مثلها [1].

وإذا كانت هذه الطاء قليلة في لغة من تُرتضى عربيته من الأقدمين، فإنه يبدو أنها بدأت تفشو بمرور الزمان؛ إذ يُفهم من قول طاش كبري زاده : «إن مخرج الطاء والتاء لما اتحدا، انحصر الفرق بينهما في صفة الاستعلاء والإطباق الحاصلتين في الطاء» أنَّ الطاء كانت في زمانه (القرن العاشر الهجري) صوتًا مهموسًا، لأنه لم يشر إلى أن الجهر أحد الفروق بين الطاء والتاء [2].

وقد وقف المحدثون مما نُقِل عن المتقدمين موقفين :

الموقف الأول : يتبنَّاه الأكثرون، حيث يرون المتقدمين مصيبين فيما وصفوا به الطاء من الجهر، وأنَّ الطاء القديمة تخالف التي ننطق بها الآن [3]، فثمة عشرات الأدلة على أنهم كان يرون الطاء مجهورة، يقول كانتينو: «ولما كان معنى مجهور بالضبط موضعا للخلاف، وجب أن نطرح ترتيب النحاة العرب الطاء في الحروف المجهورة جانبا، إلا أن هناك في كتاب سيبويه فقرة [4] ترجح فيما يبدو نعت الطاء بكونها مجهورة بالمعنى الحديث» [5]. ويقول ابن الجزري: «والصَّادُ: لِيَحْتَرِزْ حَالَ سكونها، إذا أتى بعدها تاءٌ أن تَقْرُبَ من السين، نحو: ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ [يوسف: 103]، أو طاءٌ أن تَقرُب من الزاي نحو: ﴿اصْطَفَى﴾ [البقرة: 132]» [6]. ومعنى

(1) انظر: الحَمَد، غانم قَدُّوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص210.

(2) المرجع السابق. ص210.

(3) عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة. ص76.

(4) انظر : سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص436.

(5) كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية. ص50.

(6) ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر. ج1ص219.

ذلك: أن التقاء الصاد الساكن، وهو صوت مهموس، بالطاء يُقَرِّبُها من الزاي، وهو صوت مجهور؛ أي: يُصَيِّرُها صوتًا مجهورًا، ولا يكون ذلك إلا إذا كان الصوت الذي التقت به الصاد صوتًا مجهورًا، وهو الطاء في هذه الحالة. وهكذا يترجَّح أنه ليس من المحتمل أن يكون القدماء قد خلطوا في وصفهم بين صفتي الجهر والهمس فيما يتعلق بهذا الصوت [1].

وأصحاب هذا الموقف طائفتان :

الأولى : ترى أنَّ الطاء الأصلية قد انقرضت، وفي مقدمة هؤلاء برجشترايسر الذي يرى أن «نُطق الطاء العتيق قد انمحى وتلاشى تماما» [2]، ويُقِرُّه جماعة منهم غانم قدوري الذي يُصرِّح: «وصف المتقدمين للطاء بالجهر وصفٌ صحيحٌ، وهذا يمثل الطاء العربية القديمة التي لم تحافظ على خصائصها الصوتية، فلحقها الهمس وصارت تُنطق اليوم تاء مطبقة» [3].

الثانية : ترى أنَّ الطاء الأصلية لا تزال موجودة في بعض المناطق من الوطن العربي، في صورة دال مُفخَّمة، وأنها لا تزال: «تُسمَع بوضوحٍ في بعض جهات اليمن، عند قولهم: الضبيب والضباخ، في الطبيب والطباخ» [4]. ويُؤيِّد ذلك شاده، حيث يرى أنَّ : «سيبويه يَعُدُّ من المجهورة الطاءَ والقافَ، وفي لفظ عصرنا لا نصيب للأوتار الصوتية في إنتاجهما، ولكن ذلك لا يصح إلا عن لفظ المدارس. وأما اللهجات فتخالفها مخالفة شديدة، فإن سكان جنوب جزيرة العرب مثلا، يلفظون

---

(1) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص54.

(2) برجشترايسر، جوتهلف، التطور النحوي للغة العربية. ص17.

(3) الحَمَد، غانم قَدُّوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص212.

(4) برجشترايسر، جوتهلف، التطور النحوي للغة العربية. ص17/ الحاشية.

الطاء، كأنها ضاد المصريين، والقاف كأنها جيم المصريين بإطباق، فيقولون مثلا: "وجع فوجنا مضر" يعني: وقع فوقنا مطر، أو "قضعت ورجة" يعني: قطعت ورقة. ومثل ذلك يصح عن غير لهجة جنوب جزيرة العرب، من اللهجات العصرية» [1]. ونقل كانتينو عن كانبمفماير أنَّ هناك في اللهجات العربية بالوادي، شرقي بحيرة التشاد، طاءً تُنطق نُطقًا مجهورًا؛ أي: كالدال المفخمة [2]. فيُبدِلون الطاء ضادًا.

وبِناءً على ما تقدَّم، رجَّح إبراهيم أنيس أنَّه: «لعلَّ صوت الطاء كما وصفها القدماء كان يُشبِه الضاد الحديثة، ولعلَّ الضَّاد القديمة كانت تُشبِه ما نسمعه الآن من العراقيين في نُطقها، ثم تطوَّر الصَّوتان؛ فهُمِسَت الأولى، وأصبحت الطَّاءَ التي نَعرِفها الآن، كما اختلف مخرج الثانية وصفتها فهُمِسَت، فأصبحت تلك الضاد الحديثة. أي: أنَّ ما كان يُسَمَّى بالطاء، كان في الحقيقة ذلك الصوت الذي ننطق به الآن، ونُسَمِّيه ضادًا، فلما هُمست أصبحت الطاء الحديثة، التي -فيما يظهر- لم تكن معروفةً في النُّطق العربي القديم، أما الضاد القديمة العَصِيَّة النُّطق، فقد تطوَّر مخرجها وصفتها، حتى أصبحت على الصورة التي نعهدها في مصر» [3].

---

(1) انظر: أ. شاده، علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، صحيفة الجامعة المصرية، 1931. س2ع5ص13.

(2) كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية. ص50-51.

(3) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص54.

ومن جُملة ما استُدِلَّ به على أنَّ صوت الطاء العربية القديمة المجهورة كانت شبيهة بالضاد المصرية الحديثة :

– ما ذكره سيبويه : «لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولَخرجَت الضَّاد من الكلام ؛ لأنه ليس شيءٌ من مَوضِعِها غيرُها» [1] أي: أنَّ الضاد تزول بالكُلِّيَّةِ إذا عُدِمت الإطباق، لأنَّها مُستقِلَّةٌ بمخرجها، ليس لها في العربية صوتٌ مُنفتِحٌ مُقابِلٌ لها، أما الطاء، فهي في حقيقتها دالٌ مُطبَقةٌ. وبهذا فإنَّ عبارة سيبويه إذا أُخِذت على ظاهرها تقطع بأن صوت الطاء التي وصفها العلماء كان دالا مفخمة، أي كالضاد المصرية [2].

– ما قاله ابن الجزري في سياق حديثه عن الاختلاف الحاصل في النُّطق بصوت الضاد: «ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها بل يخرجها دُونَه ممزوجةً بالطاء المهملة، لا يقدِرون على غير ذلك، وهم أكثر المصريين وبعض أهل المغرب» [3]، وهو ما نقله ابن غانم المقدسي (ت1004هـ)، ومحمد المرعشي (ت1150هـ)، حيث وصفوا نطق أهل مصر للضَّاد في زمانهم أنَّه يُشبِه الطاء [4].

– أنَّ الأصوات اللِّثوية، وهي الثاء والذال والظاء، قد تراجع اللسان في النطق بها إلى الوراء، فصارت نِطعِيَّةً في بعض اللهجات العربية الحديثة، كما نجد ذلك في أكثر مدن المغرب الشمالية؛ حيث صارت الثاء تاء، والذال دالا، أي: أن اللثوي المهموس آل إلى نطعي مهموس، والمجهور إلى مجهور. فالمتوقع أن يؤول المطبَق

---

(1) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص436.

(2) النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص30.

(3) ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد. ص131.

(4) انظر: الحَمَد، غانم قَدُّوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص209.

المجهور اللثوي إلى مُطبَق مجهور نِطعي، مثل أَخَوَيه. وقد آل صوت الظاء إلى دال مفخمة (ضاد مصرية) مما يوحي بأن هذ الصوت هو الطاء القديمة، لأنه الحرف النطعي المطبق الذي وصف بأنه مجهور [1].

لكن يُشكِل على هذا الرأي أمورٌ :

أولها : أنَّ الطاء التي أشار إلى وجودها شاده وغيره من المستشرقين؛ قد تكون هي الطاء المجهورة، وقد تكون قليلة الجهر، أي بدرجة تقرُب فيها من الهمس. فمن عَدَّها مجهورةً، فيعني أقلَّ درجات الجهر. ومن عَدَّها مهموسةً، فيعني أضعف درجات الهمس [2]. ثم إنَّ الناطقين بتلك الطاء ينطقون الطاء والظاء والضاد بصوت واحد، هو الدال المفخمة أو الضاد المصرية. وهذا الخلط في الصوت يجعل الباحث يتردَّدُ كثيرا قبل القطع بأنَّ هذه الدال المفخمة هي الطاء القديمة [3].

الثاني : أنَّ الصوت الذي رُشِّح أن يكون هو الطاء القديمة، يجري على ألسنة كثير من العرب اليوم في مصر والمغرب تعبيرا عن الضاد القديمة؛ فما الذي جعل المتكلم ينقل صوت الطاء ليُعبِّر به عن الضاد، ثم يستحدث للطاء صوتا جديدا ؟ لقد كان المعقول أن يُقال إن صوت الطاء بقي على حالته، واستُحدِث للضاد صوتٌ آخر لصعوبته؛ حيث تحول إلى دال مفخمة (الضاد المصرية) عند قوم من العرب، وإلى ظاء عند آخرين [4].

---

(1) النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص35.

(2) الحَمَد، غانم قَدُّوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص212.

(3) النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص26، 30.

(4) المرجع السابق. ص34.

الثالث : أنَّ ما بين الضاد والظاء من تعاوُرٍ قديمٍ وتداخُلٍ، يُرجِّح تحول الظاء لا الطَّاء إلى ضاد فصيحة أوَّلا ثم إلى دال مفخمة، كما تحولت الألفاظ التي بالضاد القديمة إلى الضاد المصرية [1]. وبذلك يسقط الاستدلال على تحول الأصوات اللثوية إلى نِطعية في بعض اللهجات العربية الحديثة.

الرابع : أنَّ التسليم بهذا الرأي يدعونا إلى القول بأن العرب هجروا صوت الطاء لا لِعلَّةٍ، واستعملوا مكانه التاء المطبقة، ثم عاد بعضهم إلى الصوت نفسه ليُعبِّر به عن صوت آخر هو الضاد . وهذا الطَّرحُ مخالِفٌ لسنن اللغات في تحويل الأصوات [2]، والذي يكون الباعث عليه عادةً الانتقال من الصَّعب نحو السَّهل.

الخامس : إجماع قراء القرآن على نطق الطاء بصوت واحد، وهو بهذا النطق مجهورٌ على وفق ضابط القدماء للجهر؛ لأن النَّفَس لا يجري معه [3].

وبمجموع هذه الأمور يتجلَّى ضعف القول بأنَّ صوت الطاء، كما وصفها القدماء، كان يُشبِه الضاد المصرية الحديثة (الدال المفخمة).

الموقف الثاني : يُمثله قِلَّةٌ من الدارسين ترى أنَّ الطاء المعاصرة لا تختلف عن الأصلية، وأنَّ وصفها بالجهر من قِبَل القُدامى كان خطأ؛ أوقعهم فيه طغيان التنظير الشكلي على التطبيق الصوتي، كما يرى النُّعَيمي[4]، أو غرابة صوت الطاء على السمع، وهو ما انتهى إليه تمام حسان بِناءً على أنَّه «في بعض اللهجات العامية المعاصرة صوتٌ من أصوات الطاء، يمكن وصفه بأنه مهموزٌ؛ أي: أنه صحبه إقفال الأوتار

---

(1) النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص35.

(2) المرجع السابق. ص34.

(3) المرجع نفسه. ص34.

(4) نفسه. ص32-33.

الصوتية حين النُّطق، فأصبح عُنصر الهمز جزءًا لا يتجزَّأ من نطقه. هذه الطاء مهموسة قطعًا؛ لأن إقفال الأوتار الصوتية لا يسمح بوجود الجهر» [1].

وتأسيسًا على هذا التَّصوُّر؛ يُرجِّح تمام حسان أنَّ الطاء الحديثة شديدة مهموسة مهموزة، و«أن الطاء العربية الفصحى القديمة، كانت بهذا الوصف، ثم لغرابة صوتها على السَّمع، أخطأ النُّحاة والقُرَّاء فجعلوها مجهورة في دراستهم، وجعلوا الدَّال مُقابِلا مُرقَّقًا له» [2]، وأمر آخر أوقعهم في الخطأ، في نظره، هو القاعدة القياسية التي وضعوها، والتي تقول: «إن كل صوت من أصوات القلقلة مجهور شديد، وهذا ما جعلهم يخطئون الصواب، لا في صفة الطاء فحسب، بل في وصف أصوات مهموسة أخرى بالجهر، كالقاف والهمزة» [3].

ويبدو أن النُّعيمي قد تأثَّر بما نقله عن تمام حسان [4]، فرأى أن التنظير الشكلي قد طغى على التطبيق الصوتي في عبارة سيبويه [5]، واستدلَّ على ذلك بقول الداني في صوت التاء: «وهو حرفٌ مهموسٌ؛ فإن التقى بالطاء أو بالدال، أُدغِم فيها إدغاماً سهلاً من غير عُنفٍ... ، وإذا اجتمع مع حروف الإطباق في كلمةٍ ، فيلزَم تعمُّل بيانه وتَلخيصه من لفظة الطاء ، وإلا انقلب طاءً ، كقوله تعالى ﴿فاختلط﴾ ، وما

(1) انظر: عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص94.

(2) عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص95.

(3) المرجع السابق.

(4) النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص37.

(5) وهي قوله : «لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولَخرجَت الضَّاد من الكلام؛ لأنه ليس شيءٌ من مَوضِعِها غيرُها».

انظر : سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص436.

أشبهه» [1]، وفهِم النُّعَيمي من ذلك أنَّ التاء إذا دخله الإطباق صار طاءً. كما استدلَّ على أنَّ ذهاب الإطباق من الطاء في التطبيق الصوتي يجعلها تاءً لا دالاً [2]، بما نقله عن الداني أيضًا: «وإن سبقت الطاء التاء، لُخص صوت الطاء، وإلا صار تاءً، نحو ﴿فرطت﴾...، وشبهه» [3]. وهكذا استنتج أنَّ الطاء التي كانت تُنطَق في أيامهم هي تاء مطبقةٌ، لا دال مطبقةٌ، وبذلك فالطاء كانت مهموسةً لا مجهورةً.

لكن يُشكِل على هذه الاستنتاجات : ما ذكره الداني في الطاء حيث قال : «وهو حرفٌ مجهورٌ، مستعلٍ، مطبقٌ، فيَلزم إنعام بيانه وبسط اللسان به...، وكذا حكم سائر حروف الإطباق، ولولا الإطباق الذي في الطاء لصارت دالاً، ولولا الجهر الذي في الدال لصارت تاءً» [4]. فهذا النص صريحٌ في كون الطاء مجهورة، وهو لم يأت تأثُّرًا بعبارة سيبويه، ولا أخذًا بالجانب الشكلي ونِسيانًا للجانب التطبيقي، كما توهَّم النُّعَيمي [5]، بل جاء في سياق بيان الخصائص الصوتية للطاء.

وفيما يتعلَّق بالنَّصَّين اللَّذين استدلَّ بهما النُّعَيمي، فهما من باب التأثير والتأثر الصوتي الكائن بين الأصوات المتجاورة التي تشترك في المخرج؛ فالنص الأول إنما جاء بيانًا لحال صوت التاء المهموس إذا اجتمع مع الطاء المجهور في كلمةٍ واحدةٍ، ولم يُتحفَّظ بشأنه، فأُهمِل بيانُه وتَلخيصُه، فحينها ينقلب طاءً، لقوتها. وكذلك النص الآخر، فيه بيان وجوب العناية بإنعام بيان صوت الطاء وبسط اللسان به إذا سبقته التاء لئلا تصرفه إلى جرسها، فيصير مهموسًا مثلها.

---

(1) انظر: الداني أبو عمرو، عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد. ص141.

(2) النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص32-33.

(3) الداني أبو عمرو، عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد. ص142.

(4) المصدر السابق. ص139-140.

(5) انظر: النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص32-33.

ويشهد لهذا الذي ذكرته؛ قول الداني: «فإن التقت الطاء وهي ساكنةٌ بتاءٍ، أُدغِمَت فيها بيُسرٍ، وبُيِّن إطباقها مع الإدغام، وإذا بُيِّن امتنعت من أن تنقلب تاءً خالصة. لأنها بمثابة النون والتنوين، إذا أدغما وبقيت غُنَّتُهما، هذا مذهب القراء. وقد يجوز إدغامها وإذهاب صوتها كما جاز ذلك في النون والتنوين، وذلك نحو ﴿فرطتم﴾...، وما أشبهه» [1]. فالذي يجعل الطاء تاء ليس هو انفتاحها، وإنما هو اجتماع الانفتاح مع الإدغام، فهذا الإدخال العنيف يَسلُب بَقِيَّة الجهر الذي في الطاء المدغمة، فتصير تاء مهموسةً، والمطلوب هو إدغامٌ يحفظ جزءا من جهر الطاء كما حُفظت للنون والتنوين غُنَّتُهما.

وقد كرَّر الداني هذا المعنى في حديثه عن باقي المطبقات؛ فهو يقول عن الظاء: «وهو حرفٌ مجهورٌ، مستعلٍ، مطبقٌ. فإن التقى بالتاء بُيِّن وأعطي حقه من الإطباق والاستعلاء، وكذلك إن التقى بالفاء لُخِّص وبُيِّن، وإلا انقلب ثاء، للاشتراك الذي بين الفاء وبين الثاء في الهمس» [2]، فالظاء إذا أزيل إطباقه انقلب ذالاً، لكنه إذا أُدغِم في الفاء انقلب ثاءً مهموسة. وهكذا الصاد: «وهو حرفٌ صفيرٍ مهموسٌ، مطبقٌ، مستعلٍ. فإن التقى بالطاء أُنعِم بيانه، وأعطي حقه من الإطباق والاستعلاء، وإلا انقلب سيناً، وذلك في نحو قوله تعالى ﴿اصطفى﴾ [البقرة: 132]» [3]. حيث كان إطباق الطاء أقوى من إطباق الصاد، فسلبه إياه وألحقه بالسين المنفتح. وكذا السين

(1) الداني أبو عمرو، عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد. ص139-140.

(2) المصدر السابق. ص143.

(3) المصدر نفسه. ص147.

المهموس؛ قد ينقلب صادًا مهموسة بمخالطة المُطبَقات في حال سكونه أو إذا اتصل به قافٌ أو راء، وقد ينقلب السين إلى زاي مجهور إن أتى ساكناً وبعده جيم [1].

وبسقوط احتمال الخطأ في وصف صوت الطاء بالجهر، وما افتُرض أنه بديل الطاء القديمة، لم يبق إلا أن يُقال إن الطاء المعاصرة هي نفسها الطاء القديمة الموصوفة عند القدماء بالجهر [2]، و«أنَّ علماء العربية ذكروا ثلاثة أصوات بصفة الجهر، وهي ليست مما يهتز معه الوتران الصوتيان، هي: الهمزة والقاف والطاء. ولذلك فهذه الأصوات الثلاثة تمثل مشكلا واحدا، لا أرى صحة تجزئته، وقد ثبت أن الهمزة والقاف لم يدخلهما تغيير في الصفة أو المخرج عما كانا عليه يوم وصفت أصوات العربية» [3]. فكذلك الطاء التي عَدَّها المتقدِّمون مع سابقتيها في المجهورات «وذلك بناء على ضابطهم في عدم جري النفس بالصوت، وينبغي أن ينظر إلى مصطلح الجهر من خلال الضابط الذي وضعه علماء العربية، وليس من خلال الضابط الذي وضعه المحدثون كي نتمكن من تفهم أحكامهم التي ذكروها» [4]، فنُحاكِمَهم إليها لا إلى مصطلحاتنا.

---

(1) الداني أبو عمرو، عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد. ص149-151.

(2) وهو ما قرره النُّعيمي أولا، ثم تراجع عنه متأثِّرا بما نقله عن تمام حسان.

انظر : النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص34.

(3) المرجع السابق. ص30.

(4) المرجع نفسه. ص37.

1 – عند القدامى :

فيما يتَّصِل بالطَّاء ؛ يرى ابن سينا أنَّها «من الحروف الحادثة عن القَلْع دون القَرْع أو مع القَرْع» [1] ، فهي مع أختيها «التَّاء والدَّال، تشترك في أنَّ القَلع بجِرمٍ رَطبٍ لَيِّنٍ عن جِرمٍ صَلبٍ، وتحدُث كُلُّها من حُبسات تامَّةٍ، وقلعٍ، ثم إخراج هواء دفعةً» [2]؛ أي: أنها، كما هو مُجمَعٌ عليه بين القُدامى والمحدَثين، ذات طبيعة انفجارية [3].

وأما عن كيفية إنتاجها ؛ فيقول ابن سينا : إنها «تُحبَس في ذلك الموضع [4] بجُزء من طرف اللِّسان أعظم، ووراءه بضِلعَي اللِّسان وتقعُّر وسط اللِّسان خلفَ ذلك المَحبِس، وهكذا ينطبق أكثرُ سطح اللسان مع سطح الحنك والشَّجْر. وقد يبرأ شيء منهما عن صاحبه وبينهما رُطوبةٌ، فإذا انقلع عنه وانضغط الهواء الكثير، يحدُث هناك

(1) انظر: ابن سينا، الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف. ص75.

(2) المصدر نفسه. ص79.

(3) وهي التي نعتها ابن سينا بالأصوات المفردة، والتي «تشترك في أنَّ وجودها وحدوثها في الآن الفاصل بين زمان الحبس وزمان الإطلاق، وذلك لأنَّ زمان الحَبْس التام لا يُمكِن أن يحدُث فيه صوتٌ حادِثٌ عن الهواء، وهو مُسكَّنٌ بالحبس، وزمان الإطلاق ليس يُسمَعُ فيه شيء من هذه الحروف لأنها لا تمتد البتَّةَ، إنما هي مع إزالة الحبس فقط». وهذا معنى كونها شديدة (وقفية/ انفجارية).

انظر: ابن سينا، الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف. ص62 .

(4) أي: في مخرجها من المقدَّم من السَّطح المُمتَدِّ على الحنك.

للهواء دَوِيٌّ عند الانفراج ثم يقلع، ويكون الحبس بشدٍّ قوي القَلع بجِرمٍ رَطبٍ لَيِّنٍ عن جِرمٍ صلبٍ» [1].

فالطَّاء، وفق ابن سينا، إنما تحدُث عن انطباق مُعظَم سطح اللِّسان مع سطح الحنك والشَّجْر، ما يترتَّب عليه تقعُّر وسط اللِّسان خلفَ مَحبِسها في مخرجها، ويكون الحبس بشدٍّ قوي القَلع، بجِرمٍ رَطبٍ لَيِّنٍ عن جِرمٍ صلبٍ، فإذا انقلع عنه وانضغط الهواء الكثير، حدث هناك للهواء دَوِيٌّ عند الانفراج ثم يقلع، فيُسمَع الطَّاء. فالطاء إنما يحدُث عن القلع دون القرع أو مع القرع، بسبب الرُّطوبة التي قد تبقى بين سطح اللسان وسطح الحنك والشَّجْر حينما ينفصلان. لذا كان النَّظير الطبيعي للطاء إنما «ينشأ عن تصفيق اليدين بحيث لا تنطبق الراحتان بل ينحصر هناك هواءٌ له دَوِيٌّ، ويُسمَع عن القلع أيضًا مِثلُه» [2].

لا شك أن ما نقلناه عن ابن سينا إنما يُفَسِّر ما يقع في مرحلة مُتقدِّمةٍ من إنتاج صوت الطاء، ولا يُعنى بذكر ما يحدُث قبل ذلك، أي في مسار الصوت من الحلق باتجاه الفم، بخلاف تفسيرات المحدثين التي تذكر تفاصيل العملية النطقية المتصلة بالطاء.

2- عند المحدثين :

يرى محمود السعران أنَّ الطاء يتكوَّن كما يتكون التاء؛ «بأن يُوقَف مجرى الهواء وقفًا تامًّا، وذلك بأن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، ويرفع الحَنَك اللَّيِّن فلا يَمُرُّ الهواء إلى الأنف، يُضغط الهواء مُدَّةً من الزَّمن، ثم ينفصل العضوان انفصالا

(1) ابن سينا، الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف. ص79، 122.

(2) المصدر السابق. ص93.

فُجائِيًّا محدِثًا صوتًا انفجارِيًّا» [1]. فلا فرق بين التاء والطاء إلا في شكل اللسان؛ «ففي حالة النُّطق بالطَّاء يرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك ويتقعَّر وَسطُه، وهذا هو ما أراده نحاة العرب "بالإطباق". فالفرق بين الطاء والتاء أن الأول "مطبق" والثاني "غير مطبق"» [2].

أمَّا تمام حسان فالطاء عنده: «يتم نُطقُه بإلصاق طرف اللسان بالأسنان العليا من داخلها، ومُقدَّم اللسان بأصول الثنايا "أي اللثة"، ويرتفع مؤخر اللسان في نفس الوقت في اتجاه الطبق، وهذا ما يسمى بـ"الإطباق"، ويتأخر قليلا إلى الجدار الخلفي للحلق، وهذا ما يسمى بـ"التحليق"، ويرتفع الطَّبق حتى يَسُدَّ المجرى الأنفي للهواء الخارج من الرئتين، بخلق اتصال بين الطبق، وبين الجدار الخلفي للحلق، وفي نفس الوقت تقف الأوتار الصوتية، فلا تسمح بمرور الهواء إلى خارج الرئتين، وبذلك تتكون منطقة في داخل الفم والحلق، يختلف ضغط الهواء فيها عنه في الرئتين، وفي الخارج. وفجأة يتم انفصال الأعضاء المتحركة، التي وصفنا اتصالها في وقت معًا، فيندفع هواء الرئتين إلى الخارج، ويندفع الهواء الخارجي إلى الداخل، فيُحدِثان بالتقائهما أثرًا صوتيًّا هو صوت الطاء، كالتي تُنطَق في بعض لهجات الصعيد» [3].

واضحٌ أنَّ تفسير المتأخرين لا يختلف عما قرَّره ابن سينا قبل ألف سنة، إلا في بعض التَّفاصيل والاصطلاحات، ولغة الأرقام التي فرضتها التقنية الحديثة.

---

(1) انظر : السعران، محمود، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي. ص129.

(2) المرجع السابق. ص130.

(3) عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص94.

الطَّاء من الحروف التي شاع فيها الإبدال، وقد وقع مُبدلا من أربعة عشر صوتا؛ هي: التاء، والدال، والقاف، والظاء، والكاف، والميم، والنون، والفاء، والضاد، والذال، والعين، والغين، واللام، والواو.

1 – إبدال الطّاء دالا :

الطاء والدَّال نِطعيَّتان ، والإبدال بينهما بين صوتين متفقين مخرجا، يشتركان في الجهر والشدة. ومما حفظه لنا المعجم القديم من الكلم الطائي والدالي مُتَّحِد المعنى: الإصفِند والإصفِنط: ضرب من العصير، القِردِع والقِرطِع: قَمل الإبل، والقُرمود والقُرموط : ضرب من ثَمَر العِضاه، الطرياق والدرياق : في الدواء، دقدقة الحجر وطقطقته: حكاية صوته. شَعرٌ مُقلعِد ومُقلعط : إذا اشتدت جُعودته، وليلة دخياء وطخياء: مظلمة، المُغلندِف والمُغلنطِف: الشديد الظلمة، رجل نَطِسٌ ونَدِسٌ : إذا كان عالما بالأخبار، الدأثاء والطأثاء : المرأة الحمقاء، فَرس أمرد وأمرط: إذا لم يكن له شعر متدلي خلف حافره. ويُقال : ما له عندي إلا هذا فقطْ، وإلا هذا فقدْ؛ أي: حسبُ، ويقال: ما أدري أي الدَّهم هو وأي الطهم هو، أي: أي الناس هو ؟ ويُقال: ما بالدار طوري ودوري: ما بها أحد. يُقال : مدَّ الحرف ومَطَّه، أبعدته إبعادا وأبعطته إبعاطا، قدقد وقطقط في الأرض : إذا ذهب فيها، دحوت الشيء وطحوته: إذا بسطته، سدَمْت الباب وسطمته : إذا رددته، وأبدغه وأبطغه: إذا أعانه، واللدم واللطم واحد [1].

(1) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1ص372–379.

2 – إبدال الطّاء تاء :

تخضع الأصوات الأسنانية اللثوية إلى قانون مطرد يقتضي تحول التاء إلى دال أو طاء، وتحول الدال إلى طاء، وهذا القانون يجري في الاتجاه من الهمس إلى الجهر ومن الانفتاح إلى الإطباق [1]. وانطلاقا من هذا القانون الصوتي، فإنَّ الغالب من فِعل العرب إبدال التاء طاء، ولكنهم أحيانا يعكسون، فيُبدِلون الطاء تاء؛ قال الأزهري: «والْعرب تُبْدِل الطاء تاءً لقرب مَخرجيهما؛ قَالُوا: مَطَّ ومَتّ إِذا مَدّ، وطرّ وتَرَّ إِذا سَقَط، ومثلُه كثيرٌ فِي الْكَلَام» [2] العربي.

ومما حفظه لنا المعجم : التَّبانَةِ والطَّبانة : شِدَّةُ الفِطْنة ودِقَّةُ النّظر [3]، الطُّخُومُ بِمَعْنَى التُّخومِ، وَهِيَ الحُدودُ بَيْنَ الأَرَضِينَ [4]، والهَرْطُ لُغَةٌ فِي الهَرْتِ وَهُوَ : الْمُزْقُ الْعَنِيفُ [5]، المَصت: لغة في المَسْط، وهو أن يُدخِلَ يَدَه فيقبضَ على الرَّحِمِ [6].

3 – إبدال الطّاء قافا :

الطاء نطعية والقاف لهوية؛ تباعدتا مخرجا، واتفقتا في الجهر والشدة والاستعلاء. يُقال: الزم هذه المَطرَبة وهذه المقرَبَة: أي هذا الطريق الواضح، خطيبٌ مِسطَع ومِسقَعٌ: إذا كان فصيحا بليغا، الصَّعوط والسّعوق، احتَطَبَ عليه في الأمر واحتَقَبَ، انتُطِع لونه وانتُقِع: إذا تغيَّر، انتَبَق الكلامَ وانتَبَطُهُ؛ أي: استخرجه، يُقال : طانَني الله على حبه وقانني : أي طبعني وجبلني عليه، وبَطِر الرجل وبَقِر : إذا فاجأه

(1) السحيمي، سلمان بن سالم، إبدال الحروف في اللهجات العربية. ص421.

(2) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة. ج14ص215.

(3) المصدر السابق.

(4) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب. ج12ص360.

(5) المصدر السابق. ج7ص423.

(6) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج7ص107.

الصيد ففزع للمفاجأة فشُغِل عن الرَّمي أو الطعن، فَقَس الإنسان وفطس: مات، ويقال للرجل إذا نتف شعر رجل ولحيته: نتف لحيته ومرَطَها ومَرَقها. الممشوط والممشوق: الطّويل الدَّقيق [1]، والعَشَنق والعَشَنط : الطويل من الرجال المضطرب السيء الخلق [2].

4- إبدال الطّاء ضادا :

الضاد والطاء نِطعيتان؛ اتحدا في المخرج، وفي الجهر والإطباق والاستعلاء، وذلك من مُسوِّغات الإبدال ؛ يقول الخليل: «يُقال أَنْواض وأنواط، لأن الضاد والطاء تتعاقبان» [3]. ومما جاء في المعجم : قوسٌ ضروحٌ وطَروحٌ : إذا كانت سريعة السَّهم، النِّئضِل والنِّئطِل : الدَّاهية، وعيشٌ غاضِفٌ وغاطِفٌ : ناعِمٌ، والحَضَب لغةٌ في الحطَب، ونَبَض الماء ونَبَط بمعنى واحد، الإحباض كالإحباط : أن يَكُدَّ الرجل رَكِيَّته فلا يدع فيها ماء، والقَضم والقَطم : العض بأطراف الأسنان [4].

5- إبدال الطّاء ظاء :

الطاء نِطعية والظاء لثوية، اختلفتا مخرجا وتآلفتا بالجهر والإطباق والاستعلاء. يُقال: لا تذهب بما صنعت طَلَفاً ولا ظَلَفاً؛ أي: باطلاً [5]، وبَهَطَنِي الأمْرُ وبَهَظَنِي : إذا ثقُل عَليَّ وأعجزني، والمُغَطْغَطَةُ والمُغَظْغَظَةُ : القِدْرُ الشّديدة الغليان [6]، الحِنطَأوُ

(1) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة. ج11ص319.

(2) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج2ص286-287.

(3) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج1ص364.

(4) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج2ص265-267.

(5) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة. ج13ص350.

(6) المصدر السابق. ج16ص59.

والحِنظَأوُ : القصير، والجِلفاط والجِلفاظ : مُصلِح السُّفُن، ومَشِطت يده ومَشِظَت: إذا خشُنت من العمل، واظَّفر الرجل واطَّفر: أَعلَق ظُفره [1].

6- إبدال الطاء ذالا :

الذال لِثوية والطاء نِطعية، يجمع بينهما من الصفات الجهر؛ فيُقال : قُنفُذ وقُنفُط، ذَعَجَه وطَعَجه : إذا دَفعه دفعا شديدا، خَذْرَف في مِشيَتِه وخَطْرَف : إذا خَطَرَ، وضربه حتى وَقَذَه ووَقَطه : أي حتى غُشِي عليه [2].

7- إبدال الطّاء كافا :

الطاء نطعية والكاف لهوية؛ تباعدتا مخرجا واتفقتا في الشدة. يُقال : طوفان الليل وكوفانه : شدة ظُلمته وسواده، لطَحتُه بيدي ولكحته : إذا ضربته بها، شَطِع وشَكِع: إذا جزع من المرض، هزم فلان القوم، فطَردَهم وكَرَدَهم [3].

8- إبدال الطّاء عينا :

الطاء نِطعية والعين حلقية؛ فهما متباعدتان مخرجا، ومتفقتان في الجهر. وقد أبدلت العرب بينهما ؛ فرُوي عن بعض بني كِلاب أنّه قال: مررت على عَرَقَة الإبل وطرقتها؛ أي: على أثرها، والممطور والممعور : الموضع الذي أصابه المطر، والسِّنط والسِّنع : وهو الرُّسغ [4].

---

(1) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج2ص283-284.

(2) المصدر السابق. ج2ص18-20.

(3) المصدر نفسه. ج2ص288-290.

(4) نفسه. ج2ص285.

9- إبدال الطّاء غينا :

الطاء نِطعية والغين حلقية ؛ فهما متباعدتان مخرجا، ومتفقتان في الجهر . ومما جاء في هذا الباب : الغَسَم والطَّسَم عند الإمساء، طفا على الماء وغفا : أن يقوم فوق الماء فلا يرسُبُ [1].

10- إبدال الطّاء نونا :

الطاء نطعية والنون ذلقية، فهما من مخرجين مختلفين، لكنهما متجاوران، ولم يتفقا إلا في الجهر من الصفات. ومما جاء في هذا الباب : التَّنَوُّل والتَّطَوُّل [2]، يُقال للبرذعة القُرطاط والقُرطان، وهو من السرج بمنزلة الوَلِيَّة من الرحل [3].

11- إبدال الطّاء لاما :

الطاء نطعية واللام ذلقية؛ تباعدتا مخرجا، وتقاربتا في الجهر وحده. ومما جاء في هذا الباب : الطَّخِيفة واللَّخِيفة: الخَزِيرة [4]، نَشَلَتْهُ الحيّةُ ونَشَطَتْهُ بمعنى واحد [5]، وعن بعض قيس: اشمعلّت الإبل واشمعطّت إذا انتشرت [6].

12- إبدال الطّاء ميما :

الطاء نطعية والميم شفهية تباعدتا مخرجا وتقاربتا بالجهر وحده، وما ذلك من مسوغات الإبدال عند علماء الأصوات المعاصرين؛ ولذلك لم يحتفظ المعجم إلا بنزر

---

(1) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج2ص284-285.

(2) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة. ج15ص373.

(3) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج2ص292.

(4)الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة. ج7ص245.

(5) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج11ص662.

(6) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة. ج3ص326.

يسير من هذا الكلم؛ فمن ذلك : نحَط الرجل ونَحِم: وهو زفير يُخرجه من صدره عند الشيء يعالجه [1].

13 – إبدال الطّاء فاء :

الطاء نطعية مجهورة، والفاء شفهية مهموسة، تباعدتا مخرجا وما اتفقتا صفة. يُقال : أطَرَّ الله يده وأفَرَّها، أي: قطعها [2].

14 – إبدال الطّاء واوا :

الطاء نِطعية والواو شفهية اختلفتا مخرجا، واتفقتا في الجهر والانفتاح والاستفال. يُقال : مططت السير أمُطُّه مَطًّا، ومَطوتُه أمطُوه مَطوًا؛ إذا مدَدْتُه [3].

ظاهرة الاستنطاء :

عرفت بعض القبائل العربية ظواهر لهَجِيَّة خلت منها لغة قريش، فعُدَّت مَذمومةً أو مُستكرَهةً؛ ومن تلك اللَّهجات : الكَشْكَشة والكَسْكَسة اللَّتان في رَبيعة ومُضر، والعَنْعَنَة في لغة قيس وتميم، والعجعجة فِي قُضاعة، والفَحفَحة في لغة هُذَيل، والشِّنشِنة والوَتم في لغة اليمن، والوَكَم والوَهَم كِلاهما فِي لُغة بني كَلْب، واللَّخْلَخانِيَّة فِي لغةِ أَعراب الشِّحْرِ وعُمَان [4]. وكثيرٌ من هذه اللهجات لا يزال مستعملا إلى يومنا هذا في مشرق العالم العربي ومغربه.

والاستنطاء إحدى تلك الظواهر اللغوية الملقَّبَة، وقد اختُلِف في تفسيرها على مذهبين؛ أولهما يراها أصحابه ظاهرة إبدالية، بينما يخالفهم أصحاب المذهب الآخر.

---

(1) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج2ص291.

(2) المصدر السابق. ج2ص285.

(3) المصدر نفسه. ج2ص292.

(4) انظر : الزَّبيدي، محمّد بن محمّد، تاج العروس من جواهر القاموس. ج1ص22.

المذهب الأول : اختلف أصحابه على أربعة أقوال :

أ/ فهي عند أبي الطيب اللغوي : صورة من صُوَر إبدال العين نونا [1]، وقد استبعد رمضان عبد التواب أن تُقلب العين الحلقية إلى النون الذلقية لأنَّه «من المعروف أنَّ الصَّوت لا يُقلب إلى صوتٍ آخر إلا إذا كان بين الصوتين نَوعٌ من القرابة الصوتية في المخرج والصفة» [2]، وهذا الذي ذكره مردودٌ، فالصَّوتان وإن تباعد مخرجاهما إلا أن بينهما تقاربا في بعض الصفات يُسوِّغ التَّبادل بينهما، كالجهر والانسفال والانفتاح، ثم هما أيضًا صوتان متوسطان بين الرَّخاوة والشِّدَّة [3]. وقد حَفِظ لنا القاموس كلمات قُلِبَت فيها العين نونا؛ فمن ذلك: الدِّعفِص والدِّنفِص: الرجل الزَّرِيُّ المنظر القَميء، وعَسَل الذئب ونَسَلُه: وهو ضربٌ من المشي تضطرب فيه متناه [4].

ب/ وهي عند السُّيوطي : جَعلُ العين السَّاكنة نونًا إذا وقعت قبل الطاء [5]، ومُستنَده في ذلك قراءته صلى الله عليه وسلم ﴿إنا أَنْطيناك الكوثر﴾ [الكوثر : 1] [6]،

---

(1) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج2ص318.

(2) رمضان، عبد التواب، دراسات وتعليقات في اللغة، مكتبة الخانجي، مصر، ط.1، 1995. ص126.

(3) هلال، عبد الغفار حامد، اللهجات العربية نشأة وتطورًا، مكتبة وهبة، مصر، ط.2، 1993. ص186.

(4) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج2ص319-320.

(5) انظر : السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.1، 1998. ج1ص176.

(6) انظر : الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط.1، 2002. ج10ص308.

وهي قراءة الحسن البصري وطلحة بن مصرِّف [1]، وابن مُحَيْصِنٍ وَالزَّعْفَرَانِي [2]. وفي مُصحَف ابن مسعود ﴿وأَنْطاهم تقواهم﴾ في قوله تعالى ﴿وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: 17]، وبها قرأ الأعمش وطلحة بن مصرِّف [3]. ومن كلامه صلى الله عليه وسلم: «أَعْطَاكَ اللهُ ذَلِكَ كُلَّهُ، أَنْطَاكَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ مَا احْتَسَبْتَ كُلَّهُ أَجْمَعَ» [4]، قال ابن الأعرابي: «شرّف النبي صلى الله عليه وسلم هذه اللغة، وهي حميرية» [5]، يعني : أنها لغةٌ للعرب العارِبة قديمةٌ.

وقد انتُقِد هذا التَّفسير باعتبار أنه لم يُسمع للاستنطاء مثال آخر غير الفعل أعطى في لغة القبائل التي رُوِي عنها؛ فقد قال الخليل: «الإنطاء لغة في الإعطاء» [6]، وقال الجوهري: هو «الإعطاء بلغة اليمن» [7]، ومن شواهدها في الشعر ما أنشده ثعلب :

مِنَ المُنْطِياتِ المَوْكِبَ المَعْجِ بعدما يُرَى في فُروعِ المُقْلَتَيْنِ نُضُوبُ [8]

(1) انظر : الثعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن. ج10ص308.

(2) النحوي أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، لبنان، ط.1، 2000. ج10ص555-556.

(3) انظر : ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.1، 2001. ج5ص116.

(4) رواه : أبو داود (برقم 557)، وأحمد (برقم 21214)، وابن حبان (برقم 2040) من حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ؛ فذكره في قصة. وإسناده صحيحٌ.

(5) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة. ج14ص30.

(6) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج7ص454.

(7) الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية. ج6ص2512.

(8) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب. ج1ص763، ج15ص333.

وهكذا يبدو أنَّ هذه اللهجة قاصرةٌ على مادَّة الإعطاء [1]، لا تتعدَّاها.

ج/ ويرى إبراهيم أنيس «أن الأمر يتعلق بكُلِّ (عين) سواء وليها (طاءٌ) أو صوتٌ آخر؛ فلعلَّ من القبائل من كانوا يَنطِقون بهذا الصوت بصفةٍ خاصَّةٍ نُطقًا أَنفَمِيًا، وذلك بأن يجعلوا مجرى النَّفَس معه من الفم والأنف معًا، فتُسمَع العين ممتزِجَةً بصوت النون، وليست في الحقيقة نونًا، بل هي (عين) أنفمية. وعلى هذا فيُمكِنُ أن يُقال: إنَّ الرُّواة قد سَمِعوا هذه الصِّفة ممثَّلَةً في الفعل (أعطى) فأشكلت عليهم، ولم يَصِفوها لنا على حقيقتها» [2]. وهذا افتراضٌ بلا دليل، ولو أنَّ الرُّواة سمعوا للاستنطاء أمثلة أخرى غير الفعل (أعطى) لذكروها، لأن الأمر عندهم لا يَتوقَّفُ على ظاهرةٍ لُغوِيَّةٍ مجرَّدةٍ لم يحسِنُوا وصفها، كما زعم، بل يتعلَّقُ بنصِّ القُرآن الكريم وما ورد فيه من قراءاتٍ بَلغُوا الغاية في وَصفِها وضَبطِها [3].

د/ ويميل دارسون آخرون إلى أنَّ بين الفعل (أعطى) و (آتى) قَرابةً، فالفعلان في الدلالة سِيَّان، قال تعالى ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى﴾ [البقرة: 177] [4]، ويكون (أعطى) أصله (آتى) بإبدال الهمزة الثانية عينًا، والتاء طاء. وعليه ؛ فيكون الثلاثي (أتى) بزيادة الهمزة يُؤدِّي معنى (أعطى)، وبمضاعفة التَّاء نَحصُل على (أتّى)، وعلى غِرار طائفةٍ من الأفعال، بفك التَّضعيف وإبدال إحدى التاءين نونًا،

---

(1) قشاش، أحمد بن سعيد، الإبدال في لغات الأزد : دراسة صوتية في ضوء علم اللغة الحديث، مجلة الجامعة الاسلامية، السعودية، 2002م. س34ع117ص436.

(2) أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط.4، 1973م. ص142.

(3) قشاش، أحمد بن سعيد، الإبدال في لغات الأزد. ص439.

(4) رمضان، عبد التواب، دراسات وتعليقات في اللغة. ص128.

يُصبح المضاعَف (أنتى)، وإذا ما أُبدِلَت الطاء تاءً صار (أنطى) [1]. فيكون بذلك الفعل (أنطى) سليل الفعل (أتَّى) الذي شُدِّدَت تاؤُه. وهذا الرَّأي قريبٌ من واقع الكلمة في بيئتها العربية، ويعضُده ما عُزِي إلى بعض أهل اليمن أنهم يُبدِلون أوَّل المشَدَّد نونًا، فيقولون في الحظّ، والإجّاص، والإجّانة، والقبّرة : الحنظ، والإنجاص، والإنجانة، والقنبرة [2].

المذهب الثاني : يراها أصحابه ظاهرة غير إبدالية؛ ومن هؤلاء أبو حيَّان النحوي الذي يُقرِّر أنَّ (أعطى) و(أنطى) أصلان مختلِفان لا إبدال بينهما، وقال مُعلِّقا على ما نقله عن أبي الفضل الرازيّ وأبي زكريا التبريزيّ من كون العين من (أنطى) أُبدِلَت من نونٍ، قال: «فإن عَنَيا النُّون في هذه اللُّغة مَكانَ العين في غيرها فحسنٌ، وإن عَنَيا البَدل الصناعي فليس كذلك، بل كُلُّ واحدٍ من اللُّغتين أصلٌ بنفسها لوجود تمام التصرُّف من كُلِّ واحدةٍ، فلا يقول الأصل العين، ثم أُبدِلت النُّون منها» [3]. ويُؤيِّد هذا الرَّأي طائفةٌ من الدَّارسين المعاصرين، وإن اختلفوا في التَّخريج؛ فبعض المستشرقين يُرجِّح أنَّ الاستنطاء مصدرٌ لفعلٍ سامِيٍّ معروفٍ في العِبريَّة هو (نطا) بمعنى (مَدَّ) يده، ثم زِيدت عليه الهمزة، فصار على وزن (أَفعَلَ) في العَربيَّة، بزيادة الهمزة [4] ، أي : (أنطى) الذي أصله : نطا ينطو ، أي : مدَّ يمُدُّ،

---

(1) سلوم، داود، دراسة اللهجات العربية القديمة، عالم الكتب، لبنان، ط.1، 1996. ص191،80.

(2) البطليوسي، عبد الله بن محمد ابن السيد، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، دار الجيل، لبنان، ط.1، 1973م. ج2ص181.

(3) النحوي أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير. ج10ص556.

(4) أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية. ص142.

يُقال: نَطوتُ الحبل، أي: مَدَدته [1]، وهو من أصلٍ يختلف عن: عطا يعطو، بمعنى: تناول، وإن كان معنياهما يتقاربان في الاستعمال، ولِكُلِّ لفظٍ في الفُصحى مادَّته ومشتقَّاتُه [2].

ولم يرتض رمضان عبد التواب هذا التفسير، لأنه – في رأيه – يَبعُد عن المعنى العام لكلمة (أنطى) في العربية، وهو مطلق الإعطاء. ويرى أن مقابل الفعل (أعطى) في العبرية (natan) أي: نون وتاء ونون، وفي السِّريانية في المضارع (nettal) مع إدغام النون الأولى في التاء، والنون الثانية في لام الجر؛ قال : «ولعلَّ ما حدث في لغة هذه القبائل التي رُوِي عنها الاستنطاء، هو عملية نَحتٍ لما في هاتين اللُّغتين واللغة العربية؛ فأخِذت فاء الفعل من العِبرية والسِّريانية، وبَقِيت عينه ولامه كما هما في العربية» [3]، وهذا تخريجٌ بعيدٌ، فالكلمة حميرية قديمةٌ، وهي بذلك أقدم من العبرية، فكيف تُنحَت منها ؟!

وبين مَن يُحاول إيجاد رابط بين المادتين اللغوتين (الإعطاء) و(الإنطاء)، ومَن يرى أنَّهما لُغتان، وأنَّ محاولة تفسير هذه الظاهرة بإيجاد علاقة صوتية بين العين والنون تَكلُّفٌ لا مُسَوِّغ له، لأنَّ إبدال العين نونًا لم يصدُر بالتَّأكيد عن ناطقٍ واحدٍ، بل هما لُغتَان مختلِفتَان هذه لقبيلةٍ، وتلك لأخرى [4]. بين الرَّأيَين؛ يُمكِن أن يُقال: إنَّ الإنطاء لغة قديمة في الإعطاء، حافظت عليها بعض القبائل، وهي بلا ريب ثمرة

(1) انظر: ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم. ج9ص238–239.

(2) عابدين، عبد المجيد، من أصول اللهجات العربية في السوادن. ص112.

(3) رمضان، عبد التواب، دراسات وتعليقات في اللغة. ص127–128.

(4) انظر : قشاش، أحمد بن سعيد، الإبدال في لغات الأزد. ص439.

تغير صوتي ما، ثم استقلَّت مع الزَّمن كُلُّ مَادَّةٍ بمشتقاتها، وأصبح لها كيانها الذي يُميِّزها.

أمَّا عن الجغرافية اللسانية لظاهرة الاستنطاء؛ فقد عزاها السيوطي [1] إلى هُذَيل، والأَزْد، والأنصار-وهم بطن من الأزد-، وسَعد بن بكر، وقَيس. ومن المعروف جغرافيًا أن بعض بطون هذيل وقيس كانت تجاور الأزد في السّراة [2]، فانعكست بعض الظواهر الأزدية على قبيلة هذيل وقيس ومنهم بنو سعد بن بكر [3]. وخِلافًا للمُرتضى الزَّبيدي [4]، يرى الجُندي أنَّ هُذيلا المذكورة ليست تلك القبيلة المعروفة من مُضَر، وإنما هي هُذيلٌ اليمنية. وقيسٌ هي بَطنٌ من هَمدان لا قيسُ عَيلان، بدليل قول الأعشى، وهو من قَيسٍ القحطانية :

جِيادُكَ في القَيظِ في نِعمةٍ تُصان الجِلالَ وتُنطَى الشَّعِيرَا [5]

وبذلك تكون هذه اللغة قد خَلُصت لليَمَنِيين بدليل الأزد فيهم، وجميعهم من اليمن [6]. وقد تقدَّمت النُّقول عن ابن الأعرابي والجوهري أنها لغة حميرية يمنية قديمة. غير أن هذا لا يمنع انتقالها إلى قبائل أخرى غير يمنية، فاللُّغات لا تَعرِف الثَّبات بل تنتقل بالمجاورة أو الاختلاط في المواسم الدينية أو الأسواق أو الحروب،

---

(1) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها. ج1ص222.

(2) ينظر: الحَمَوي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، لبنان، ط.2، 1995. ج3ص205.

(3) قشاش، أحمد بن سعيد، الإبدال في لغات الأزد. ص435.

(4) الزَّبيدي، محمّد بن محمّد، تاج العروس من جواهر القاموس. ج40ص106.

(5) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج2ص318.

(6) الجندي، أحمد علم الدين، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، تونس، ط.1، 1979. ج1ص381.

و«التوزيع الجغرافي لمواطن النُّطق بالصيغة (أنطى) قديمًا وحديثًا، يُبَين أنها كانت توجد على طرق القوافل، من الجنوب إلى الشمال، ومن ثَمَّ فإنَّ احتمال انتقال هذه الصيغة من الجنوب، أي: من بلاد اليمن، على طول رحلتي الشتاء والصيف، احتمالٌ مقبولٌ» [1]. ولا تزال هذه اللغة منتشرة في أماكن مختلفة من الوطن العربي، فقد سُمعت في العراق [2] وفي صحاري مصر [3] وفي غرب السودان وشرقه [4].

(1) انظر : السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها. ج1ص175.

(2) رمضان، عبد التواب، دراسات وتعليقات في اللغة. ص125.

(3) ناصف، حفني، مميزات لغات العرب، مصر، ط.2، د.ت. ص13.

(4) رمضان، عبد التواب، دراسات وتعليقات في اللغة. ص124.

صوت الطاء؛ إمَّا أنْ يُدغَم هو في ما بعده، وإمَّا أنْ يُدغَم فيه ما قبله، وسأبحث الحالتين معًا.

1 – ما تُدغم فيه الطاء :

أ/ الطاء : تُدغَم في مثلها، إذ لا مانع يمنع من ذلك؛ كما في قولك: اربِطْ طارقًا. وإذا تكرَّرَت الطَّاء، وجب بيانها لِقُوَّتها كقوله تعالى ﴿شططاً﴾ [الكهف: 14]. وإذا كانت الطَّاء مُشدَّدةً فلا بد من بيانها، نحو ﴿اطَّيرنا﴾ [النمل: 47] و﴿أن يَطَّوَّف﴾ [البقرة: 158]، وإلا مال بها اللِّسان إلى الرَّخاوة [1].

ب/ الدال : كقولك: اضبدُّلما، لأنهما مع موضعٍ واحدٍ، وهي مثلها في الشِّدَّة، إلا أنَّك قد تدع الإطباق على حاله فلا تُذهِبه، لأنَّ الدَّال ليس فيها إطباق، فإنما تَغلْب على الطاء لأنها من موضعها، ولأنها حصرت الصوت من موضعها كما حصرته الدال [2]. فجاز إدغام الطاء في الدَّال لاشتراكهما في المخرج وكونهما مجهورتين شديدتين جميعًا، ولم يكن الإطباق الذي في الطاء مانعًا من الإدغام، لأنّه يُمكِن إذهابُه وتبقيتُه. ولأنَّ المطبق أفشى في السمع، فبعض العرب أبقوا الإطباق الذي في الطاء حتى لا يظلموها وقعها في السَّمع، وأزال آخرون الإطباق حتى جعلوا الطاء كالدَّال سواءً، أرادوا أن لا تخالِفها إذ آثروا أن يَقلِبوها دالاً، كما أنهم أدغموا النُّون بلا غُنَّةٍ [3].

---

(1) انظر : ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد. ص133–134.

(2) انظر : سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص460.

(3) المصدر السابق.

ج/ **التاء** : كما في نحو: نَحْو اثْبُتَّوْءَمًا، وقرأ أبو عمرو ﴿فرَّطُّ في جنب الله﴾ [الزمر: 56]، بالإدغام والإطباق، ويجوز إذهابه «إلا أنَّ إذهاب الإطباق مع الدَّال أَمثَلُ قليلاً، لأن الدَّال كالطاء في الجهر والتَّاء مهموسةٌ. وكلٌّ عربيٌّ. ومما أُخلِصَت فيه الطاء تاءً سماعاً من العرب قولهم: حِتُّهم، يريدون: حِطْتُهم» [1]. فالإدغام مع الإبقاء على الإطباق الذي في الطاء أو إزالته، لتصبح التاء خالِصةً؛ كُلُّ ذلك مَنقولٌ عن العرب، فلا إشكال فيه، مع كونه في الدَّال أمثل لِتَفوُّقها على التَّاء في الجهر.

هـ/ **الصاد والسين والزاي**: وذلك قولك: ذهبسَّلمى وقَسَّمِعت، واضبزَّردةً، وانعصَّابراً؛ يقول سيبويه : «تُدغَم الستّة الأُوَل التي هي: الطاء، والدال، والتاء، والظاء، والثاء، والذال، في الثلاثة الأُخَر التي هي: الصاد، والزاي، والسين؛ لأنّهنّ من حروف طرف اللسان. ولا تُدغَم هذه في تلك لقوّتها بما فيها من الصفير» [2]. فالطاء وأختاها يُدغَمن كُلُّهن في الصاد والزاي والسين، لِقُرب المَخرَجَين لأنهن من الثنايا وطرف اللسان، وليس بينهن في الموضع إلا أنَّ الطاء وأُختَيها من أصل الثنايا، وهُنَّ من أسفله قليلاً مما بين الثنايا [3]. فهذه الأصوات متواخيةٌ بالمخرج، فلا مانع من إدغام الطاء وأختيها فيها، ولا عكس حتى لا تَفقْدُ الصاد وأختاها ما فيها من الصفير.

د/ **الظاء والذال والثاء** : كما في أسقط ظريفا، أُرقُط ثوبا، اربط ثورا ؛ فهاهنا يجوز الإدغام إلا أن البيان أولى مُقارنةً بإدغام الطاء في أختيها الدال والتاء [4]، لأنّه

---

(1) انظر : سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص460.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر نفسه. ج4ص462-463.

(4) انظر : ابن عصفور، علي بن مؤمن، الممتع الكبير في التصريف. ص446.

بالإظهار يثقُل الكلام لشدّتهنّ، وللزوم اللسان موضعَهنّ لا يتجافى عنه، والإدغامُ أحسنُ؛ لأنّه ليس بينهما إلّا الهمس والجهر، وليس في واحد منهما إطباقٌ، ولا استطالةٌ، ولا تكريرٌ [1].

2- ما يُدغَم في الطاء :

أ/ الدال : كما في : انقد طالبًا، فالدال تُدغَم في الطاء لأنّهما من مَعْدِن واحد، وهما مجهورتان شديدتان [2]. والبيان جائز، إلا أن الإدغام أفضل؛ يقول سيبويه: «ولو بيَّنتَ فقُلتَ: اضبط دلاما، واضبط تلك، وانقد تلك، وانعت دلاماً، لجاز، وهو يَثقُل التَّكلُّم به لشدتهن، ولِلُزوم اللِّسان مَوضِعَهُنَّ لا يتجافى عنه» [3]. فالأسنان العُليا تكون منطبقة على الأسنان السفلى، واللسانُ من وراء ذلك فلم يتجاوز الفم، والإدغام أصله أن يكون في حروف الفم [4].

ب/ التاء : نحو: أفلت طرفَة [5]، وانعت طالبًا، وإدغام التاء في الطاء أحسن من إدغام الدال فيها؛ لأنّ التاء مَهموسةٌ، والطاء مجهورةٌ، وليس يمنع الجهرُ إدغامَ المهموس، ولكن يكون إدغامُ المهموس أحسن. وإنّما لم يمنع الجهرُ؛ لأنّ للمهموس حالًا يُقارِب حالَ المجهور بسُهولة المخرج، وقلّةِ الكُلْفة في الاعتماد، إذ الاعتمادُ في المجهور أقوى [6].

---

(1) انظر: ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج5ص547.

(2) المصدر السابق.

(3) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص461.

(4) ابن عصفور، علي بن مؤمن، الممتع الكبير في التصريف. ص446.

(5) العكبري، عبد الله بن الحسين، اللباب في علل البناء والإعراب، تح: غازي مختار طليمات، دار الفكر، سورية، ط1، 1995. ج2ص477.

(6) انظر: ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج5ص547.

ج/ لام المعرفة : تُدغَم في الطَّاء مع بَقِيَّة الحروف الثلاثة عشر، وهي: «النون، والراء، والدال، والتاء، والصاد، الطاء، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال. واللَّذان خالطاها: الضاد والشين» [1]، والطَّاء ضمن الأحرف التسعة الأولى، من أحرف طرف اللسان، لذلك تُدغم فيها لام المعرفة وجوبًا.

د/ لام (هل) و(بل) ونحوهما : يقول العُكبري - شارحًا كلام سيبويه - [2]: «وقد أدغموها في التّاء والثّاء والرّاء والزّاي والشّين والصّاد والضّاد والطّاء والظّاء والنّون، إلاّ أنّ إدغامها في الرّاء حسنٌ، وفيما عداها ضعيفٌ» [3]. وإنما ضعُف الإدغام هنا، للبُعد النِّسبي بين مخارج تلك الأصوات -ومنها الطاء- ومخرج اللام، مُقارنةً بالرَّاء.

هـ/ الظاء والذال والثاء : كما في : احفظ طالبًا، وانبُذْ طَيرك، ولا تَرفُثْ طَارق، يقول سيبويه : «الظاء والذال والثاء، لأنهن من حروف طرف اللسان والثنايا، يُدغَمن في الطَّاء وأخواتها، وهُنَّ مِن حَيِّزٍ وَاحدٍ» [4]. فتقارب المخارج أجاز الإدغام، كما هو واضحٌ.

---

(1) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص457.

(2) المصدر السابق.

(3) العكبري، عبد الله بن الحسين، اللباب في علل البناء والإعراب. ج2ص476.

(4) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص465.

الفصل الثالث :

صوت الجيم

1 – عند القدامى :

المشهور أنَّ للأوَّلين في مخرج الجيم الأصلية مذهبين :

المذهب الأول: من بين عَكَدَة اللِّسان وبين اللَّهاة في أقصى الفَم؛ يقول الخليل: «وأمَّا مَخْرَج الجيم والقافِ والكافِ فمن بين عَكَدَة اللِّسان وبين اللَّهاة في أقصى الفَم» [1]. فالجيم تشترك مع هذين الصوتين اللهويين في المخرج، لكنها ليست من حيزهما، بل هي شَجْريّة من حيز الضاد والشين، وهي بذلك أبعد الأصوات الشجرية مخرجًا، تليها الشين فالضاد. ومعنى كون الجيم شجرية «أنَّ مَبْدَأها من شجْر الفم؛ أي: مَفرَج الفم» [2]، هذا عند الخليل. وقد ذكر القسطلاني عِلَّةً أخرى لهذه التَّسمية؛ فقال: سُمِّيَت كذلك «لانفتاح الفم عند النُّطق بها أكثر من غيرها» [3]. فتعليل الفراهيدي باعتبار المبدأ، وتعليل القسطلاني باعتبار مقدار انفتاح الفم حال النُّطق.

غير أنَّ المُشكِل في كلام الخليل هو كون الجيم تبدأ شجرية من مَفرَج الفم، وتخرج من بين عَكَدَة اللِّسان وبين اللَّهاة في أقصى الفَم، مُشترِكةً في مخرجها ذاك مع القاف والكاف اللذين ينتميان إلى الحيز اللهوي السابق للحيز الشجري مباشرة [4].

---

(1) انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين. ج1 ص52.

(2) المصدر نفسه. ج1 ص58 .

(3) القسطلاني، أحمد بن محمد، لطائف الإشارات لفنون القراءات. ج1 ص191.

(4) يقول الخليل: «ثم القاف والكاف لَهَويتان، والكاف أرفع، ثم الجيم والشين والضاد في حيِّز واحد». انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين. ج1 ص58.

وهذا يبدو متناقضا ؛ فكيف تبدأ في حيز، وتشترك في المخرج مع أصوات تنتمي إلى حيز مُتقدِّم على ذاك الذي تبدأ منه ؟!

والجواب من وجهين :

أولها: أنَّ الشَّجْر الذي هو حيز الجيم قد فسَّره الخليل، كما تقدَّم، بأنه مَفرَجُ الفم؛ يعني : موضع انفراجه، وهو: مَا انْفَتَحَ من مُنْطَبِق الفَمِ [1]، وقيل: خَرْقُه الَّذِي بَين الحَنَكَيْنِ [2]، وقيل: مُفترَقُه [3]، وقيل: مُقدَّمُه [4]، وقيل: مُؤَخَّرُه، وقيل: جانبه، وقيل: مُلْتَقَى اللِّهْزِمَتَيْنِ منه، وقيل: مَا بين اللَّحْيَيْنِ من اللحم من ظاهر وباطن، وقيل: بل هو ما بين أعاليهما إلى أسفلهما [5]، وقيل: مُجْتَمَع اللَّحْيَيْنِ تحتَ العَنْفَقَة [6]، وقيل : هُوَ الذَّقَنُ بِعَيْنِهِ [7]، وقيل: هو الفم نفسه [8].

وهذه الأقوال مُتقاربةٌ؛ ومَردُّ اختلاف ألفاظها إلى تبايُن زوايا النظر إلى الفم، والجامع بينها مادة (شجر) الدالَّة على تَدَاخُلِ الشَّيْءِ بَعْضِهِ فِي بَعْضٍ، وعلى عُلُوٍّ فِي شَيْءٍ وَارْتِفَاعٍ [9]؛ فمَفرَجُ الفم يشمل مفتحَه ومُفترَقَه وكذا الخرق الَّذِي بَين الحَنَكَيْنِ، وإذا نُظر إليه من أمام فهو مُقدَّمُه، وهو مُؤَخَّرُه إذا أخذنا الحلق مَعلَمًا، كما أنَّ

---

(1) الزَّبيدي، محمّد بن محمّد، تاج العروس من جواهر القاموس. ج12ص141-142.

(2) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة . ج10ص333.

(3) انظر : بشر، كمال محمد، علم الأصوات. ص 303.

(4) السندي، عبد القيوم عبد الغفور، صفحات في علوم القراءات. ص212.

(5) انظر : القالي، إسماعيل بن القاسم، البارع في اللغة. ص606.

(6) الزَّبيدي، محمّد بن محمّد، تاج العروس من جواهر القاموس. ج12ص141-142.

(7) ابن فارس، أحمد بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة. ج3ص247.

(8) انظر : القالي، إسماعيل بن القاسم، البارع في اللغة. ص606.

(9) ابن فارس، أحمد بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة. ج3ص246.

اللَّحْيَينِ إِذَا اجْتَمَعَا فَقَدِ اشْتَجَرَا [1]، بأي صفة كان ذلك الاجتماع من أجزائهما، ثم هما متصلان بالذَّقَن، وهما جانبا الفم، وَيُقَالُ: اشْتَجَرَ الرَّجُلُ، إِذَا وَضَعَ يَدَهُ تحت شَجْرِهِ عَلَى حنكه، قَالَ الشاعر :

نام الخَلِيُّ ونِمْتُ اللَّيْلَ مُشْتَجِرًا كَأَنَّ عَيْنِيَ فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحُ [2]

وقد قال الخليل: «ويُقال: سُمِّيَ الشَّجَر لاختلاف أغصانِه ودخولِ بعضها في بعض، واشتُقَّ من تشاجر القوم، والشَّجْرُ: مَفرَجُ الفمِ» [3]، وفي ذلك إشارة إلى : أنَّ الشَّجْرُ مَوضِعٌ مُرتفعٌ عالٍ مُتداخِلٌ بعضه في بعض، وهذه حقيقة الفم؛ لذلك فُسِّر الشَّجْر بأنه: الفم نفسه.

الثاني: أن ترتيب الأحياز عند الخليل هكذا: الجوف، فالحَلْق، فاللَّهاة، فالشَّجْر، فالأسلة، فالنِّطْع، فاللِّثة، فالذَّلَق، فالشَّفَة. وهكذا فالشَّجر يتوسَّط اللَّهاة والأسلة، وهو بذلك يشغل مساحة كبيرة من الفم، فقد قال الخليل مُعلِّلاً بعض الظواهر الصرفصويتة: «...لأنَّ الطَّاءَ من فِخام حروف الشَّجْر التي قَرُبَت مخارجها من التاء، فضَمّوا إليها حرفا فَخماً مِثلَها، ليكونَ أيْسَرَ على اللسان، لتبايُن مَدْرَجة الحروف الفِخام من مَدارج الحروفِ الخفت» [4]. فنسب الطاء إلى الشجر، مع أنه من الحيز النطعي الذي يلي الأسلة، وما ذاك إلا لكون الطاء مبدأه من الغار الأعلى [5]،

(1) ابن فارس، أحمد بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة. ج3ص246.

(2) انظر : ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج 5ص516-517.

(3) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج6ص31.

(4) المصدر السابق. ج8ص167.

(5) المصدر نفسه. ج1ص13.

وهو حَيِّزٌ مُقابِلٌ للشَّجْر، وهو شبيه بالسقف له، ولذلك قال أبو الهيثم اللغوي: «وشَجْرُ الْفَم: الْهَوَاء» [1]، وكأنه يُشير إلى أنه لا سقفَ ولا قاعدة.

فإذا كان مبدأ الجيم من الشجر، ثم هي تخرج من بين وسط اللِّسان وبين اللَّهاة، ومنطقة وسط اللسان داخلة في حيز الشجر قطعًا. وكذلك الشين التي تلي الجيم في الحيز الشجري؛ مخرجها عند الخليل: «بين الغارِ الأعلى وبين ظَهْر اللِّسان» [2]، وهذه المنطقة تنتمي إلى الشجر أيضًا. وبذلك فلا إشكال في أن يكون مبدأ صوت ما من حيز ، ويكون مخرجه مع أصوات من حيز سابق على ذاك الذي يبدأ منه.

وهكذا؛ فلا تنافي بين عبارتي الخليل، خلافا لما ظنَّه بعض الدارسين، والتمس لذاك التعارض مخرجًا؛ فانتهى إلى أنَّ: الجيم الشجرية هي الفصيحة، وأنَّ تلك التي بُيِّن مخرجها هي الجيم القديمة التي نسمعها اليوم عند أهل اليمن والقاهرة، وهي قد تطورت فانتقلت من الطبق إلى الغار بفعل قانون الأصوات الحنكية، ثم جاء القياس وطردها على وتيرة واحدة [3].

وهذا القول، مع مجانبته الظاهرة للصَّواب، حيث لم يُفرِّق بين لفظة (مبدأ) ولفظة (مخرج)، فلا دليل عليه من كلام الخليل؛ فلا أحدَ من السَّابقين فضلا عن اللاحقين قال بأنَّ الخليل تحدَّث عن أصوات أصلية وأخرى فرعية، بل المذكور في مقدمة كتابه حديثٌ عن حروف العربية التسعة والعشرينَ، لا عن غيرها من الألوفونات أو التحققات الصوتية.

---

(1) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة . ج10ص333.

(2) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج1ص52.

(3) شطناوي منير والعظامات حسين، المخارج النطقية للأصوات اللغوية. م24ع3+4 ص314.

المذهب الثاني : من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، وهو مخرجٌ تشارِك فيه الجيمَ الشينُ والياء [1]، والمُراد بها الياء الحية الجامدة (غير المدية)، لا الياء الذائبة (الميتة) التي لها مخرجٌ آخر [2]. وهذا مذهب سيبويه، ونَصُّه يقتضي أن تكون «الجيم أقرب إلى أصل اللسان، وبعده إلى خارج الفم الشين، وبعده إلى خارجه الياء» [3]. قال عبد الوهاب القرطبي : «إلا أنَّ الياء ، تهوي في الحلق وتنقطع عند مخرج الألف» [4]، وتابعه الشاطبي [5]، وابن الجزري [6].

وقد نقل النَّضر بن شُمَيل عن الخليل: «الشين والجيم والياء شجرية، لأنَّ مبدأها من الشَّجر، ومجراها على وسط اللسان ووسط الحنك...، ثم الضاد، وهي حافِّيَّةٌ لأنها من حافَّة اللسان وما يليها من الأضراس» [7]. وهذا يلتقي مع ما ذكره سيبويه حيث جعلها من أوَّل حافة اللسان [8]. وهذا التقسيم يُؤيِّد رواية الأخفش الأوسط عن الخليل، إذ حكى عنه جعله الشين بعد الكاف، ثم الجيم ثم الياء [9]. وتضطرب المطبوعة بعد هذا الموضع، لكن المرجَّحُ -بعد النَّظر في سياق الكلام-

---

(1) انظر : سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج2ص405 .

(2) الحَمَد، غانم قَدُّوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص172.

(3) الأستراباذي الرضي، محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب. ج3ص252.

(4) انظر : القرطبي، عبد الوهاب بن محمد، الموضح في التجويد. ص78.

(5) انظر : الشاطبي، القاسم بن فيره، حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، تح: متولي عبد الله الفقاعي، مطبعة محمد علي صبيح، مصر، د.ت، د.ت. ص178.

(6) انظر : ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر. ج1ص226.

(7) النحوي أبو حيان، محمد بن يوسف، تذكرة النحاة، تح: عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط.1، 1986. ص27.

(8) انظر : سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص458.

(9) انظر : النحوي أبو حيان، محمد بن يوسف، تذكرة النحاة. ص29-30.

أنه ذكر الضاد بعد ذلك [1]، ومُجمَل ما نُقل عن الخليل يُفيد بأن الشين والجيم والياء والضاد جميعها من الحيز الشجري.

وإذا جمعنا بين ما ذكره الخليل وما أورده سيبويه؛ فسيكون مخرج الجيم : "من بين اللَّهاة وبين عَكَدَة اللِّسان، ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى"؛ فإذا كانت الجيم في آخر مدرجة من المخرج عند الخليل، وفي أول مدرجة عند سيبويه؛ فإنها ستخرج من عكدة اللسان عند الخليل، ومن وسطه عند سيبويه، وعَكَدَة اللِّسَانِ : أصله وعُقدته [2]، وقيل : مُعْظَمُه، وَقيل: وسَطُه [3]، ولا شكَّ أنَّ مُعظم اللِّسان في وسطه ؛ فبذلك ستكون النقطة التي تخرج منها الجيم واحدة عند كليهما، وبه يتبيَّن أن العبارتين تَصُبَّان في وادٍ واحدٍ، وإنما الخلاف في العبارة بسبب الاختلاف في زاوية النظر.

وقد رام جمعٌ من القُدامى والمحدثين الجمع بين عبارة الخليل وعبارة سيبويه؛ فقال السيوطي: «وَمعنى شجرية: خَارِجَة من شَجْر الحنك؛ وَهُوَ: مَا يُقَابل طرف اللِّسَان» [4]، وقال أحد المُحدَثين: «وهذه الحروف الثلاثة تسمى شجْرِية لخروجها من شجْر اللسان (أي وسطه)» [5]. ومع كون مصطلح "تخرج" غير دقيق، إلا أنه يُفصِح عن فهم لمدلول الشَّجْر، علَّقه الأول بالحنك والآخر باللِّسان.

---

(1) قدور، أحمد محمد، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، دار الفكر، سورية، ط.1، 1998. ص38.

(2) انظر : الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين. ج1ص193.

(3) الزَّبيدي، محمّد بن محمّد، تاج العروس من جواهر القاموس. ج8ص404.

(4) انظر : السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع. ج3ص490.

(5) انظر : سالم، صفوت محمود، فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية. ص33.

2 – عند المحدثين :

الجيم عند بعض المُحدَثين لثوي حنكي [1]، وعند آخرين: أدنى حنكي [2]، وعند جماعة: من أقصى الحنك؛ والقولان الأوَّلان لا يختلفان عما نقلناه عن القدماء إلا في التسمية فقط، أمَّا القول الثالث فبعيدٌ، وسأُبَيِّن ذلك في المبحث التالي. وقد قال كمال بشر: «الشِّين أحد أصوات ثلاثةٍ، عَدَّها عُلماء العربية أصوات وسط الحنك، وهذه الأصوات هي: الشين والجيم والياء (نصف الحركة)، وهو تقديرٌ سليمٌ، لأنَّ ثلاثَتها من حَيِّزٍ واحدٍ واسعٍ نِسبيًّا» [3]. فسعة الحَيِّز أحدثت فرقا في التَّسمية بين الدَّارسين المحدثين بالنسبة للشين، والأمر نفسه فيما يتعلق بالجيم، ولهذا نظائر في مخارج أصوات أخرى.

(1) انظر : بشر، كمال محمد، علم الأصوات. ص311.

(2) انظر : كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية. ص30.

(3) انظر : بشر، كمال محمد، علم الأصوات. ص303.

1 – عند القدامى :

أجمع المتقدِّمون على أنَّ الجيم: صوتٌ مجهورٌ شديدٌ منفتحٌ مُستفِلٌ مُقَلقَلٌ [1]؛ فقد عَدَّها سيبويه في المجهورات، فقال: «فأمَّا المجهورة؛ فالهمزة، والألف، والعين، والغين، والقاف، والجيم...» [2]، وأدرجها ضمن الأصوات الشديدة ، فقال : «ومن الحروف الشديد؛ وهو: الذي يَمنَع الصوت أن يجري فيه، وهو: الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والباء. وذلك أنَّك لو قلت: "ألحج" ثم مددت صوتك، لم يجر ذلك» [3]، فجعل الجيم مثالاً للشديد من الأصوات، وتجرِبة جَريُ الصَّوت بالحرف عند الوقف وسيلةٌ عمليةٌ للتَّفريق بين الشَّديد والرِّخو، كما في قولك : الحَج والحِس، فأنت تستطيع أن تمدَّ الصَّوت بالثاني دون الأوَّل [4].

فالجيم الفصيحة صوتٌ مجهورٌ شديدٌ، على هذا جرى المُتقدِّمون، لا يُعلَمُ منهم مخالِفٌ. غير أنَّ هذا النُّطق الفصيح طالما زاحمته أداءات أخرى؛ فقد ذكر ابن الجزري صُورًا لنُطق الجيم كانت سائدة في القرن الثَّامن الهجري؛ فقال: «الجيم يجب أن يَتَحَفَّظَ بإخراجها من مخرجها، فربما خرجت من دون مخرجها، فَيَنْتَشِرُ بها اللِّسان،

(1) القسطلاني، أحمد بن محمد، لطائف الإشارات لفنون القراءات. ج1 ص205.

(2) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4 ص434.

(3) المصدر السابق.

(4) النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص62.

فتصير مَمْزُوجَةً بِالشِّينِ [1]، كما يفعله كثيرٌ من أهل الشَّام ومصر [2]. وربما نَبَا بها اللِّسان، فأخرجها ممزوجةً بالكاف [3]، كما يفعله بعض النَّاس، وهو موجودٌ كثيرًا في بوَادي اليَمَن» [4]، وهي اليوم فاشيةٌ في ألسنة كثيرٍ من المصريين.

2- عند المحدثين :

أفضت الفروقات اللَّهجية المُشار إليها في نُطق صوت الجيم إلى انقسام المحدثين في توصيفه إلى فرقتين :

الفرقة الأولى : ترى أنَّ الجيم، كما نسمعها الآن من مُجيدي القُرَّاء، صوتٌ غارِيٌّ مجهورٌ، يجمع بين الشِّدَّة والرَّخاوة، وعلى ذلك تُعَدُّ هذه الجيم في الحقيقة: صوت دال مُغوَّر، يعقُبُه صوت شين مجهور. وهذه الجيم بهذا الوصف، لا وجود لها في اللَّهجات الحالية، إلا في لهجة من لهجات صعيد مصر، وبعض أماكن الجزيرة العربية [5].

---

(1) وهي الشين الاحتكاكية المجهورة / S/ ، المقابل المهموس للشين العربية [Sh]، بُولغ في تعطيشها، وانتقل إلى الأمام مخرجها، فتعدَّت مخرجها ناحية طرف اللِّسان، بحيث لا يُمكِن النَّاطق إحكام المخرج، فهي تخرُج مهموسةً رِخوةً بين الجيم والشين.

انظر: أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية . ص70.

(2) وهي اليوم في لهجة أهل الشام وبعض المغاربة.

انظر: عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة. ص51.

(3) انتقل مخرجها إلى الخلف باتجاه أقصى الحنك، وهي خالية من التَّعطيش.

انظر: عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة. ص51.

(4) ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر. ج1ص217.

(5) عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة. ص78، 51.

واحتجَّ هؤلاء لمذهبهم: بأنَّ الملاحظة دَلَّت على صُعوبة إنتاج صوت كامل الشِّدَّة (الانفجار) بين وسط اللسان وما يُقابِلُه من سقف الحنك؛ ذلك أنَّ انفصال وسط اللِّسان عن الحنك الأعلى أثناء النُّطق بهذا الصوت لا يحدُث فجأة كما في نُطق الأصوات الشديدة، بل يَتمُّ انفصال العُضوين ببُطءٍ يسمح للنَّفَس بعد الانفجار أن يحتكَّ بهما احتكاكًا شبيها بما يصاحب الأصوات الرِّخوة، بمعنى أنه يبدأ شديدًا انفجارِيًّا، وينتهي رِخوًا احتكاكِيًّا [1]، فهو انفجارِيٌّ فاشلٌ [2]. ومن ثَمَّ سُمِّيَ مُركَّبًا ومُزدَوِجًا، ومَزْجِيًّا، وربما نُعِت بشِبْه الانفجاري أو الانفجاري-الاحتكاكي.

الفرقة الثانية : أقرَّت المتقدِّمين على وصفهم لصوت الجيم بالشِّدَّة، إلا أنهم انقسموا فئتين :

الفئة الأولى : ترى أنَّ الجيم التي كان يَستخدِمها جمهور العرب وقت نزول القرآن هي الجيم التي ينطِقُها قُرَّاء القرآن وكثيرٌ من النَّاطقين بالعربية اليوم، وهي التي تحدَّث عنها علماء العربية وعلماء التجويد، ووصفوها بأنها صوتٌ شديدٌ انفجارِيٌّ، يخرج من وسط اللسان مع ما يليه من الحنك الأعلى... وهذا الوصف صحيحٌ في جُملته، ولا يزال يَنطبِق على الجيم التي يَنطِقُها مجيدو قراءة القرآن الكريم ومَن يُتابعهم في نُطقها [3]. ويتبنَّى النُّعَيمي الرَّأي نفسَه إلا أنَّه، واستنادًا إلى مُعطيات الصوتيات المُقارِنة [4]، يُرجِّح أنَّ الجيم العربية القديمة كانت كالجيم المصرية، وذلك

---

(1) انظر: عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص87.

(2) انظر: فندريس (Vendryes)، جوزيف، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1950. ص50.

(3) انظر: الحَمَد، غانم قَدُّوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص244،240.

(4) فصوت الجيم في العربية، يُقابِلها في اللغات الجزيرية (السامية) القديمة كافٌ مجهورةٌ، فمثلا في الآكادية : تُلفَظ: مَرجان (مركانو)، ونجار (نگار)، وفجل (فگلو). يقول طه باقر: «توجد

في زمنٍ مُتقدِّمٍ على الزَّمن الذي عاش فيه علماء العربية الذين وصفوا أصواتها، وما بقي على ألسنة العرب من الجيم التي هي كاف مجهورة، عدَّها سيبويه في الحروف المستقبحة، لِقِلَّتها في لُغة من ترتضى عربيته ولا تُستَحسن في قراءة القرآن ولا في الشِّعر [1].

الفئة الثانية : ترى أنَّ الجيم الفصيحة هي الجيم القاهرية الخارجة من أقصى الحنك، النظير المجهور للكاف العربي؛ وأنَّ المتقدِّمين أخطؤوا في تحديد مخرج الجيم، وأقوى ما استدَلَّ به هؤلاء أمران :

1 – المقارنة بين العربية وبقية السامِيَّات، كالعِبرية والسريانية والحبشية، فصوت الجيم في هذه اللُّغات، صوتٌ شديدٌ يُشبِهُ نُطق المصريين [2]. وفي حوارٍ دار بين إبراهيم أنيس وأستاذه فيرث (Forth) يقول: «لو قُلت لي : إنَّ نُطق الجيم بدون تعطيشٍ هو الأصل، استطعت في سُهولةٍ أَن أُفسِّر لك كيف صارت إلى التَّعطيش [3]،

في اللغة الآكادية والبابلية والآشورية، كلمة تكاد تطابق العربية إجانة وإنجانة، وهي : أگنوا (Agannu)... والواقع اللغوي أنَّ هذا الصوت أصل في اللغات العربية القديمة (السامية)، وتكاد العربية الحديثة تنفرد بصوت الجيم».

انظر: باقر، طه، من تراثنا اللغوي القديم، المجمع العلمي العراقي، العراق، 1980. ص53.

(1) النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص65.

(2) عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة. ص52.

(3) أوَّل مَن استعمل مُصطلح "التعطيش" برجشترايسر، حيث قال : «وأما الجيم، فهي عند أكثر العرب مُعطَّشةٌ، مُركَّبةٌ من لفظي الدال والژاي، أي: الـ(ge) الفرنسية»، ثم تَبِعه جمهور الذين كتبوا في وصف أصوات العربية بعده. وقد اختُلِف في تفسير "المُعطَّش"؛ فهو عند إبراهيم أنيس وجماعة: الجيم الذي أُشرِب صوت الشين، بينما يرى النُّعَيمي: «أنْ تسمى الجيم الشامية: الجيم المشربة، أي: المُشربة صوت الشين، والجيم الفصيحة : الجيم المُعطَّشة، أي: التي عُطِّشت، فلم تُشرَب صوت الشين». انظر : النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص62،64.

بل استطعت أيضًا أن أَدُلَّك على نظيرٍ لهذه الظاهرة في تطوُّر الإغريقية واللاتينية إلى اللُّغات الأوروبية الحديثة [1]، أمَّا إذا قُلت العكس، وهي أن الأصل هو الجيم المُعطَّشة، فعليكم أنتم أن تُفسِّروا هذا» [2]. يعني فيرث : أنَّ الجيم التي كالكاف المجهورة هي الأصل، وأن تلك المُشربة صوت الشين حديثةٌ [3].

وقد حاول إبراهيم أنيس أن يُقدِّم تفسيرًا لهذا التحوَّل الذي تعرَّضت له الجيم، فأجرى عملية إحصائية للكلمات القُرآنية التي تَشتمل على الجيم بوصفها فاءً الكلمة؛ أسفرت تلك العمليَّة عن 1107 كلمةٍ محرَّكةٍ بالفتحة، و157 كلمةٍ محرَّكةٍ بالكسرة، و102 كلمةٍ محرَّكةٍ بالضَّمَّة. باعتماد هذه النتائج نِسبةً لحركات الجيم في كل ألفاظ اللغة، علَّق إبراهيم أنيس قائلاً: «الجيم حين تُحرَّك، تُؤثِّر في اللغة العربية الحركة الأمامية أي : الكسرة أو الفتحة المرققة، وعليه فلسنا ندهش حين تتطور من صوت خالٍ من التَّعطيش إلى صوت مُعطَّش؛ لأنَّ الحركة الأمامية قد جذبتها إلى الأمام، وأصبح مخرجها أقرب إلى وسط الحنك بعد أن كان أقصى الفم» [4].

2- أنَّ المتقدِّمين يَعُدُّون الجيم حرفا قمريا، ينبغي أن يحقق معها اللام ولا يُدغَم فيها، و«لو نظرت إلى الحروف القمرية، لوجدتها بعضها حلقية وبعضها شفوية...

---

(1) فصوت الجيم [G] في كُلٍّ من الإغريقية واللاتينية خالٍ من التَّعطيش، وقد بَقِي على حاله في الألمانية، أمَّا في الفرنسية والإنجليزية، فيُعطَّش حين يخلو من الحركة أو تليه حركة خلفِيَّةٌ، ويصيبه التعطيش في كثير من الكلمات إذا وَلِيَته حركة أمامية مثل (i،e).

انظر : أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية . ص79.

(2) المرجع السابق. ص77-83.

(3) وتعقَّبه النعيمي بقوله : «وهو ما نميل إليه، إلا أن ذلك كان قبل تدوين علمائنا صفات الحروف». انظر : النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص64.

(4) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية . ص77-83.

فلو كانت الجيم شجرية لكانت وحدها شاذة عن هذا التَّقسيم، علما بأن الجيم المصرية حلقية، ولا يُختلَف في قمريتها، إذن يسعنا القول أن الجيم المصرية هي القمرية، وأن الجيم الشجرية والجيم الدالية ليستا قمريتين بل شمسيتان» [1]. ولذلك يُدغِمُها كثيرٌ من العرب المعاصرين مع (ال) التعريفية.

والذي يترجَّح لديَّ هو القول الأول؛ وسأحاول الإجابة عما استدلَّ به أصحاب القولين الآخرين :

أمَّا القائلون بأن الجيم صوت مركب ؛ فالجواب :

1- أنَّ مصطلح "الصوت المركب" لا يزال محلَّ نظرٍ حتى في بيئته التي نشأ فيها، فعددٌ من علماء الأصوات الغربيين يرفضون الاعتراف بالطبيعة المركبة للأصوات المرموز إليها في الإنكليزية بـ(Ch) أو (j)، ويُفضِّلون النَّظر إليها باعتبارها المقابل الانفجاري للغاري الاحتكاكي المرموز إليه في الإنكليزية بـ(Sh) أو (S) في Measure [2]. وعليه؛ فلا غضاضة في إهمال المتقدِّمين الإشارة إلى الطبيعة المركبة لصوت الجيم [3].

2- التَّركيب في صوت الجيم ليس مقصودًا، وإنما ينتُج بصورة آلية حين يحاول المتكلم قَفل المجرى بإحكام في هذه المنطقة ثم تفجيره؛ فالقُدماء عَدُّوا الصوت انفجاريًّا حين نظروا إلى قَفل المجرى، وعَدَّه المُحدَثون مُركَّبًا حين نظروا إلى

---

(1) علوية، نعيم، بحوث لسانية، لبنان، 1984. ص149.

(2) انظر: باي، ماريو، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الأردن، ط.8، 1998. ص85.

(3) انظر: الحَمَد، غانم قَدُّوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص243.

الصُّويت الذي يسبق النُّطق. وعليه؛ فالجيم ليس صوتًا مُركَّبًا، وإنما هو المقابل الانفجاري المجهور للشين [1].

3- أنَّ المتقدِّمين نَصُّوا على وجود خمسة أصوات جمعوها في عبارة (لِن عمر)؛ هذه الأصوات متوسطة بين حروف الشدة وحروف الرخاوة، لعدم كمال احتباس الصوت وعدم كمال جريه [2]. وجميع تلك الأصوات تشترك في حرية مرور الهواء في المجرى الأنفي، أو المجرى الفموي، دون سَدِّ طريقه، أو عرقلة سَيره بالتَّضييق عند نُقطةٍ ما [3]. ففي صوت اللام يتجنَّب الهواء في مجراه الفَموي المرور بنُقطة السَّد أو التَّضييق، وفي الرَّاء عدم استقرار التضييق، وفي الميم والنون يمر الهواء بالأنف لا بالفم [4]، أما العين فلعدم وضوح الاحتكاك في نُطقها وُضوحًا سمعيًا [5]. فلو كانت الجيم تمتلك خاصية البينية التي ذكرها المتأخِّرون، لتنبَّه لها الأوَّلون، كما تنبَّهوا للأحرف الخمسة المذكورة.

وأمَّا القائلون بأن الجيم الأصلية هي كاف مجهورة، فَيُرَدُّ عليهم من وجوه :

1- عُلماء العربية يُقرِّرون أنَّ مخرج الجيم من وسط اللسان مع ما يليه من وسط الحنك، والجيم القاهرية تخرج من أقصى اللسان، من موضع الكاف، فهما مختلفان. وأمَّا دعوى التَّناقُض في وصف الجيم بالشدة، وجَعل مخرجه من وسط الفم مع الشين [6]، فهي مردودةٌ؛ ذلك أنه ليس في الدِّراسة الصَّوتية ما يَمنع اتِّحاد الحرفين

---

(1) انظر: عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي. ص291-292.

(2) انظر: الجرمي، إبراهيم محمد، معجم علوم القرآن. ص108.

(3) انظر: عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص102.

(4) المرجع السابق. ص87.

(5) المرجع نفسه. ص102.

(6) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية . ص77-83.

مخرجًا، ويكون أحدهما شديدًا والآخر رِخوًا، ذلك أنَّ عُضوَي النُّطق في موضع مُعيَّن، إذا تقاربا حتى يحدِث الهواء المارُّ من بينهما احتكاكًا، كان الصَّوت الصَّادر عنهما رِخوًا، فإذا ازداد تقارُب العُضوين حتى يتَّصلا ثم ينفصلا فجأةً، كان الصوت شديدا [1].

2- قد نُصَّ على أنَّ : «أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها، وذلك: الدال والطاء والتاء، والذال والظاء والثاء، والهاء والهمزة، والميم والنون، وغير ذلك مما تدانت مخارجه» [2]، وقد وقع الإبدال بين الجيم وكُلٍّ من الشين والياء [3]، وذلك يُؤكِّدُ مذهب علماء العربية في اتِّفاق هذه الأحرف في المخرج.

3- بيَّن سيبويه أنَّ إدغام الجيم في الشين ممكِنٌ، وجعل الإدغام والبيان حَسَنَين؛ وعلَّل ذلك بقوله : «لأنهما من مخرج واحد، وهما من حروف وسط اللسان» [4]. وذكر أنَّ الشِّين والياء كلاهما لا تدغم في الجيم، وبَيَّن العِلَّة في ذلك، مما يَدُلُّ على أنه كان ينبغي أن يحدث إدغام على الأصل في قُرب المخرج، إلا أن ما في الشين من تفش، وما في الياء من مَدٍّ ولِينٍ مَنعا ذلك [5].

---

(1) النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص68.

(2) ابن جني، عثمان، سر صناعة الإعراب. ج1ص197.

(3) كما في قولهم: عمي أبو عَلجّ، يريد: أبو علي، وقولهم: شِيَرات في شجَرات. وهو إبدالٌ فاشٍ في مناطق كثيرة من العراق والخليج.

انظر: النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص65.

(4) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص452.

(5) المصدر السابق. ج4ص448،446.

4- الجيم تُشرَب صوت الشين لِقُربها منها واتصالها بها، لذلك ورد عن العرب إبدال الجيم شينا؛ وسواء نطقها شينًا خالصةً كما رجَّحه النُّعَيمي [1]، أو جاء بها جيما مُشربةً كما رجَّحه أحمد الجندي [2]، فالحاصل اختلاط صوت الجيم بالشين، مما يُقوِّي مذهب علماء العربية في وصف مخرجها. وإشراب الجيم صوتَ الشين عند الكثيرين، جعلها تأخذ حكم الشين في الإدغام، كما في بلاد الشام، وأكثر نواحي المغرب، فيُقال في الجمل: أجْمل بجيم شامية مشددة. أمَّا الذين يأتون بها كما وصفت الفصيحة فالذي يبدو أن كونها من مخرج الشين مع وجود أثرها فيها مهما كان قليلا، وهو الاحتكاك الذي يتبع الانفجار، قد أثر في الصوت عند أكثرهم، نستثني من ذلك قُرَّاء القرآن، والحريصين على فصاحة النُّطق [3].

5- ما ذكره فيرث من امتناع تغيُّر صوت الجيم من الفصيحة المعطَّشة إلى الشامية المشربة، غير مُسلَّم؛ فالصَّوت قد يتقدَّم وقد يتأخَّر، وقد يكون مُشرَبًا ثم يُعطَّش، أو قد يكون مُعَطَّشًا ثم يُشرَب، كلُّ ذلك ممكنٌ، ولا دليل على منع أيٍّ من المُمكنات. فالجيم المصرية، وهي كاف مجهورة، كانت جيما فصيحة في الأصل، والفصيحة يُمكِن أن يُقال أنها كانت كافا مجهورة قبل أن يصف علماء العربية أصواتها، شأنها في ذلك شأن اللغات الجزيرية (السامية) الأخرى [4].

---

(1) بناءً على كون الجيم التي كالشين (المُشربة) معروفةً عند علماء العربية، كما ذكره سيبويه، فلا يُتصوَّر أنها تلتبس عليهم في هذا الموضع، فيحسبونها شينًا خالصةً.

انظر : النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص66.

(2) انظر : الجندي، أحمد علم الدين، اللهجات العربية في التراث. ص356.

(3) المرجع السابق. ص68.

(4) المرجع نفسه. ص64.

6- عِلَّة الإدغام في الشمسية وإدخال الشين والضاد فيها، أفصح عنها سيبويه، وتبعه عليها من تلاه من علماء العربية، حيث قال: «ولام المعرفة تُدغَم في ثلاثة عشر حرفاً لا يجوز فيها معهن إلا الإدغام؛ لكثرة لام المعرفة في الكلام، وكثرة موافقتها لهذه الحروف، واللام من طرف اللسان. وهذه الحروف أحد عشر حرفاً، منها حروف طرف اللسان، وحرفان يخالطان طرف اللسان. فلما اجتمع فيها هذا، وكثرتها في الكلام، لم يجُز إلا الإدغام... والأحد عشر حرفاً: النون، والراء، والدال، والتاء، والصاد، الطاء، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال. واللذان خالطاها: الضاد والشين، لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام. والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء» [1]. فالأمر مُرتبِطٌ بقُرب المخرج وكثرة الاستعمال [2].

7- إدغام بعضهم (ال) في الجيم لا يُمكِن أن يدُلَّ على أنَّها كانت تُنطق كافًا مجهورةً؛ فقد أجمعت الدراسات الصوتية القديمة والحديثة على أنَّ الياء والجيم الفصيحة من مخرج واحد، فكِلاهما شَجْرِيَّتان، وإذا كانت الياء قمرية، فالجيم كذلك. أمَّا الشِّين، وهي الحرف الشجري الثالث، الذي كان ينبغي أن يكون قمريا أيضًا، إلا أنَّ تَفشِّيه واستطالة الصوت به حتى وصل إلى مخرج الطاء وهي حرف شمسي، جعله شمسيا [3].

والذي يُمكن قوله هنا : أنَّ الجيم التي وصفها علماء العربية، كما كانت في زمانهم، هي ما نسمعه اليوم من مجيدي القُرَّاء، وهي صوتٌ مجهورٌ شديدٌ من مخرج

---

(1) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص457.

(2) النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص69.

(3) المرجع السابق.

الشين والياء، لا تُدغَم فيه لام التَّعريف، ويكون بهذه الصِّفة حين يُلفظ غير مُشربٍ بصوت الشين، وإن كان لا يخلو من أثره، نتيجة الاحتكاك الذي يتبع الانفجار، وهذا الاحتكاك هو الذي سَهَّل جعلها شمسية، على أنه بالقياس إلى الجيم الشامية لا يكاد يُذكر، إذ هي جيم احتكاكية محضة عندهم [1].

وهذا النُّطق قائمٌ في اليمن وأكثر نواحي العراق [2] والخليج العربي، وفي عدد من البلاد العربية، كما في بعض نواحي المغرب كالرباط مثلا، وفي المناطق الجنوبية منه كما في العيون، ومن يستمع إلى تلاوة المقرئ عبد الحميد احساين، وهو من الجنوب في المغرب يجد الجيم الشديدة غير المُشرَبة، أما غيره من القُرَّاء، فهي عندهم رِخوة مُشرَبةٌ صوت الشين، كما يظهر ذلك أحيانًا في تلاوة الحاج عبد الرحمن بن موسى، وهو من عِلية مُجوِّدي القرآن الكريم في المغرب [3]. فأكثر القُرَّاء في جميع الأرض على الفصحى، إلا المغرب وموريتانيا فأكثرهم يقرؤون القرآن بالجيم المتفشاة، إلا قِلَّةً تقرأ بالجيم الشديدة، وهؤلاء مثل إدوعل، ومن يقلدهم في ذلك، وأهل تكانت والحوض وآدرار، يقرؤون بالجيم الشديدة أيضا [4].

---

(1) انظر: النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص38، 68.

(2) وقد تنبَّه إلى ذلك عبد الرحمن أيوب، وقد درَّس في العراق، حيث قال عن الجيم: «الصوت الصلب الانفجاري المجهور، ويوجد في أول الكلمة العراقية: جيكارة، وأول الكلمة الفصيحة: جمل».

انظر: أيوب، عبد الرحمن، محاضرات في اللغة. ص100.

(3) انظر: النعيمي، حسام سعيد، أصوات العربية بين التحول والثبات. ص38، 62.

(4) انظر: الشّنْقِيطي، أحمد بن الأمين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط. ص514-515.

1 – عند القدامى :

فيما يتَّصِل بالجيم ؛ وهي «تحدُث من حَبسٍ بطرف اللِّسان تام، وبتقريبٍ للجُزء المقدَّم من اللِّسان من سطح الحنك المختلف الأجزاء في النُّتو والانخفاض، مع سعة في ذات اليمين واليسار وإعداد رطوبة، حتى إذا أُطلِق، نفذ الهواء في ذلك المضيق نُفوذًا يُصفِّر لِضيق المسلك، إلا أنه يتشذَّب لاستعراضه، ويُتَمِّم صفيره خلل الأسنان، وينقص من صفيره، ويرده إلى الفرقعة الرطوبة المندفعة فيما بين ذلك متفقعة ثم تتفقأ إلا أنها لا يمتد بها التفقع إلى بعيد ولا يتسع، بل تفقؤها في المكان الذي يطلق فيه الحبس» [1].

فحدوث صوت الجيم ناجمٌ عن حَبسٍ تام بطرف اللِّسان، وبتقريبٍ لمقدِّمته من سطح الحنك الأعلى الرَّطب، واسع الجانبين، وغير متجانِس الأجزاء، فإذا وقع الانفراج، نفذ الهواء في ذلك المضيق مُحدِثا صفيرًا يتوزَّع على مساحة سطح الحنك، ويستمر خلال الأسنان، ثم تتراجع حِدَّتُه ويسحيل فَرقعةً بفِعل الرُّطوبة المندفعة فيما بين ذلك مُتفقِّعةً والتي سُرعان ما تَتفقَّأُ في موضع الانفجار. وهكذا تتوضَّح العلاقة بينها وبين النَّظير الطَّبيعي لصوت الجيم الذي يَنشأ «عن وَقْع الرُّطوبات في الرُّطوبات، مثل قَطرة الماء لها مِقدارٌ، تَقع بقُوَّةٍ على ماءٍ واقفٍ فتغُوص فيه» [2]، كما شرح ابن سينا.

(1) ابن سينا، الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف. ص75.

(2) المصدر السابق. ص93.

2 – عند المحدثين :

يتكوَّن صوت الجيم بأن يندفع الهواء إلى الحنجرة، فيُحرِّك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج، فيرتفع مقدم اللسان في اتجاه الغار، حتى يتصل به محتجزا وراءه الهواء الخارج من الرئتين، فيلتقي وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى التقاء محكما بحيث ينحبس هناك مجرى الهواء، ثم بدل أن ينفصل عنه فجأة، كما في نطق الأصوات الشديدة، يتم هذا الانفصال ببطء [1]، فيعطي الفرصة بعد الانفجار لهواء الرئتين أن يحتك بالعضوين المتباعدين احتكاكا شبيها بما يسمع من صوت الجيم الشامية [j]، ويمكن إيضاح هذا الصوت أيضا بأن فيه عنصرين هما / gj/ [2]. وعلى ذلك تُعدُّ هذه الجيم في الحقيقة : صوت دال مغور، يعقبه صوت شين مجهور [3].

(1) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص70.

(2) عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص104.

(3) انظر: عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة. ص51.

الجيم فونيم مُتميِّزٌ في المنظومة الفونولوجية العربية، أثار اهتمام العرب وكثيرٍ من المستشرقين، وقد بقي هذا الفونيم دون تغيير في اللغة الأكادية (البابلية-الآشورية)، بينما طرأ عليه تغييرٌ على في كُلٍّ من العِبرية والآرامية، وهي من اللُّغات السَّامية الشمالية الغربية؛ فتُنطَق الجيم فيها إمَّا انفجارية (شديدة) كالجيم القاهرية، وإمَّا احتكاكية (رخوة) كالغين العربية، ويحدد ذلك وقوع هذين الصوتين بعد حركة أو عدم وقوعهما. وليس لدينا دليلٌ تاريخي يحدِّد الفترة التي حدث فيها النُّطق الاحتكاكي لهذه الأصوات الانفجارية. أمَّا بالنسبة لصوت الجيم، كما تعرفه العربية الفصحى؛ فهو صوت غاري مجهور، وهو بهذا الوصف ليس امتدادا لصوت سامي قديم، بل ثمرة تطورات في العربية وحدها، فلا تعرف أية لغة سامية صوت الجيم الموجود في العربية الفصحى [1].

وقد وقع الجيم مُبدَلا من أزيد من عشرين صوتا؛ هي : الحاء والخاء والدال والراء والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والنون والهاء والياء [2].

(1) انظر : صفية، وحيد، أشكال التبدلات الصوتية في اللغات السامية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، سورية، 2009. م31 ع1 ص58-60.

(2) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1 ص205.

1 – إبدال الجيم شينا :

الجيم والشين شَجْرِيتان متجانستان، اتفقتا مخرجا واختلفتا صفة، وبهذا التَّقارُب سَهُل التَّعاقُب. وقد تحدَّث سيبويه عن فَرعين لِصوت الجيم [1]؛ هما : الجيم التي كالشِّين، والشِّين التي كالجيم.

أ/ الشين التي كالجيم: وهي الشين التي يَقِلُّ تفشِّيها واستطالتها، وتتراجع قليلا مُتصعِّدةً نحو الجيم [2]. وهي فرعٌ مُستحسنٌ عَن الجِيم الخَالِصَة [3]؛ لم يُقرأ به في المشهور، وهي كقولك في "أَشْدَقُ": "أَجْدَقُ"؛ قرَّبوا الشين من لفظ الجيم، مع أنَّ الشين مهموسٌ رِخوٌ، وذلك لكون مخرجهما واحدًا، مع موافقة الجيم للدَّال في الشدة والجهر [4].

ب/ الجيم التي كالشِّين : هو المقابل المجهور للشين؛ فرعٌ مُستهجَنٌ [5]، نحو قولهم في "اجتمعوا"، و"الأجدر": "اشتمعوا"، و"الأشدر"، ويُفهم مما ذكره سيبويه أنَّ هذه الجيم بين الزاي والشين، أي : أنها مجهورة كالزاي، ومخرجها من الغار كما في الشين [6]. وبذلك فهذا الألوفون صوتٌ غاري، مخرجه وسط الحنك، وهو بذلك قد انحرف من وسط اللِّسان إلى طرفه مُتقدِّمًا إلى الأمام. وهو رِخوٌ (احتكاكي) مجهورٌ مُنفَتحٌ، فهو جيمٌ ضعُفت قُوَّته، يتدفَّق الهواء معه حال نُطقه،

---

(1) وهذان الفرعان مختلفان، خلافا لمن عدَّهما وجهان لعملة واحدة.

انظر مثلا : الأستراباذي، حسن بن محمد، شرح شافية ابن الحاجب. ج2ص922.

(2) ابن جني، عثمان، سر صناعة الإعراب. ج1ص64.

(3) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. ج3ص492.

(4) انظر: الأستراباذي، حسن بن محمد، شرح شافية ابن الحاجب. ج2ص920.

(5) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص432.

(6) المصدر السابق. ج4ص479.

فيخرج ممزوجا بصوت الشين، شبيهًا بصوت /J/ الفرنسية. يُنطَق برفع مقدمة اللسان تجاه الغار ورفع الطبق ليسد المجرى الأنفي بالتصاقه بالجدار الخلفي للحلق مع تذبذب في الوترين الصوتيين [1].

وأكثر ما يوجد هذا الألوفون في الجيم إذا شُدِّدَت [2] أو سُكِّنت ووَلِيَها بعض المهموسات [3] أو جاء بعدها دالٌ، فبسبب اجتماع الشَّدِيدَين «ربما مال الطَّبع إلى السَّلاسة واللِّين، فيُشرَب الجيم ما يُقارِبه في المخرج، وهو الشين» [4]. فتقرُب الجيم من الشين، لأنّهما من مخرج واحد، إلَّا أنّ الشِّين أبيَنُ وأفشى [5]. وإنما استُحِسنَت الشين التي كالجيم لأنه كُرِه فيها الجمعُ بين الشين والدَّال لِما بينهما من التَّبايُن، فَعُدِل بالشين إلى الجيم، وهذا حسنٌ. واستُضعِفت الجيم التي كالشِّين، لأنه ليس بين الجيم والدَّال من التَّنافي والتَّباعُد ما بين الشِّين والدَّال، إذ كانت الجيم مُقدَّمةً، فلا داعي إذن إلى العدول عن الجيم إلى الشين [6].

والجيم التي كالشين يُنسَب النُّطق بها إلى قبيلة تميم، فهي الجيم التميمية أو الوسرية [7]، وقد جاء في الشعر والنثر ما يَدُلُّ عليها ؛ يقول الجوهري: «وأَشاءَه لُغةٌ

(1) عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة. ص50.

(2) انظر: ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر. ج1ص217.

(3) المصدر السابق.

(4) الإستراباذي الرضي، محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب. ج3ص256.

(5) ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج5ص521.

(6) المصدر السابق.

(7) السحيمي، سلمان بن سالم، إبدال الحروف في اللهجات العربية. ص283.

في أَجاءَه، أي أَلجأَه. وتميمٌ تقول: شر ما يشيئك إلى مخة عرقوب، بمعنى: يجيئك»[1]، ويقول الراجز :

..... إِذْ ذَاكَ إِذْ حَبلُ الوِصَالِ مُدمَشُ

مدمش أي مدمج؛ فالشين بدَلٌ من الجيم[2].

ومن أدلة هذه الجيم في المعجم القديم: جَمَخ بأنفه وشمخ به: إذا تاه وتكبر، رعج الرجل ورعش: أخذته الرِّعدة، أرَّج على القوم وأرَّش عليهم: إذا حمل عليهم ووشى بهم، اجتفَّ ما في الإناء واشتفَّه : أي شَرِبه كُلَّه، نفج ونفش : إذا انتفخ، جهر بالشيء وشهر به: أعلنه وكشفه، الهيج والهيش: الفتنة والاضطراب، الهجْم والهشم: القدحُ، ومنزل شاسع وجاسع: بعيد، المجدوه والمشدوه : الفَزِع، يُقال : لا آتيك ما سمر ابنا سمير وما جمر ابنا جمير: يريدون اللَّيل والنَّهار، الأجاءة والأشاءة: الاضطرار، المجارزة والمشارزة : الكلام الذي تنازع فيه صاحبك ولم يستحكِم، الجناجن والشناشن: رؤوس عظام الصدر[3].

ولا تزال هذه الجيم منتشرة في مناطق متعددة ومتفرقة من العالم العربي؛ في جنوب اليمن في منطقة باقم وما جاورها من فيفا وبني مالك، وفي أنحاء من عُمان، وفي سلسلة جبال السروات وساحل البحر الأحمر في السعودية حيث النَّاطِقون بالكشكشة، وفي منطقة الأهواز والمستنقعات في العمارة والناصرية من الأراضي

(1) الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية. ج1 ص59.

(2) ابن جني، عثمان، سر صناعة الإعراب. ج1 ص217.

(3) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1 ص227-228.

العراقية، وفي سوريا ولبنان وأجزاء من فلسطين [1]، كما تشيع على ألسنة الفلاحين في ريف مصر شمالًا وجنوبًا [2]، وفي بلاد المغرب العربي [3] وموريتانيا [4].

2- إبدال الجيم ياء :

الجيم والياء شجريان كلاهما، ويشتركان في الجهر والانفتاح والاستفال؛ لذلك تجعل العرب الياء مكان الجيم، والجيم مكان الياء، لأنَّ مخرجهما من شَجْر الفم [5]. ومن دلائل هذا الإبدال قراءة ﴿ولا تقربا هذه الشِّيَرَة﴾ [البقرة: 35] بدلا من ﴿هذه الشَّجَرَة﴾ ، قال أبو حيان : «كرِه أبو عمرو هذه القراءة، وقال: يقرأ بها برابر مكة وسودانها؛ وينبغي أن لا يكرهها لأنها لغةٌ منقولة فيها» [6]. وتُنسَب هذه اللهجة إلى بني تميم، يقولون في صهريج: صهري، ويجمعونها على صهاري بدلا من صهاريج [7]، ومن هذا الباب ما نُقِل عن ناسٍ من بني سعدٍ أنهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف لأنها خفية، فأبدلوا من موضعها أَبيَن الحروف، وذلك قولهم: هذا تميمج، يريدون: تميميٌّ، وهذا عَلِجٌّ، يريدون: عليٌّ [8].

---

(1) عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص129، 132.

(2) عمر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. ص55.

(3) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص79، 82.

(4) انظر : الشّنْقِيطي، أحمد بن الأمين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط. ص514.

(5) انظر : ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب. ج12ص262.

(6) انظر : النحوي أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير. ج1ص158.

(7) انظر : اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1ص261.

(8) انظر : سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص182.

وذكر أبو حاتم أنه سأل أم الهيثم، إحدى الأعرابيات الفصيحات اللائي أخذت عنهن اللغة: هل تُبدِل العرب الجيمَ ياءً في شيء من الكلام ؟ فقالت : نعم، ثم أنشدته :

إِذَا لم يَكُنْ فِيكُنَّ ظِلٌّ ولا جَنًى فَأَبعدَكُنَّ الله مِـن شَيَـراتِ» [1]

وقد استهوت هذه الظاهرة الكثير من المستشرقين، فخصوها بالدراسة الميدانية انطلاقا من بدايات القرن الماضي. وقد وُثِّقت هذه الظاهرة توثيقًا يكفي للتَّدليل على وقوعها في لهجات جنوبي شبه الجزيرة العربية وشمالها، وأصبحت الصفة المميزة لها؛ فنجدها في دول الخليج العربي عمومًا، وفي قُرى العراق الجنوبية يقولون في "دجاجة": (دياية)، وفي "شجرة": (شَيَرَةٌ)، وفي "جبن": (يُبن)، وفي حَضرَموت وظِفار من أرض اليمن، يُقال في "رِجال": (رِيال)، وفي السَّاحل العماني، يُقال : "وايد" في (واجد)، وفي لهجة خور فكان "ياب" في (جاب)، وتكثر في العامية السودانية، يقولون "مسيد" في (مسجد)، وقالوا في (مجدي) "مُيدي"، كما نجدها في السعودية : في حُوطَة بني تميم، وفي عسير لدى بني شهر، وفي المنطقة الشرقية على طول امتداد سواحل المملكة على الخليج العربي وفي الأحساء [2]. وإبدال الجيم ياء غير محصور في مجموعة واحدة من اللهجات، ولا خاضع لظروف موقعية، ولا مشروط بالسياق الصوتي، ولا ملازم لكل الكلمات الشائعة، ومن ثم نجد في البوريمي ذاتها، تُنطق كلمة (حُجْرة) بالجيم لا بالياء.

(1) انظر : اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1 ص261.

(2) مطر، عبد العزيز، الأصالة العربية في لهجات الخليج. ص137.

3- إبدال الجيم دالا :

الدال نِطعية مجهورة، تباعدت من الجيم مخرجا وتقاربت صفة، وذلك لا يمنع التعاقب بينهما. ومما حفظه المعجم القديم : الهَجْم لُغةٌ في الهَدْم، المُسَرهَج والمُسَرهَد: الحسن الغذاء، الجِعظاية والدِّعظاية من الرجال: القصير، الجُعبوبُ والدُّعبوبُ: القصير الدميم، رجلٌ جُباجِبٌ ودُبادِبٌ : إذا كان كثير الشر والجَلَبَة، امرأةٌ رَجاحٌ ورداحٌ : إذا كانت ثقيلة الأوراك، الإِجْل والإِدْل: وجعٌ في العُنق، والبَلجَة والبَلدَة: البياض الذي بين الحاجبين، ويُقال: ذاك من جَحَسِ فُلان ومن دَحَسِه : أي من مَكره ودهائه، نجَشتُ عن الأمر ونَدَشت عنه : إذا بحثت عنه، حَمَل فَلانٌ على عَسكر بني فُلان، فجاسهم وداسهم: أي وطِئهم ودقَّهم [1]، أسجَف الليل وأسدَف: إذا أظلم [2].

وهنا ؛ إمَّا أن تتقدَّم الجيم صَوب طرف اللِّسان، وتحتفظ ببعض خصائصها، فتخرج مخلوطَةً بدالٍ، فتكون (أدْج) بَدلا من (أجْ)، وإمَّا أن تتحوَّل إلى دالٍ خالصةٍ؛ ونجد للصورتين حضورا في العاميات العربية؛ في شبه الجزيرة العربية وشمال الجزائر، وفي الصعيد المصري، حيث يقال في (جاموسة) : "داموسة" و"درداء" في (جرجاء) وهي مدينة في أقصى الصعيد، وفي العامية السودانية حيث يقال "شدرةٌ" في (شجرة) و"دَيش" في (جيش).

4- إبدال الجيم كافا :

الجيم شجرية والكاف لهوية، تباعدتا مخرجا وتقاربتا صفة؛ وهنا الجيم قد تأخَّر مخرجه إلى قريب من مخرج الكاف، فغدا حنكيا قصيا، وبذلك يكون مخرجها ومخرج

---

(1) انظر : اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1 ص216-219.

(2) انظر : ابن فارس، أحمد بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة. ج3 ص136.

القاف الطبقية واحدا، فالقاف تقدَّم مخرجها إلى الطبق، والجيم تأخر مخرجها إلى الوراء إلى الطبق، فنتج عن ذلك الجيم الطبقي الذي يجمع بين الجيم والقاف بتأخُّر الأول وتَقدُّم الثاني [1].

وهذا الألوفون ذكره ابن سينا ضمن أربعة حروف تُشبه الجيم، وعرَّفه بأنه: «الحرف الذي يُنطَق به في أول اسم البئر بالفارسية، وهو (چاه)، وهذه الجيم يفعلها إطباقٌ من طرف اللِّسان أَكثرُ وأَشدُّ، وضغطٌ للهواء عند القلع أقوى. ونِسبة الجيم العربية إلى هذه الجيم، هي نِسبة الكاف غير العربية إلى الكاف العربية» [2]. فهي جيمٌ شديدٌ خالص الشّدة، أَشدُّ من الكاف لكون انفصال العضوين فيه فُجائيا [3]؛ يَنطقه بعضهم ممزوجا بالكاف، أو هو كاف مجهورةٌ، شبيهةٌ بالصّوت الإنجليزي (G) [4]، ويُرمَز له بالرمز [گ].

وتُعرَف هذه الجيم بين المحدثين والجيم اليَمنية والجيم القاهرية، ويَنعتها بعضهم بالجيم الطبقية بالجيم غير المعطشة وآخرون بالمعطشة، وذلك لاختلافهم في مفهوم التعطيش. أمَّا سيبويه فسمَّاها "الجيم التي كالكاف"، و ذكرها ضمن حروفٍ «غير مُستحسَنةٍ ولا كثيرةٍ في لُغة من تُرتضَى عربيته، ولا تُستحسَن في قراءة القرآن ولا في الشِّعر» [5]، غير أنه لم يُورِد لها مثالا. ويذكر ابن دُرَيد الْحَرْف الَّذِي بَين الْقَاف وَالْكَاف وَالْجِيم وَالْكَاف، ويقول: «هِي لُغَةٌ سائرةٌ فِي الْيمن مثل (جمل) إِذا اضطروا

(1) السحيمي، سلمان بن سالم، إبدال الحروف في اللهجات العربية. ص292.

(2) ابن سينا، الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف. ص74.

(3) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص71.

(4) انظر : عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص104.

(5) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص432.

قَالُوا: "كَمَل"، بَين الجِيم وَالْكَاف» [1]، وهو بهذا يجعل هذه الجيم أختًا للجيم القاهرية ومطابقة لها تمامًا [2].

وهذا الألوفون شائعٌ في مُعظم اللَّهجات السَّامية، حيث يظهر الجيم صوتا طبقيا مجهورا؛ فكلمة جمل تكون في اللغة العبرية (gāmāl)، وفي الآرامية (gāmla)، وفي الحبشية (gamal) [3]. لذا رجَّح البعض أنها هي الجيم الأصلية في اللِّسان العربي وأنَّ النُّطق الشائع هو الفرع، وقد ناقشنا هذا الطَّرح فيما تقدَّم.

وهذه الجيم كانت فاشية في أهل البحرين [4]، ومَثَّل لها الأستراباذي بقولهم "رَكُل" (ragul) في (رجل)، وقال عنها : «وهي كثيرةٌ في عَوامِّ أهل بغداد، وهي مَردودةٌ رَديئةٌ» [5]؛ لكونها شبيهةً باللُّثْغة [6]. وكانت هذه الجيم حاضرةً أيضًا في المدينة النبوية ؛ ففي حديث جابر رضي الله عنه : «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يَنهى أن يقعُد على القبر، وأن يُقصَّص عليه، أو يُبنى عليه» [7]، وعنه أيضا : «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُجصَّص القبر، وأن يُقعَد عليه، وأن يُبنى عليه» [8]. فرُوِي الحديث بالوجهين بالجيم والقاف، وجابر أنصاري، والأنصار

---

(1) ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة. ج1ص42.

(2) عمر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. ص55.

(3) انظر: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي. ص18.

(4) انظر: الإستراباذي الرضي، محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب. ج3ص257.

(5) الأستراباذي، حسن بن محمد، شرح شافية ابن الحاجب. ج1ص130.

(6) ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج5ص521.

(7) رواه : أبو داود (برقم3225)، وأحمد (برقم 14148) بسند صحيح عن جابر.

(8) رواه : مسلم (برقم 970) من حديث جابر.

أصولهم يمنية، والجيم اليمنية بين الجيم والقاف، ولفظة (القص) وردت في البابلية الآشورية كصو (Gassu) [1]، وفيها تُنطَق الجيم جيما قاهرية.

وهذه الجيم لما لم يكن لها رَمزٌ، كُتِبَت تارة قافا وأخرى كافا؛ فلها حضور في الكلمات المبدلة من القاف جيما، ومن الجيم قافا، ومن الجيم كافا، ومن الكاف جيما؛ وقد ذكرت بعضًا من المجموعة الأولى، وسأذكر طائفة من المجموعة الثانية، وأجمع ما في المجموعتين الأخيرتين، فأذكر بعضه هنا.

فمن ذلك: العَبَكة والعَبَجة: الرجل البغيض، رجلٌ أهوج وأهوك : الذي لا يعي ما يقول، لبنٌ عُجَلِطٌ وعُكَلِطٌ : الخاثر الغليظ، بعيرٌ مُجْلَند ومُكْلَند : إذا كان شديدا قويا، ريحٌ سَيهوجٌ و سَيهوكٌ : شديدة القَشر لوجه الأرض، الجَذَّان والكَتَّان: حجارة رِخوة، الزِّمِكَّاء والزِّمِجَّاء : منبت ذَنَب الطائر، الجُنَّة والكُنَّة : كل ما وقاك البرد من الثياب، والسِّلجان والسِّلكان : أولاد الحَجَل، والكُفُرَّى والجُفُرَّى: طلعُ فُحَّال النَّخل، أصابه جهد وكهدٌ: التعب والإعياء، ارتجَّ وارتكَّ بمعنى واحد، ويُقال : أخذه في بطنه سَكٌّ وسجٌّ : إذا لان بطنه، ويُقال : لـمَّجوا ضيفهم ولـمَّكوه: إذا قدموا إليه طعاما يشغلونه به حتى يلحق طعامهم، اجْتَفَّ المال واكْتفَّه : اجترَفه واستَحَبه أجمع، وطعنه فجوَّره وكوَّره: إذا صرعه، يقال : زَمَكت فلانا عَلَيَّ وزمجته : حرَّشته، جعَم البعير وكَعمه : إذا جعل على فيه ما يمنعه من الأكل، ويُقال : لُجتَ الشيء ولُكتَه : إذا أدَرتَه في فيك، جفأ البُرمة في القصعة : كفأها، وأوكى علي وأوجى : بخل عَلَيَّ [2].

---

(1) والتي هي الأصل لما ورد في اللغات السامية واللغات الإغريقية واللاتينية .

انظر: باقر، طه، من تراثنا اللغوي القديم. ص72.

(2) انظر : اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1ص246.

ورغم انعدام وجودها في العربية الفصحى، فإنها حاضرةٌ صوتياً في أغلب اللهجات العربية الدارجة اليوم؛ فهي تنتشر في اليمن: في تعز والحجرية ، وفي عدن، وفي منطقة تطوان المغربية، وفي لهجة القاهرة والوجه البحري من مصر [1].

5- إبدال الجيم قافا :

القاف لهوية مجهورةٌ، والجيم شجرية مجهورة تباعدتا مخرجا وتقاربتا صفة. والجيم هنا إما أن تُبدَل قافا خالصة أو كافا مجهورة، وبذلك يتداخل هذا الباب مع سابقه، وهذا ما يُفسِّر كثرة الكلمات الواردة فيه.

وقد دلَّ المعجم القديم على وجود هذه الجيم المُبدَلة قافا؛ فمن ذلك : الجعف والقعف: قلع الشيء من أصله، ملج وملق: رضع، جف وقف : يبس، وَجَبت الشمس ووَقَبت: غابت، أَحنَج الفرس وأحنق : إذا ضَمُرَ، وزَرَجته بالرُّمح وزَرَقته به : إذا طعنته به طعنا سريعا، عَزَج الأرض وعَزَقها: قَلَبها بالمِسحاة، دَمَج على القوم ودَمَق: هجم عليهم، تلجَّفت البئر وتلقَّفت : إذا أكل الماء جوانبها، جصَّص الدار وقصَّها : إذا طلاها بالجَصِّ، وزلَّجت الموضع وزلَّقته: ملَّستُه، يُقال : إنه لَحَسنُ الجِسم وحسنُ القِسم، ويُقال: فُلانٌ من جِنسك وَقِنسك، والقاه بمنزلة الجاه، والجَريث والقريث : ضرب من السمك، العَوهَق والعَوهَج: طويل العُنق، والهزق والهزج: شدة صوت الرعد، والجُرجُبان والقُرقُبان: الواسع الصدر، البعق والبعج: شق الشيء وفتحه، والحوجلة والحوقلة : القارورة، القلم والجَلم سِيَّان، البوائِج والبوائق : الشَّدائد والدَّواهي، والجِرْجِس والقِرقِس: دُوَيبةٌ تطير، وطينٌ يُختَم به أسود، الزِّنجيرة والزِّنقيرة : القِطعة من قُلامة الظفر [2].

---

(1) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص77.

(2) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1ص239-245.

6- إبدال الجيم حاء :

الجيم شجرية مجهورة، والحاء حلقية مهموسة؛ تباعدتا مخرجا وصفة، وهذا من مسوغات الإبدال. وهو كثير الوقوع؛ ومنها : جَمِئ وحَمِئ : إذا غضب، اجتَسَّ الخبر واحتسَّه ؛ إذا بحث عنه، ويُقال الحواس والجواس الخمس، وأجَمَّ الأمر وأحَمَّ: إذا حان وقته [1]، ورجلٌ مُحضارَفٌ ومُجارَفٌ: الذي قد ضُيِّق عليه رِزقُه، الجَوثاء والحَوثاء: عِرق في الكبد، فشح وفشج : إذا فرَّج بين رجليه، ويُقال : حلق رأسه وجلقه ، وزرَجه بالرمح وزَرحه : إذا زجَّه به ، جَفَأت به الأرض وحَفَأتها به: إذا صرعته وضربت به الأرض، رجِمٌ جذَّاءٌ وحذَّاءٌ : وذلك إذا لم توصَل، اجفاظَّت الجيفة واحفاظَّت: إذا انتفخت، رجل جَميز الفؤاد وحميزه: ذكِيُّه، الجَرنفش والحرنفش : الجافي الغليظ، دعاهم الحَفلى والجفلى: أي بجماعتهم، وما في الدار دِبِّيج ودِبِّيحٌ: أحدٌ، ويوم وَجيمٌ وحيم: شديد الحر، والجليت والحليت : الجليد، رَجُلٌ نَبَّاجٌ ونَبَّاحٌ : شَدِيد الصَّوْت [2].

7- إبدال الجيم خاء :

الخاء حلقية مهموسة تباعدت من الجيم مخرجا وصفة، وهو من مسوغات الإبدال. انفضَجَت البِطِّيخة وانفضخت : تشدَّخت، والجَلع والخَلع واحدٌ، وجذَم الشيء وخذمه : إذا قطعه، زرجه بالرمح وزرخه : طعنه به طعنا سريعا، جَفَأه وخَفَأه : إذا صرعه، رجل نَفَّاجٌ ونفَّاخٌ : إذا كان صاحب فخر وكِبرٍ، وانجزع الحبل انخزع: انقطع من نصفه، والمِنجاب والمنحاب : الضعيف، المُجرنشِم والمحرنشم: المجتمع المتقبض، الزَّلجان والزَّلخان، وانتجبت الشيء وانتخبته : إذا اخترته، انتخع

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين. ج6ص5.

(2) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1ص205.

فلان عن أرضه كانتجع : إذا بعد عنها طلبا للكلأ، جشَّه بالعصا وخشَّه : إذا ضربه بها، الجفجفة والخفخفة : صوت الثوب الجديد وحركة القرطاس، ورجل أصلج أصلخ : وهو الأصمُّ، بالجيم لغة لأعراب قيس وتميم، وبالخاء لغة لبني أسد ومن جاورهم [1].

8- إبدال الجيم راء :

الرَّاء ذلقية، تباعدت من الجيم مخرجا وصفة، وذلك من مسوغات الإبدال. ومما جاء في هذا الباب : هو حجٍ بذلك وحرٍ به : إذا كان جديرا به، ضجَّعت الشمس للغروب وضرَّعت : إذا دنت للغروب، رجل سجْحُ الخلق وسَرْح الخلق: إذا كان سهل الأخلاق، زججته بالرمح وزرجته به : إذا طعنته به طعنا مختلَسًا، الانفجاج والانفراج واحد، الموج والمور : الاضطراب، السَّماج والسَّمار : اللبن الممذوق الذي أُكثِر ماؤه، دَمَر على القوم ودمج عليهم : هجم عليهم [2].

9- إبدال الجيم طاء :

الجيم شجرية والطاء نطعية تباعدتا مخرجا، واشتركتا في الجهر والشدة. ومما جاء في القاموس : بجَّ الجُرح وبطَّه : إذا شقَّه، وبطبطت البطة وبجبجت: إذا صوَّتت، الآجام والآطام : كل بيت مُربَّع، جوار الدار وطوارها : ما أطاف بها من نواحيها، لُبِج بالرجل ولُبِط به : أي صُرِع، الشَّجير والشَّطير: الغريب، البرجمة والبرطمة : غلظ الكلام، تأجَّم وتأطَّم: غَضِب، الحبَج والحبَط: انتفاخ بطون الأنعام عن أكل العَرفَج، ماء خمجرير وخمطرير: مالح أو مر [3].

---

(1) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1 ص213.

(2) المصدر السابق. ج1 ص220.

(3) المصدر نفسه. ج1 ص233.

10- إبدال الجيم لاما :

الجيم شجرية واللام ذلقية، اشتركتا في الجهر والانفتاح والاستفال. ومما جاء في القاموس القديم: ثجيج الماء وثليله : صوتُه، وزجَجته بالرمح وزجلته: إذا طعنته طعنا سريعا، ويُقال : قوم هَمَجٌ وَهَمَلٌ ، وهم الذين لا نِظام لهم ولا عُقول، ماج عن الحق ومال عنه، كلاهما بمعنى واحد، يُقال للفطن : هو ابن بلدتها وابن بجدتها، جَرَنت يده على العمل ومَرَنت عليه : إذا استمرَّت عليه، السَّجاج والسَّماج : اللبن الممزوج بالماء الكثير، الرَّجراجة والرَّمرامة : الجارية السَّمينة، الرَّهْج والرَّهْل: السَّحاب الرقيق كأنه غُبارٌ، أزعجه من مكانه وأزعله [1].

11- إبدال الجيم زايا :

الجيم شجرية والزاي أَسَلِيَّةٌ قريبةٌ منها، يقول أبو الهَيثم: «العرب تجْعَل الجِيم مَكَان الزَّاي؛ لِأَن مخرجهما من شَجْرِ الْفَم» [2]، وقد اشتركتا في الجهر والاستفال والانفتاح، وهذا يُسوِّغ الإبدال بينهما. وقد ذكروا الجيم التي كالزاي في المستهجنات من فروع الأصوات العربية، ومَثَّل لها الأستراباذي بقولهم : اخْرُزْ في: اخْرُجْ [3]. وأورد ابن سينا في معرض حديثه عن الحروف الشبيهة بالجيم أصوتا ثلاثة، توجد في لغات أخرى غير العربية والفارسية، وكُلُّها ألوفونات للجيم تنحو باتجاه صوت من الأصوات الصفيرية الثلاثة؛ فتارة تضرب إلى شبه السين أو الصاد، بأن يُسرَّب الهواء في خلل الأسنان من غير تعريضه لاهتزاز رُطوبةٍ قُدَّامَه، وأما الزَّائية فعند

(1) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1ص253.

(2) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة. ج10ص333.

(3) الأستراباذي، حسن بن محمد، شرح شافية ابن الحاجب. ج2ص924.

تعريضه لذلك وترك إلجائه إلى أضيق المخارج، ثم تفترق الصادية من السينية بالإطباق [1].

ومما جاء في هذا الباب : مضى هجيعٌ من الليل وهزيعٌ منه : أي قطعة منه، والهِجَف والهِزَف: الظليم، جمخ بأنفه وزمخ به : إذا تكبر وتاه، زقَّ الطائر بذَرْقه وجقَّ به : أي رمى به، أجمعت المسير وأزمعته : إذا عزمت عليه، جرم وزرم: قطع، قام القوم بأَجْفلتهم وأزفلتهم : أي بأجمعهم، لِحِج الشيء ولِحِز : ضاق، العجوف والعزوف معناهما واحدٌ [2].

12- إبدال الجيم سينا :

الجيم شجرية والسين أسلية، ولولا الهمس الذي فيها لكانت زاياً، فاختلافهما في السمع هو بالجهر الهمس [3]، وبذلك فليست بعيدة عن أختها الزاي التي وقع الإبدال بينها وبين الجيم. ومما ورد بالجيم والسين : الجناجن والسناسن : رؤوس عظام الصدر، ماء آجنٌ وآسِنٌ : أي مُتغيِّرٌ، والنجل النسل معناهما واحدٌ [4].

13- إبدال الجيم صادا :

الجيم شجرية والصاد أسلية، فهما مع تقاربهما مخرجا متباعدان صفة. ومما ورد بالجيم والصاد: رجل مُصَلصِل ومجلجِل: إذا كان خالص النَّسَب، جَرمْت النخلة وصَرمْتها : إذا قطعت ثمرها [5].

---

(1) ابن سينا، الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف. ص74.

(2) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1ص223.

(3) انظر : ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد. ص127.

(4) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1ص225.

(5) المصدر السابق. ج1ص230.

14- إبدال الجيم ضادا :

الجيم والضاد شجريتان كلاهما، ويشتركان في الجهر؛ وقد وردت كلمات متحدة المعنى بالجيم والضاد معا؛ فمن ذلك : رجلٌ مُجَرَّس مُضَرَّس : مُجَرَّب، مِخجَت البئر بالدِّلاء ومِخِضَت : إذا رُدِّدت الدِّلاء عليها حتى تُنزَح، وَجَف البعير ووَضَف إذا أسرع [1].

15- إبدال الجيم غينا :

الجيم شجرية والغين حلقية، تباعدا مخرجا لكنهما تقاربا صفة في الجهر والانفتاح، وهذا الإبدال له حضور في غير العربية، ففي العبرية تُقلَب الجيم غينًا أيضًا. ومما حفظه لنا القاموس القديم : سألته عن كذا وكذا، فمَجمَج كلامه ومغمغه إذا خلط كلامه ولم يُبَيِّنه [2].

16- إبدال الجيم عينا :

الجيم والعين؛ تباعدتا مخرجا، وتقاربتا بالجهر والانفتاح والاستفال. ومما وقع في هذا الباب : مرَّ هزيجٌ من الليل وهزيعٌ منه : أي قِطعةٌ منه، الجَذر والعذر: القطع، وبعير عُراهِم وجُراهِم : ضخم، الأصلج والأصلع بمعنى واحد [3].

17- إبدال الجيم ظاء :

الجيم شجرية والظاء لِثوية، تقاربتا مخرجا، واشتركتا في الجهر. ومن هذا الباب: التلمُّج والتلمُّظ : أَخْذُ الآكل بلسانه بقِيَّة الطعام في فمه، ظرى بطنه وجرى : إذا لم يتمالك شيئا [1].

---

(1) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1 ص232.

(2) المصدر السابق. ج1 ص238.

(3) المصدر نفسه. ج1 ص236.

18- إبدال الجيم فاء :

الجيم شجرية والفاء شفهية، تقاربتا مخرجا، واشتركتا في التفشي والانفتاح والاستفال، وذلك يسمحَ بالإبدال. ومن هذا الباب: جادَ فلانٌ وفادَ : أي مار، السُّلَج والسُّلَف : ولد الحَجَل، المُسَرهَج والمُسَرهَف : الحسن الغذاء [2].

19- إبدال الجيم ميما :

الجيم شجرية والميم شفوية، تقاربتا مخرجا، واشتركتا في الجهر والانفتاح والاستفال، فتأتَّى الإبدال. ومن هذا الباب : تأجَّجت النار وتأجَّمت : ذكَت، والجَرَج والمَرَج: جَوَلان الخاتم في الإصبع لِسَعَته، والأجرد والأمرد من الإنسان : مَن لا شعر له ولم تنبت لحيته، أهجل الإبل وأهملها سواءٌ ، السَّمار والسَّجاج : وهو الذي ثُلثاه ماء وثُلثٌ لبن [3].

20- إبدال الجيم نونا :

الجيم شجرية والنون ذلقية، تقاربتا مخرجا، واشتركتا في الجهر والانفتاح والاستفال، فتأتَّى الإبدال. ومن هذا الباب : اللُّهجة واللُّهنة : ما يُتَعلَّل به قبل الغداء، استَوثَج من الماء واستوثن: إذا أكثر، الأجاجير والأناجير : السُّطوح، الجِرن والجِرم : الجسم [4].

---

(1) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1ص235.

(2) المصدر السابق. ج1ص238.

(3) المصدر نفسه. ج1ص254.

(4) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1ص255.

21- إبدال الجيم هاء :

الجيم شجرية والهاء حلقية، تباعدتا مخرجا، واشتركتا في الانفتاح والاستفال، فلم يَصعُب الإبدال. ومن هذا الباب: وقولهم : هَمهام ! وجَمجَام ! أي: لم يبق شيءٌ، والعُرجون العُرهون سواءٌ، داجنه وداهنه بمعنى متشابه، حمل فلانٌ على عسكر بني فلان فجاسهم وهاسهم : أي وَطِئهم ودقَّهم [1].

(1) المصدر السابق. ج1 ص256.

صوت الجيم ؛ إمَّا أنْ يُدغَم هو في ما بعده، وإمَّا أنْ يُدغَم فيه ما قبله، وسأبحث الحالتين معًا.

1- ما تُدغم فيه الجيم :

أ/ الجيم : الجيم تُدغَم في مثلها، نحو: "أَخْرِج جَّمَلَك"، ولا إشكالَ في ذلك لاتّحاد المخرج ، وعدم ما يمنع من ذلك ، ولم يلتق في القرآن جيمان [1].

ب/ السين والشين: كقولك أخرج سالما، وقوله تعالى ﴿أخرج شطأه﴾ [الفتح: 29]، ويقول سيبويه عن الشين والجيم: «الإدغام والبيان حسنان لأنهما من مخرج واحد، وهما من حروف وسط اللسان» [2]. ويتم الإدغام في هذا الموضع بفَقد الجيم جهرها، ثم تزداد رخاوتها، وبذلك تماثل الشين في المخرج والهمس والرخاوة [3].

ج/ التاء: كما في ﴿ذِي المَعارِج * تَّعرُجُ﴾ [المعارج: 3-4]، رَوى اليزيديُّ عن أبي عمرو الإدغام هنا. والجيم وإن لم تُقارِب التاء، فإنها أختُ الشين في المخرج، والشينُ فيها تَفَشٍّ يصل إلى مخرج التاء؛ فلذلك ساغ إدغامُها فيها [4]. وهنا تهمَس الجيم أولا لتُواطِئ التاء، ثم ينتقل مخرجها نحو الثنايا، مع انحباس النفس انحباسا

(1) ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج5ص537.

(2) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص452.

(3) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص125.

(4) ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج5ص537.

كاملا لتصبح في شدة التاء، وهكذا يتم الإدغام [1]. وسيبويه لم يَذكُر إدغامها إِلَّا في الشين خاصَّة ، فينبغي أن يُحمل ذلك على إِخفاء الحركة [2].

2- ما يُدغَم في الجيم :

تُدغَم في الجيم ستّة أحرف من غير مخرجها؛ وهي: الطاء، والدال، والتاء، والظاء، والذال، والثاء. وإنّما جاز هذا الإدغامُ مع تباعد المخارج؛ لأنّ الجيم أُجريت في ذلك مجرى أختها الشين، وذلك أنّ الشين وإن كانت من مخرج الجيم، فإنّ فيها تفشّيًا يتّصل بهذه الحروف، فذلك الاتّصال أجاز إدغامهن في الجيم [3]. فتبيين هذه الستة الأحرف إذا وقعت قبل الجيم أحسنُ من بيانها إذا وقعت قبل الشين؛ لأنَّ إدغامها في الجيم بالحمل على إدغامها في الشين، بل لم يحفظ سيبويه إدغامها في الجيم [4].

أ/ الطاء والظاء : نحو اربط جملاً و"احفظ جارك"؛ وإذا أدغمتَ الطاء والظاء في الجيم، فالأحسن أن تُبقي الإطباق الذي فيهما، لئلَّا تُخِلّ بهما وتُضعِفَهما، بزوال الإطباق منهما، وقد يجوز أن تُذهب الإطباق جملةً [5].

ب/ الثاء والذال : نحو : لم يلبث جالساً، وقوله عز وجل ﴿وإذ جاؤوكم﴾ [الأحزاب: 10]؛ وفيما يتعلَّق بالذَّال، فبانتقال مخرجها إلى وسط الحنك تغدو شبيهةً بالجيم، فكلاهما مجهور وإن كانت الجيم أكثر شِدَّةً [6].

---

(1) انظر : أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص125.

(2) انظر : ابن عصفور، علي بن مؤمن، الممتع الكبير في التصريف. ص457.

(3) انظر : ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج 5ص537.

(4) انظر : ابن عصفور، علي بن مؤمن، الممتع الكبير في التصريف. ص445.

(5) المصدر السابق. ص437.

(6) انظر : أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص129.

ج/ الدال والتاء : كما في قوله تعالى ﴿وقتل داوُودْ جالوت﴾ [البقرة: 251] من قراءة أبي عمرو ويعقوب [1]، وقوله تعالى ﴿كلما نضجت جلودهم﴾ [النساء: 56]؛ وفي هذا الموضع جُهِر أوَّلا بالتاء، فصارت دالا ثم انتقل مخرج الدال من أصول الثنايا العليا إلى وسط الحنك، وبهذا التقى بالجيم، لأنها أقرب أصوات وسط الحنك إلى الدَّال في الصفة، وبهذا تَمَّ الإدغام [2].

د/ الضاد : كما في قولك انقض جدارا؛ وإدغامها الضاد في الجيم إنما جاء حملًا على الشين، لأنهما من مخرج واحد [3]. وههنا أيضًا يجوز لك إذهاب الإطباق جملةً، والأحسن تَبقِيَته، لئلَّا تُخِلّ بالضاد وتُضعِفَها، بإزالة الإطباق منها.

هـ/ النون : وبه وَجَّه بعضهم قراءة عاصم وابن عامر وشعبة وأبي عبيد ﴿كذلك نُجِّيْ المؤمنين﴾ [الأنبياء: 88]؛ فقيل: الأصل: نُنْجِي، بسكون النُّون الثانية، فأُدغِمَت في الجيم، كما قيل في إجاصة وإجانة : إنجاصة وإنجانة ، وهي لغة يمانية فيهما ، أنكرها الأكثرون [4]، والتحقيق : أنها لغة ثابتة فيهما [5]، لكن إدغام النون في الجيم نادرٌ، والغالب إخفاء النون عند الجيم.

---

(1) انظر: الدمياطي، أحمد بن محمد ، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تح: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.3، 2006. ص207.

(2) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص120.

(3) ابن عصفور، علي بن مؤمن، الممتع الكبير في التصريف. ص445.

(4) الأزهري، خالد بن عبد الله، شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.1، 2000. ج2ص762.

(5) انظر : الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة . ج11ص138.

الفصل الرابع :

صوت الدال

1 – عند القدامى :

المنقول عن القدماء في مخرج الدال ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول : يقول الخليل: «الطاء والدال والتاء في حيِّز واحد» [1]. ونعتها بـ: النِطْعيَّة، وعلَّل ذلك بقوله: «لأنَّ مبدأها من نِطْعِ الغار الأعلى» [2]، أي : مما ظهر منه. وفي عبارة الخليل هذه بيانُ عائلة الدَّال الصوتية، لا توصيفٌ محدَّدٌ لمخرجه، حيث بيَّن مبدأها ولم يُفصِح عن منتهاها، الذي هو مخرجها، يقول ابن جني: «الحرف حَدٌّ مُنقَطَع الصَّوت وغايته وطرفه، كحرف الجبل ونحوه» [3].

المذهب الثاني : قال سيبويه : «ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء، والدال، والتاء» [4]. ولم يُعَيِّن سيبويه الثنايا المقصودة عنده أهي العلى أم السفلى، يقول ابن الحاجب: «قولهم (الثنايا) في هذه المواضع، إنما يَعنُونَ (الثَّنايا العُليا)، وليس ثَمَّ إلاَّ ثَنِيَّتان، وإنما عبَّرُوا عنها بلفظ الجمع؛ لأنَّ اللفظ به أخفُّ مع كونه مَعلومًا، وإلاَّ فالقياس أن يُقال: «وأطراف الثَّنيَّتَين»» [5] بالتَّثنِية لا الجمع.

---

(1) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج1 ص58.

(2) المصدر السابق. ج1 ص13.

(3) ابن جني، عثمان، سر صناعة الإعراب. ج1 ص28.

(4) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4 ص433.

(5) المقدسي أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز الأماني . ص748.

المذهب الثالث: من المقدَّم من السَّطح المُمتَدِّ على الحنك؛ يقول ابن سينا : «وأمَّا الطَّاء والتَّاء والدَّال، فإن مخارجها من المقدَّم من السَّطح المُمتَدِّ على الحنك» [1]. وقد بيَّن أنَّ المُراد انطباق جزء من سطح اللسان مع سطح الحنك والشجر [2].

وهذه المذاهب الثلاثة لا خلاف بينها، كما سبق بيانه في فصل صوت الطاء، فلا داعي للتَّكرار.

2- عند المحدثين :

أما المُحدَثون من علماء الأصوات؛ ففي حديثهم عن مخارج هذه الحروف الثلاثة، منهم مَن حافظ على عبارة سيبويه، وهي: «التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا» [3]، وبعضهم قال بأنها تخرج : «عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومُقَدَّم اللِّثة» [4]، وقال آخرون: «بوضع طرف اللسان على الثنايا العليا أو على مغارزها» [5]. ومؤدى هذه العبارات واحدٌ، وهي لا تختلف عما ذكره علماء العربية وعلماء التجويد.

---

(1) انظر : ابن سينا، الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف. ص122.

(2) المصدر السابق. ص75.

(3) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص48.

(4) بشر، كمال محمد، علم الأصوات. ص129.

(5) كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية. ص23.

1 – عند القدامى :

يَتحصَّلُ من مجموع ما وُصفت به الدَّال أنها : صوتٌ مجهورٌ شديدٌ مُنفتِحٌ مُستَفِلٌ مُقَلقَلٌ ؛ فيه صفتان قويتان : الجهر والشدة ، وصفتان ضعيفتان : الانفتاح والاستفال [1].

وقد نصَّ الخليل على الخصوصية الصوتية للدَّال؛ فنَعَتها بأنها «لانَتْ عن صلابة الطَّاء وكزازتها، وارتقت عن خُفُوت التّاء؛ فَحَسُنَتْ» [2]. ثم قال : «وصارت حالُ السِّين بين مَخْرَجِ الصَّاد والزاي كذلك» [3]، فالسين «لانت عن استعلاء الصاد، ورَقَّت عن جهر الزاي؛ فعَذُبت وانسلَّت» [4]. فالسين مهموسة كالصاد، لكن الصاد تمتاز منها بالإطباق ، كما تمتاز الزاي من الصاد والسين بأنها مجهورة ، وهما مهموستان [5]. وهكذا فالصَّلابة والكزازة اللَّتان في الطَّاء مَرَدُّهما إلى الإطباق الذي يُمَيِّزها من أختيها الدَّال والتَّاء، ويبدو أنَّ المقصود بلُيونة الدَّال، ما تمتاز به من جهر ووضوح سمعي لا تجاريها فيهما التَّاء، لأنها مهموسةٌ وأَقلُّ وُضوحًا في السَّمع من الدَّال، فلذلك وُصِفت بالخُفوت [6].

---

(1) القسطلاني، أحمد بن محمد، لطائف الإشارات لفنون القراءات. ج1 ص206.

(2) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج1 ص53–54.

(3) المصدر السابق. ج1 ص54.

(4) ابن جني، عثمان، سر صناعة الإعراب. ج1 ص79.

(5) قدور، أحمد محمد، أصالة علم الأصوات عند الخليل. ص45.

(6) انظر: قدور، أحمد محمد، مبادئ في اللسانيات، دار الفكر، سورية، 1996. ص110.

2 – عند المحدثين :

الدَّال عند الدراسين المعاصرين: صامتٌ أسناني لِثَوي [1] وقيل : سني [2]، شديد مجهور مرقق [3]، ونظيره عند بعضهم التاء، الذي لا يختلف عنه إلا في الهمس [4]، وعند آخرين يُعَدُّ المقابل المرقق للضاد المصرية الحديثة التي هي الطاء القديمة [5].

ومع أن هذا الصوت مجهور في صفته العامة، إلا أنه قد يهمس في بعض المواقع في الكلام العامي، كأن يكون متلوا بصوت مهموس، أو مسبوقا بصوت علة طويل، أما في العربية الفصحى وفي قراءة القرآن بصفة خاصة فقد حرص القراء على أن يجهروا صوت الدال في كل موقع [6].

---

(1) عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص93.

(2) انظر : السعران، محمود، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي. ص130.

(3) عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة. ص46.

(4) انظر : السعران، محمود، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي. ص130.

(5) عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص93.

(6) المرجع السابق.

1 – عند القدامى :

فيما يتَّصِل بالدَّال ؛ يرى ابن سينا أنَّ نَظيرها الطَّبيعي يَنشأ عن قَرع الكف بإصبعٍ قَرعًا ليس بالقوي [1]؛ فهي تحدُث عن القلع دون القرع أو مع القرع، ويكون القَلع بجِرمٍ رَطبٍ لَيِّنٍ عن جِرمٍ صُلبٍ [2]، كما في الإصبع مع الكف.

وعن كيفية حدوث صوت الدال اللغوي يحدِّثنا ابن سينا في سياق كلامه عن الحروف الثلاثة النِّطعِيَّة فيقول إنها تشترك في أنَّ القَلع بجِرمٍ رَطبٍ لَيِّنٍ عن جِرمٍ صلبٍ، وهي تحدُث كُلُّها من حُبسات تامَّةٍ، وقلعٍ، ثم إخراج هواء دفعةً» [3]، وحدوثها إنما يكون «عن انطباق سطح اللسان أكثرِه مع سطح الحنك والشجر، ووراءه بضِلعَي اللِّسان وتقعُّر وسط اللِّسان خلفَ ذلك المَحبِس، وهكذا ينطبق أكثرُ سطح اللسان مع سطح الحنك والشجر ، وقد يبرأ شيء منهما عن صاحبه وبينهما رُطوبةٌ، فإذا انقلع عنه وانضغط الهواء الكثير ، يحدُث هناك للهواء دَوِيٌّ عند الانفراج ثم يقلع، ويكون الحبس بشدٍّ قوي القَلع بجِرمٍ رَطبٍ لَيِّنٍ عن جِرمٍ صلبٍ، فيُسمَع الطاء. وإن كان الحبس بجُزءٍ أَقلَّ، لأنه إنما يتم بطرف اللسان فقط، ولكِنْ مِثلِه في الشِّدَّة، سُمِع التَّاء، وإن كان بحبسٍ مثل حَبسِ التَّاء في الكَمِّ وأَضعفَ منه في الكيف، سُمِع الدَّال [4].

---

(1) ابن سينا، الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف . ص93.

(2) المصدر السابق. ص122.

(3) المصدر نفسه. ص122.

(4) نفسه. ص75، 79، 122.

وهكذا؛ فالدَّال تحدُث عن انطباق جزء من سطح اللسان مع سطح الحنك والشجر، لكن بحبس كحبسٍ التاء في الكَمِّ وأضعف منه في الكيف، وهي تُفارق الطاء إذ لا إطباق فيها، وتُخالِف الطاء والتَّاء إذ الحبس فيه غير قوي، وعساه أن يكون في الكَمِّ أقلَّ قليلاً من حبس التَّاء [1].

2- عند المحدثين :

يُفسِّر الدَّرس الصَّوتي الحديث نشوء الدال؛ بأنَّه يكون عن اندفاع للهواء مارًّا بالحنجرة، فيُحرِّك الوترين الصوتيين، ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت، يوقف مجرى الهواء وقفا تاما، وينحبس هناك فترة قصيرة جدا لالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكما، ويُرفع الحنك اللَّين، فلا يَمُرُّ الهواء إلى الأنف، فيُضغط الهواء مُدَّةً من الزَّمن، ثم ينفصل اللسان عن أصول الثنايا انفصالا فجائيا محدثا صوتا انفجاريا [2]. ويكون مُؤخَّر اللسان مُنخفِضًا حالَ النُّطق بهذا الصوت، وهذا الانخفاض يعطي لحجرة الرنين شكلا مغايرا لشكلها في حالة التفخيم، وتكون النتيجة حينئذ ترقيق الدال [3].

(1) انظر : ابن سينا، الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف . ص122.

(2) انظر : أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص151.

(3) عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص93.

أَبدال الدَّال سبعة عشر صوتا: الذال، والراء، والزاي، والسين، والضاد، والطاء، والتاء، والعين، والغين، والفاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والنون، والواو، والياء.

1 – إبدال الدال طاء :

الدَّال والطاء نِطعيتان، فهما متفقان مخرجا، ويشتركان في كُلِّ الصِّفات ما عدا الإطباق، «ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً» [1]. وقد ظهر من التبادل بين التاء والدال أن العرب تميل إلى تحويل التاء إلى دال، كما يحولون التاء إلى طاء، وكذلك يفعلون بالدال فيحولونها إلى طاء [2].

ومما جاد به المعجم القديم : شعرٌ مُقلَعِدٌّ مُقلَعِطٌّ : شديد الجعودة، فُستاط وفُستاد، الإصفِند والإصفِنط : الخمر، القُرمود والقُرموط: ضربٌ من ثمر العِضاه، التِّرياق والطِّرياق : نوعٌ من الدَّواء، دقدقة الحجر وطقطقته: حكاية صوته، النَّطِسُ والنَّدِسُ : العالم بالأخبار، الدَّخاء والطَّخاء : الظُّلمة، القِردَع والقِرطَع : قَمْل الإبل، الدأثاء الطَّأثاء : الحمقاء، الطَّغْر والدَّغْر : رَفْعُ وَرَم فِي الْحلق [3]، والمِلْدَسُ والمِلْطَسِ : حجرٌ ضخم يُدقُّ به النوى [4]، أَبْعَطَ فِي السَّوْمِ كأَبْعَدَ [5]، أبدَغه وأبطغه:

---

(1) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص436.

(2) السحيمي، سلمان بن سالم، إبدال الحروف في اللهجات العربية. ص412.

(3) ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة. ج2ص754.

(4) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. ج3ص974.

(5) ابن فارس، أحمد بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة. ج1ص270.

أعانه، مَدَّ الحرف ومَطَّه، سَدَمت الباب وسَطَمته : إذا رددته، بطغ بالشيء وبدغ: تلطخ به [1]، طَحَوْتُهُ مثل دَحَوْتُهُ، أي بسطته، مَا أَدْرِي أيُّ الطَّهْم هُوَ، وأيُّ الدَّهْم هُوَ بِمَعْنى وَاحِد، مَعْنَاهُ : أيُّ النَّاس هُوَ [2]، قَدْني وقَطْني لغتان في حَسبي [3].

2- إبدال الدال تاء :

تتَّحِد التاء والدَّال في المخرج، كما يتحدان في الشدة والانفتاح والانسفال. ومن هذا الباب : ما عزاه سيبويه إلى تميم حيث يقولون: «فُزْدُ، يُريدون: فُزْتُ» [4]، قال السيرافي : «هي لغةٌ لبعض تميم؛ يَقلِبون الدَّال من تاء فعلت إذا كان لام الفعل حرفًا من هذه الحروف الثلاثة: الزاي والدال والذال، يُشبِّهون هذه التاء بتاء فعلتُ، وليس هذا بالكثير» [5]. وقد وردت كلمات بالدال والتاء جميعا؛ فمن ذلك : سَتا الثَّوب وسَداه : خلاف لُحمَتِه، وغِمدُ السيف وغِمتُه : غلافه، والتَّفتر والدَّفتر، وهَرد الثَّوب وهَرتَه، وناقة دَربُوتٌ وتَربُوتٌ : مُذلَّلةٌ [6].

3- إبدال الدال ذالا :

الدَّال نِطعية والذال لثوية، فإبدالهما بين صوتين متباعدين مخرجا، متقاربين صفة بالجهر والاستفال والانفتاح. ومن هذا الباب : قراءة ﴿فَشَرِّذْ بِهِمْ﴾ [الأنفال: 57] بالذال المعجمة، وهي في مصحف ابن مسعود [7]، وقد حفظ القاموس عددا من

---

(1) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. ج4ص1315.

(2) المصدر السابق. ج6ص241،106.

(3) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج5ص14.

(4) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص240.

(5) السيرافي، الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه. ج5ص125-126.

(6) ابن جني، عثمان، سر صناعة الإعراب. ج1ص167.

(7) انظر : النحوي أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير. ج5ص340.

الكلم بالدال والذال؛ فمن ذلك : نُمرود ونُمروذ : ملكٌ معروفٌ، الغَمَيْدَرُ والغَمَيْذَرُ : المُتنعِّم، الدِّبل والذِّبل : الدَّاهية، الكاغِد والكاغِذ : الورق، السَّميد والسَّميذ : الذي يُخبَز منه ويُعصَد. القُنفُد والقُنفُذ : دابة، رجلٌ مُنجَّدٌ ومُنجَّذٌ: الذي قد جرَّب الأمور وعَرَفها، الدَّحداح والذَّحذاح : القِصار، رجلٌ دُعَرَةٌ وذُعَرَةٌ: إذا كان عيوب، الدَّأَلان والذَّأَلان : قِطافٌ في السَّير، الهَيدَبى والهَيذَبى : الإسراع مضى دَهْلٌ من اللَّيل وذَهْلٌ منه : قطعة منه، البَلْدَم والبَلْذَم : مُقدَّم الصَّدر، ما ذاق عذوفا وعذوفا : أي ما ذاق شيئا، ويُقال : ادْرَعِفَّت الخيل واذْرَعِفَّت: إذا أسرعت، ويُقال: دَبَرته الكتاب وذَبَرْت : إذا كتبته، دُفت وذُفت : خلطتُ، بدحت لسانه وبذحته: شققته، رَدَم الشيء ورَذَم : سال، ويُقال : اقْدَحَرَّ واقْذَحَرَّ : إذا تأهَّب للقتال، دَفَّ على الجَريح وذَفَّ عليه : إذا أجهز عليه [1].

4- إبدال الدال زايا :

الدَّال نِطعية والزاي أسلية، فإبدالها بين حرفين متباعدين مخرجا، ومتقاربين صفة بالجهر والانفتاح والاستفال. ومن هذا الباب : مِنقادٌ ومِنقارٌ، الخَدَرْنق والخَزَرنق : العنكبوت العظيم، الدَّبر والزَّبر : الخَطُّ، رأيٌ مجلودٌ ومجلوذٌ : رأيٌ مُحكمٌ مُبرَمٌ، والرَّدَغة والرَّزَغة: الوحل الكثير، يُقال : هو بإِدائه وبإزائه، امتدَع الرُّمح وامتزَعه: انتزعه، ودَلِـخت الإبل وزَلِـخت : سمِنت، دَخمه وزَخَمه : إذا دفعه دفعا عنيفا، نَدَغه بكلمة ونَزَغه : إذا أوجعه بها، لَكَده ولَكَزه : ضرب صدره أو حنكه باليد أو دفعه بها، تحدَّاه وتحرَّاه، عَدَفت نفسي عن كذا وعَزَفت، دَمِه يومنا وزَمِه : إذا اشتدَّ حرُّه وسكنت ريحه [2].

---

(1) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1 ص353.

(2) المصدر السابق. ج1 ص366-369.

5- إبدال الدال راء :

الدَّال نِطعية والراء ذَلَقِيَّةٌ، فإبدالها بين حرفين متباعدين مخرجا، ومشتركان صفة في الجهر والاستفال والانفتاح. ومن هذا الباب : العَكَدَة والعَكَرَة : أصل اللِّسان، السَّدَّاج والسَّرَّاج : الكذَّاب، الدَّقش والرَّقش : النَّقش، السَّمَهرَد والسَّمَهْرَر : الأرض البعيدة، الدُّحامِس الرُّحامِس: الشَّديد، الدُّوَدِن والرُّوَدِن : دم الأخوين، هو شيءٌ أحمر يُطلى به وجوه الصبيان من الجن، دَجَن ورَجَن بالمكان : إذا أقام به، صَهَدته الشَّمس وصَهَرته : إذا آلمت دِماغه، دَمِه يومنا ورَمِه : إذا اشتدَّ حَرُّه وسكنت ريحه، طَردت الناقة وطررتها بمعنًى [1].

6- إبدال الدال فاء :

الدَّال نِطعية والفاء شفهية، فهما متباعدتان مخرجا، تشتركان في الاستفال والانفتاح. ومن هذا الباب: السُّدَد والسُّدَف : الأبواب، التَّطوادُ والتَّطواف، الثَّدَأ والنَّفَأ : منابت العُشب إذا كانت مُتفرِّقةً ناحِيةً كذا وناحية كذا، الخَفَيدَد والخَفَيفد: الخفيف السريع، المُسَرهَد والمُسرهَف : الحسن الغذاء، ويُقال : ما بقي من بصره إلا شدًى وإلا شفًى، أي: شيء يسيرٌ، دَحَص الأرض برجله وفحصها، أحصد الحبل وأحصفه: أحكمَ فَتْلَه، هو يُساعِدني على كذا ويُساعِفُني [2].

7- إبدال الدال ميما :

الدَّال نِطعية والميم شفهية، فإبدالها بين صوتين متباعدين مخرجا، متقاربين صفة بالجهر والانفتاح والاستفال. ومن هذا الباب : الشَّكْدُ والشَّكْمُ : العطاء، أردَى على الشيء وأرمى : إذا زاد عليه، الخُموش والخُدوش : الرجوح في الوجه، حِمارٌ مُكدَّمٌ

---

(1) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1 ص362-366.

(2) المصدر السابق. ج1 ص379-383.

ومُكدَّدٌ : لما فيه من آثار عَضِّ الأُتُن، الكَردَحة والكَرمَحة : العَدوُ السَّريع، رجلٌ دائِقٌ ومائِقٌ : وهو الهالك حُمقًا، دَجِر من الماء ومَجِر منه : إذا رَوِي رِيًّا شديدًا، شيخٌ هِدمٌ وهِمٌّ : فانٍ، رَداه ورماه بمعنى [1].

8- إبدال الدال لاما :

الدَّال نِطعية واللام ذلقية، اختلفتا مخرجا واتفقتا بصفات الجهر والانفتاح والاستفال. ومن هذا الباب : العِكال والعِقال : الحبلُ يُشدَّ به رُسغ يدي البعير إلى عضُده، المعكول والمعكود : المحتبَس، والمَعد والمعل : الاختلاس، إبِل آبِدة وآبلةٌ: هاملةٌ، هُدب العين وهُلبُها : شعر أشفارها، والكُنبُد والكُنبُل : الرجل الصُّلب الشَّديد، فَدَغ رأسه وفَلَغه : إذا شَدَخه، أمُّ الدُّهَيم و أمُّ اللُّهَيم : المَنيَّة [2].

9- إبدال الدال نونا :

الدَّال نِطعية والنون ذلقية، فإبدالهما بين متباعدين مخرجا، ومتقاربين بالجهر والانفتاح والاستفال. ومن هذا الباب : مَتَد بالمكان ومَتَن : إذا أقام به، الدَّقْش والنَّقْش واحدٌ، ويقال لعاصمة العراق : بغداد وبغدان، وكانت العرب تُسمي يوم الإثنين في الجاهلية : الأهوَد والأهوَن، ويُقال : أخذ فُلانٌ واديَ خَدَبات ووادي خَنَبات : إذا أخذ في الهلَكة، والدَّاموس والنَّاموس : بيت الصائد الذي يحفِره في الأرض، اللَّغاديد واللَّغانين : لَحَمات عند اللَّهوات [3].

---

(1) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1ص388-391.

(2) المصدر السابق. ج1ص385-388.

(3) المصدر نفسه. ج1ص392-393.

10- إبدال الدال كافا :

الدَّال نِطعية والكاف لهوية مهموسة، اختلفتا مخرجا، واتفقتا بالشدة والانفتاح والاستفال. ومن هذا الباب : الدَيِّصُ والكَيِّصُ : شديد العِظام الغليظ المُكتنِزُ، مَتَد بالمكان ومَتَك : إذا أقام به، إِصْمَأَكَّ الرَّجُل واصْمَأَدَّ : إذا انتفخ من الغضب [1].

11- إبدال الدال قافا :

الدَّال نِطعية والقاف لهوية؛ اختلفتا مخرجا، واتفقتا بالجهر والشدة والانفتاح والاستفال. ومن هذا الباب : السَّهوَد والسَّهوَق: الطويل، خطيبٌ مِصقَعٌ ومِصدَعٌ: إذا كان فصيحا بليغا، أدعَصَه وأقعَصَه : أصاب مَقتَلَه [2].

12- إبدال الدال عينا :

الدَّال نِطعية والعين حلقية، فهما مختلفتان مخرجا، ومتفقتان بالجهر والانفتاح والاستفال. ومن هذا الباب : امرأة دِنفِصةٌ وعِنفِصةٌ : إذا كانت ضئيلة الجسم، مَدَست الأديم ومَعَسته : إذا دلكته وفركته، الجوع والجود، راغ وراد [3].

13- إبدال الدال سينا :

الدَّال نِطعية مجهورةٌ والسِّين أسلية مهموسة، فإبدالهما بين حرفين متباعدين مخرجا ومتفقان بالانفتاح والاستفال فقط. ومن هذا الباب : مَرَد الشيء ومَرَسَهُ، بعيرٌ عَرَندَسٌ وعَرَندَدٌ: قوي صُلب، بَلسَم الرَّجل وبَلدَم: إذا فَرِق فسكت مُطرِقًا، دَحجه وسَحَجه : قَشَره، جَمَد الماء وجَمَس سواءٌ، والارتعاد والارتعاس [4].

---

(1) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1ص384.

(2) المصدر السابق. ج1ص384.

(3) المصدر نفسه. ج1ص378-379.

(4) نفسه. ج1ص370-371.

14- إبدال الدال واوا :

الدَّال نِطعية والواو شفهية، فإبدالها بين حرفين متباعدين مخرجا، متقاربين صفة بالجهر والانفتاح والاستفال. ومن هذا الباب : زَهَدت القوم وزَهوتُهم : إذا حَزَرتُ عددهم، دَمِه يومُنا ووَمِه : إذا اشتدَّ حَرُّه وسَكَنت ريحُه، الدَّعس والوَعس: الرَّمل اللَّيِّن [1].

15- إبدال الدال ياء :

الدَّال نِطعية والياء شجرية، فإبدالها بين حرفين متقاربين صفة بالجهر والانفتاح والاستفال، متباعدين مخرجا. ومن هذا الباب : المُكلَنِدِد المُكلَنِدِي : الصُّلب الشَّديد من كُلِّ شيء، أرض مِدعاسٌ وميعاسٌ : كثيرة الرَّمل [2].

16- إبدال الدال ضادا :

الدَّال والضاد نِطعيتان، فهما متفقان مخرجا، ويشتركان في الجهر والانفتاح والاستفال. ومن هذا الباب: تناهد القوم وتناهضوا، فَدَغه وفضغه: هشمه، الجَهاد والجَهاض: ثمر الأراك [3].

17- إبدال الدال غينا :

الدَّال نِطعية والغين حلقية، فهما متباعدتان مخرجا، متفقتان في الجهر والانفتاح. ومن هذا الباب : لَتَده ولَتَغه بيده : إذا ضربه بها [4].

---

(1) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1ص394.

(2) المصدر السابق. ج1ص396.

(3) المصدر نفسه. ج1ص372.

(4) نفسه. ج1ص379.

صوت الدَّال ؛ إمَّا أنْ يُدغَم هو في ما بعده، وإمَّا أنْ يُدغَم فيه ما قبله، وسأبحث الحالتين معًا.

1 – ما تُدغم فيه الدال :

يقول ابن الجزري: «والدَّال تُدْغَمُ في عَشرة أَحرف: التَّاء، وَالثَّاء، والجيم، والذَّال، والزَّاي، والسِّين، والشِّين، والصَّاد، والضَّاد، والظَّاء؛ بِأَيِّ حركةٍ تحرَّكت الدَّال إلا إذا فُتِحت وقَبلها سَاكِنٌ فإنها لا تُدغَم إلا في التَّاء، فإنها تُدغَم فيها على كُلِّ حَال لِلتَّجَانُس» [1].

أ/ الدال : لم يَلتق دالان في القرآن أولاهما مُتحرِّكةٌ [2]، ولا مانع من إدغام إحداهما في الأخرى إذا التقتا، كما في قولك : سَدِّدْ دَينَك.

ب/ الطاء : كما في انقطَّالباً، يقول سيبويه : «وتصير الدَّال مع الطَّاء طاءً، وكذلك التَّاء، لأنَّك لا تجحِف بهما في الإطباق ولا في غيره» [3]. إلّا أنّ إدغام التَّاء في الطَّاء أحسن؛ لأنّها مهموسةٌ، والطاء مجهورةٌ، وليس يمنع الجهرُ إدغامَ المهموس، ولكن يكون إدغامُ المهموس أحسن. وإنّما لم يمنع الجهرُ؛ لأنّ للمهموس حالًا يُقارِب حالَ المجهور بسُهولة المخرج، وقلّةِ الكُلْفة في الاعتماد، إذ الاعتمادُ في المجهور أقوى [4].

---

(1) ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر. ج1 ص291.

(2) انظر: ابن الباذِش، أحمد بن علي، الإقناع في القراءات السبع. ص80.

(3) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4 ص460.

(4) ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج5 ص546–547.

ج/ التاء: كما في قوله تعالى ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ [الملك: 8]، والتَّاء مع الدَّال يُدغَم كُلُّ وَاحدةٍ منهما في صاحبتها، إلا أنَّ إدغام التَّاء في الدَّال أمثلُ؛ لأنّ الدَّال مجهورة، فتقول: "انْعَت دُّلامَةَ" بالإدغام [1]، كما سيأتي.

د/ الثاء: كما في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: 145]، قال ابن الجزري : «فَأَدْغَمَ الدَّالَ فِي الثَّاءِ أَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ، وَأَظْهَرَهَا الْبَاقُونَ» [2]. وهنا لابد هنا من همس الدَّال، وجعلها رِخوَةً، مع الانتقال بها إلى مخرج الأصوات اللِّثَوية [3] .

هـ/ الجيم : كقوله تعالى ﴿لقدْ جَاءكم رسول﴾ [التوبة: 128]، وقوله تعالى ﴿دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ [التوبة: 128]؛ وهنا يَنتقِل مخرج الدَّال إلى وسط الحنك، مع السَّماح بمرور الهواء قليلا، وبذلك تَقِلُّ شِدَّة الدَّال فتُشبِه الجيم، ويتم الإدغام [4].

و/ الذال: وفي القرآن الكريم سِتَّة عشر مَوضِعًا، منها: ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [البقرة: 52]، ﴿وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ﴾ [المائدة: 97]» [5]؛ وهنا لابد من انتقال مخرج الدَّال إلى الأصوات اللثوية، ثم السماح للهواء بالمرور في حالة النطق بها، لتصبح رخوة كالذال، وهكذا يتم الإدغام [6].

---

(1) انظر: ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج5ص547.

(2) ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر. ج2ص13.

(3) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص128.

(4) المرجع السابق. ص127.

(5) ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر. ج1ص291.

(6) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص126.

ز/ الظاء: كقوله تعالى ﴿فقد ظلم نفسه﴾ [البقرة: 231]؛ فإذا جاز إدغام الدَّال في الذال كما في المثال السابق، جاز إدغامها في الظاء أيضًا، لأنَّه لا فرق بين الذال والظاء إلا في الإطباق [1].

ح/ الضاد: كقوله تعالى ﴿قد ضلوا ضلالا بعيدا﴾ [النساء: 167]؛ إذا افترضنا أن النُّطق بالضاد في هذا المثال هو النُّطق القديم، كان الإدغام هنا كالإدغام في المثال السابق، أو بعبارة أدق أشبهه شَبهًا كبيرا. أما على افتراض أن نُطق الضاد هنا كالنُّطق الحديث لها، فلا فرق حينئذٍ بين الدَّال والضَّاد إلا في الإطباق [2].

ط/ الشين: كقوله تعالى حكاية عن النسوة ﴿قد شغفها حبا﴾ [يوسف: 30]. الإدغام هنا كالإدغام في المثال السابق، غير أن الدال هنا يجب همسها، لأن الشين صوت مهموس [3].

ي/ الزاي: كقوله تعالى ﴿ولقد زينا﴾ [الملك: 5]، لجواز الإدغام هنا يجب أن يسمح للهواء بالمرور مع الدال لتصبح رخوة، وهكذا تُشبِه الزَّايَ في المخرج والرَّخاوة والجهر [4].

ك/ السين والصاد: كقوله تعالى ﴿قد سألها﴾ [المائدة: 102] وقوله ﴿في مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: 55]؛ فهنا لابد من همس الدَّال، والسَّماح للهواء معها بالمرور لِتُصبح رِخوةً، وبذلك تماثِلُ السِّين في الهمس والرَّخاوة، والشيء نفسه بالنِّسبة إلى الصَّاد، إذ لا فرق بين السِّين والصَّاد إلا في الإطباق [5].

---

(1) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص126.

(2) المرجع السابق. ص126.

(3) المرجع نفسه. ص127.

(4) نفسه. ص127.

(5) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص127-128.

2 – ما يُدغَم في الدال :

أ/ الطاء: نحو : اضبطْ دَخلك؛ الطاء ليس حرفٌ أقرب إليها، ولا أشبه بها من الدال، لذلك تُدغَم فيها لأنهما مع موضعٍ واحدٍ، وهي مثلها في الشِّدَّة إلاَّ أنَّك قد تدع الإطباق على حاله فلا تُذهِبُه، لأنَّ الدَّال ليس فيها إطباق، فإنما تغلِب على الطاء لأنها من موضعها، ولأنها حصرت الصوت من موضعها كما حصرته الدال، وبعض العرب يُذهِب الإطباق حتى يجعلها كالدال سواءً، أرادوا أن لا تخالفها إذ آثروا أن يقلبوها دالاً، كما أنهم أدغموا النون بلا غُنَّةٍ [1]. فجاز إدغامُ الطاء في الدال مع الإطباق الذي في الطاء، لأنّه يمكن إذهابُه وتبقيتُه [2]، والبيان جائزٌ أيضًا [3].

ب/ التاء : نحو: انعت داود، التَّاء والدَّال سواءٌ، كُلُّ واحدةٍ منهما تُدغَم في صاحبتها حتى تصير التاء دالا والدال تاء، لأنهما من موضع واحد، وهما شديدتان، ليس بينهما شيءٌ إلا الجهر والهمس [4]. وكذلك فليس فيهما إطباقٌ ولا استطالةٌ ولا تكريرٌ. وإدغامُ التَّاءِ في الدَّال أَحسنُ من إظهارها معها [5] ؛ لأَنَّ الدّالَ مجهورةٌ، والأَحسنُ إدغامُ النَّاقِص في الزَّائِد [6].

ج/ الظاء والذال والثاء : هذه الثلاثة أخوات الطاء والدال والتاء، لا يمتنع بعضهن من بعض في الإدغام، لأنهن من حيز واحد، وليس بينهن إلا ما بين طرف

---

(1) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص457، 460.

(2) ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج5ص558.

(3) عمر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. ص291.

(4) انظر : سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص461.

(5) انظر : ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج5ص547.

(6) ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1988. ج3ص423.

الثنايا وأصولها [1]. وعليه ؛ فهن يُدغَمن في الدَّال، والأقيس في المطبقة منها، وهي الظاء إذا أدغمت تبقية الإطباق [2].

د/ اللام: يجوز إدغامها في الدَّال وأختيها، ذلك أنَّ آخر مخرج اللام قريبٌ من مخرجها، وهي حروف طرف اللسان. فإذا كانت اللام للتَّعريف أُدغِمَت في الدَّال مع أحرف أخرى لُزومًا؛ لكثرة لام المعرفة في الكلام، وكثرة موافقتها لهذه الحروف، وكونهن جميعًا من طرف اللسان [3].

هـ/ الذال : نحو: خذ داود، إنما أُدغِمت الذال في الدال دون الزاي لقُرْب مخرجها من مخرج الدَّال وبُعْدِ مخرج الزاي منها [4].

(1) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص464.

(2) انظر : الزمخشري، محمود بن عمر، المفصل في صنعة الإعراب. ص553.

(3) انظر : سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص457.

(4) الأستراباذي الرضي، محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب. ج3ص227.

الفصل الخامس :

صوت الباء

1 – عند القدامى :

يَتحصَّلُ من مجموع ما وُصفت به الباء أنها: صوتٌ مجهورٌ شديدٌ مُنفَتِحٌ مُستَفِلٌ مُقَلقَلٌ مُذلَقٌ [1]. ولم يختلف المتقدمون في أن مخرج الباء مما بين الشفتين إلا أنهم انقسموا طائفتين :

الأولى: أدرجتها مع الفاء والميم، مُؤَخِّرةً إيَّاها عن الفاء في الرُّتبة؛ وعلى رأس هؤلاء الخليل الذي يقول: «الفاءُ والباءُ والميمُ في حيِّز واحد» [2]. ونعتها بـ: الشَفَويّة، والشَفَهيّة، وعلَّل ذلك بقوله: «لأنَّ مبدأها من الشَّفَة» [3]، وصرَّح في موضعٍ آخر بأنَّ «مخرجها من بين الشَّفَتيْن خاصة، لا تعمَلُ الشَّفتان في شَيء من الحُرُوف الصَّحاح إلا في هذه الأحرف الثلاثة فقط» [4].

وقد اختار هذا المذهب جمعٌ ؛ منهم : ابن دُرَيد الذي يقول : «لا عَمل للسان فِي هَذِه الأحرف الثلاثة، وإنما عَملُهن فِي التقاء الشفتين، وأسفلهن الْفَاء ثم الباء ثم الميم» [5]. ولم تختلف عبارة ابن سينا، فقد صرَّح أنَّ : «الفاء والباء تحدُثان عند مخرج

(1) القسطلاني، أحمد بن محمد، لطائف الإشارات لفنون القراءات. ج1 ص206.

(2) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج1 ص58.

(3) المصدر السابق. ج1 ص58.

(4) المصدر نفسه. ج1 ص51.

(5) ابن دُرَيد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة. ج1 ص45.

واحدٍ بعينه، وهو الشفة» [1]، وذكر أنَّ «نِسبة الباء إلى الفاء عند الشَّفة نِسبةُ الهمزة إلى الهاء عند الحنجرة» [2]، وهو عين ما ذكره الخليل حيث قال : «الباء بمنزلة الفاء» [3].

الطائفة الثانية : جعلتها مع الميم والواو، في مقدمة الأصوات الشفوية؛ يقول سيبويه: «مما بين الشفتين مخرج الباء، والميم، والواو» [4]. فأخرج الواو من الحيز الهوائي الذي وضعها فيه الخليل [5]، وأدخلها في الحيز الشفوي الذي أخرج منه الفاء، وجعل لها مخرجا سابقا على هذه الثلاثة ؛ فقال: «ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء» [6]. وقد اختار هذا المذهب جماعة ممن جاء بعد سيبويه.

والحقيقة أنَّ ما عند سيبويه ، لا يختلف عما ذكره شيخه الخليل؛ فقد روى النضر بن شُمَيل عنه الخليل أنه قال: «ثم الباء والميم والواو شفهية.. والفاء من حروف الشَّفَة» [7]. ونقل عنه الأخفش قولَهُ : «الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلا، ثم الباء والميم والواو من بين الشفتين» [8]. وهذه عبارة سيبويه عَينُها، فمجموع الرِّوايات المنقولة عن الخليل تدُلُّ على أنَّ عبارة سيبويه ما هي إلا إيجازٌ

(1) ابن سينا، الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف. ص125.

(2) المصدر السابق. ص83.

(3) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج8ص411.

(4) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص433.

(5) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج1ص58.

(6) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص433.

(7) النحوي أبو حيان، محمد بن يوسف، تذكرة النحاة. ص28.

(8) المصدر السابق. ص30.

بمعلومات جمَّة تُنسَب إلى الخليل وَحدَه [1]. وهذا يوقِفنا على حقيقة مفادُها : أنه يَتعيَّن جمع ما نُقِل عن الخليل ليُتحقَّق مذهبه في مسألة ما.

وترتيب هذه الأصوات عند الخليل هكذا: الفاء أولا، تليها الباء فالميم التي «هي آخر الحروف من الحيّز الأول وهو الحيز الشفوي» [2]، وهو الذي اعتمده ابن دُرَيد؛ حيث يقول: «وأسفلهن الْفَاء ثمَّ الْبَاء ثمَّ الْمِيم» [3]. ومن جعل الواو بعدهما، علَّلها بـ«أن لكل من الشفتين طرفين، طرفٌ منه يَلِي داخل الفم ، والآخر يَلِي البشرة؛ فالمنطَبِق في الباء طرفاهما اللَّذان يَلِيَان داخل الفم ، والمنضَمُّ في الواو طرفاهما اللَّذان يَلِيَان البشرة ، والمنطَبِق في الميم وسطهما ، فآخر المخارج ما يلي البشرة من الشفتين» [4]. وأمَّا من قَدَّم الواو على الباء والميم؛ فيخرجها من الطرفين اللذين يليان داخل الفم، والباء من الوسط، والميم من الخارِج [5].

وقد جمع بعض العلماء بين مذهب سيبويه ومذهب شيخه الخليل؛ فقرَّروا أنَّ الأحرف الشفهية أربعة: الفاء، والباء، والميم، والواو غير المدية، غير أن الفاء مما بين باطن الشفة السفلى ورأس الثنيتين، والثلاثة الباقية مما بين الشفتين معًا [6]. وهكذا يتفق الجميع على أنَّ الباء من الشَّفة مَحْضَة [7]، تخرج مما بين الشفتين، مع تلاصقهما [1].

---

(1) قدور، أحمد محمد، أصالة علم الأصوات عند الخليل. ص42.

(2) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين. ج8ص421.

(3) ابن دُرَيد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة. ج1ص45.

(4) المرعشي، محمد بن أبي بكر، جهد المقل. ص135.

(5) المصدر السابق. ص136.

(6) انظر : القيسي، مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 4، 1987 م. ج1ص139.

(7) المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب. ج1ص208.

وقد حاول بعض العلماء المتقدِّمين توضيح وضعية الشفتين مع كل حرف من هذه الأحرف الثلاثة؛ فقال الداني: «غير أن الشفتين تنطبقان في الباء والميم، ولا تنطبقان في الواو بل تنفصلان» [2]، والمراد من انفتاحهما في الواو انفتاحهما قليلا، وإلا فهما ينضمان في الواو، ولكن لا يصل انضمامهما إلى حد الانطباق [3]. وانطباق الشفتين مع الباء أقوى منه مع الميم، «والظاهر أن سببه عدم احتباس النفس في الميم، بل جريانه في الخيشوم، بخلاف الباء، وعدم احتباس النفس عند الاعتماد على مخرج الحرف يوهن الاعتماد» [4].

2- عند المحدثين :

يُنعت الباء بأنه صامت شفوي (شفتاني)، يُنطَق بضم الشفتين، ويكون بتقريب المسافة بين الشفتين بضمهما، أو إقفالهما في طريق الهواء الصادر عن الرئتين [5]. وهكذا فمخرج الباء لا خلاف فيه بين القدامى والمتأخرين، وذلك لوضوحه للعَيان، وانكشافه للدَّارسين. ويوصف الباء عند المحدثين بأنه: شديدٌ مجهور مُرقَّقٌ، والنظير المهموس للباء وهو [p] صامت مهموس شفوي (شفتاني) انفجاري، ليس من جملة الأصوات العربية، وهو يتكوَّن بنفس الطريقة التي يتكون بها الباء، فيما عدا أن الوترين الصوتيين لا يتذبذبان أثناء نطقه [6]. فالاتفاق منعقِدٌ هنا على صفات الباء، كما وقع على مخرجه، وما ذاك إلا ليُسر ملاحظته.

---

(1) ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد. ص109.

(2) الداني أبو عمرو، عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد. ص106.

(3) انظر : المرعشي، محمد بن أبي بكر، جهد المقل. ص135-136.

(4) أبو شامة المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز الأماني . ص748.

(5) عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص91،84.

(6) انظر : السعران، محمود، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي. ص129.

1 – عند القدامى :

فيما يتَّصِل بالباء ؛ يرى ابن سينا أنَّ النَّظير الطَّبيعي لها إنما يَنشأ عن قَلع الأجسام اللَّيِّنة المتَلاصِقَة بَعضِها عن بعضٍ [1]، وهي «تحدُث والفاء عند مخرجٍ واحدٍ بعَينه، وهو الشَّفة، إلا أنَّ الباء بحبسٍ تَامٍّ قَويٍّ لالتقاء جِرمَين ليِّنَين ثم انقلاعهما، وانحفاز الهواء المصوِّت دُفعةً إلى خارج. وأما الفاء؛ فيكون الحبس فيها غير تَامٍّ بل بأجزاء من الشَّفة مضيَّقة غَير مُتلاقيةٍ، ومعه إطلاقٌ مُستَمِرٌّ في الوسط، فيفعل حَبسُ أطراف المخرج باهتزازه وبمجازِه كالصَّفير الخفي» [2]. وهو التَّفشِّي الموجود في الفاء .

ومعنى ذلك : أنَّ الفاء والباء تحدُثان عن حَفزٍ قوي مُتساوٍ في الكَمِّ والكَيف للهواء الخارج من الرِّئتين إلا أنَّ حبس الهواء في الفاء يكون بأجزاء لَيِّنةٍ من الشَّفة، وتَسريبه في أجزاء لَيِّنةٍ من غير حَبسٍ تَامٍّ [3]، بل تفعله حافات المخرج وتكون السبيل مفتوحة، والاندفاع يَمَاسُّ حافَّاته بالسَّواء غَير مَائلٍ إلا إلى الوسط [4]، فنسبة الباء إلى الفاء عند الشفة نِسبةُ الهمزة إلى الهاء عند الحنجرة [5]. وبذلك تكون الفاء رِخوةً مَهموسةً خلافا لأختها الباء التي تخرُج شديدةً مجهورةً.

---

(1) ابن سينا، الحسين بن عبد الله، أسباب حدوث الحروف. ص97.

(2) المصدر السابق. ص125.

(3) المصدر نفسه. ص82.

(4) نفسه. ص72.

(5) نفسه. ص83.

2 – عند المحدثين :

لا يختلف تفسير الدارسين المعاصرين لحدوث صوت الباء عن التَّفسير المتقدِّم نقلُه عن ابن سينا إلا في بعض التفاصيل والمصطلحات ؛ فهم يقولون : إنَّ الباء تتكون بأن يَمُرَّ الهواء أولا بالحُنجرة، فيحرِّك الوترين الصوتيين، ثم يتَّخِذ مجراه في الحلق ثم الفم حتى يَنحَبِس عند الشَّفَتين، وذلك بأن تَنطبقا انطِباقًا كاملا، ويُرفَع الحنَك اللَّين فلا يَسمح بمُرور الهواء إلى الأنف، فيُضغَط الهواء مُدَّةً من الزَّمن، ثم تَنفرِج الشَّفتان، فيَندفع الهواء فَجأةً من الفم محدِثًا صوتًا انفجارِيًّا [1]، شديدًا.

وأحيانًا يَتِمُّ تفجير صوت الباء من الأنف بَدل الشَّفتين، كما في حال كون الباء في نهاية الكلام، كما في "كسب" و"كتاب"، ويتم هذا التَّفجير الأنفي بإبقاء الشَّفَتين على اتصالهما، ثم فَصل الطَّبق عن الجدار الخلفي للحلق فَجأةً، فيَمُرُّ الهواء قَوِيًّا في المجرى الأنفي، ويَتِمُّ التَّفجير [2].

(1) انظر : السعران، محمود، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي. ص129.

(2) عمر، تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. ص92.

أوسع أودية الإبدال الباء والميم، وباستقراء مواد اللُّغة نرى أن الكلمات التي يدخل في تركيبها الباء والميم الشفويان، لا تكاد تحصى. وقد أُبدِلت الباء من أربعة وعشرين صوتا؛ هي: الميم، والفاء، والقاف، والكاف، والياء، والواو، والنون، واللام، والطاء، والعين، والغين، والذال، والزاي، والسين، والشين، الضاد، والهاء، والدال، والجيم، والراء، والثاء، والتاء، والحاء، والخاء.

1 – إبدال الباء ميما :

الباء والميم شفويان مجهوران، ولتقاربهما مخرجا وصفة كَثُر في الكلام تَعاقُبهما، وفي ذلك يقول ابن دُرَيد : «والميم أُخت الباء تُبدَل منها» [1]، وهي أخت الباء لأنَّ مخرجهما واحدٌ، فلولا الغُنَّة التي في الميم، وجريان النَّفَس معها لكانت باءً [2]. ففرَّقت الغُنَّة والرَّخاوة بين هاتين الأختين.

وإبدال الباء ميما من أكثر صور الإبدال وُرودًا في اللسان العربي؛ فمن ذلك: مخقت عينه وبخقت : إِذا اعورت وانخسفت عينه، تثلَّب الْإِنَاء مثل تثلَّم سَوَاء [3]، بنات مخر وبنات بخر: سحائب يأتين قبل الصيف بيض منتصبات في السماء، ويُقال: رأيتُه مِن كَثَبٍ، ومن كَثَم أي: من قُرب، نعامة رَمْداءُ ورَبْداءُ : إِذا كَانَ لَوْنهَا الرَّماد [4]، النُغَب والنُغَم : الجرعة من الماء، يقال: ما زالَ راتِمًا على كذا، وراتِبًا أي:

---

(1) ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة. ج1 ص619.

(2) انظر : ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد. ص143.

(3) ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة. ج1 ص262، 619.

(4) المصدر السابق.ج2 ص639.

مُقيمًا، من الرُّتبة، أربى كذا وأرمى عليه : إذا زاد عليه، يُقال لأصل الذَّنَب : العَجْب والعَجْم، صَئِب من الماء وصَئِم : إذا امتلأ ورَوِي، والعِقبة والعِقمَة : ضربٌ من الوَشي، اضبأكَّت الأرض واضمأكَّت : إذا اخضَرَّت، أَبِد عليه وأَمِد : إذا غضِب عليه، وسُمِع من العرب : با اسمُك ؟ وما اسمُك ؟ عَرتَبَة الأنف وعَرتَمَته : طَرَفُه، ظَأْب التَّيس وظَأَمه : صوته في هِبابه، العَصب والعَصم : الشدُّ، اعتبطَ عِرضه واعتمطه: عابه ووقع فيه، عُقْمِيُّ الكلام وعُقبِيُّه: الغامض الذي لا يعرفه الناس، يتزيَّم اللَّحم ويتزيَّب : إذا صار زِيَمًا، وهو شدة اكتنازه، وانضمام بعضه إلى بعض، البَكُّ والمَكُّ: الازدحام [1]، وَقَع فلانٌ فِي بَنَات طَبَارٍ وطَمار: إِذا وَقع فِي داهية [2].

ولا يزال هذا الإبدال حاضرًا في لهجات عربية عِدَّة؛ فمن ذلك لهجة مدينة تطوان المغربية ونواحيها، إذ يقولون: جيم، شوم، مراح، المنادم، رجم؛ يريدون بها: جيب، شوب، براح، لابن آدم، رجب [3]، ولها حضور أيضا في الجهة الغربية من الجزائر، في بعض الكلمات.

2 – إبدال الباء فاء :

الباء صوت شفوي مجهور شديد منفتح، والفاء صوت شفوي أسناني مهموس رِخو منفتح؛ فهما قريبان في المخرج، ويتفقان في الانفتاح والاستفال. وهذا سوَّغ التبادل الكثير بينهما. ومما ورد في هذا الباب: يُقال : خذه بإبَّانه وخذه بإفَّانه: أي بحينه وزمانه، القَنيب والقَنيف : الجماعة من الناس، كَبَحت الفَرَس باللِّجام

(1) انظر : اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1ص37.

(2) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة. ج13ص228.

(3) انظر : عبد العال، عبد المنعم سيد، لهجة شمال المغرب تطوان وما حولها، دار الكتاب العربي، مصر، ط.1، 1968. ص73.

وكَفَحته، الرَّبع والرَّفغ : التراب المُدقَّق، أُسكُبَّة الباب وأُسكُفَّته : عَتَبتُه التي يوطَأ عليها، البِسفِل والفِسكِل من الخيل: الذي يجيء آخِرَ الحَلَبة في الرِّهان، وتَمر بَذٌّ وَفَذٌّ: مُتَفَرِّق لَا يَلْزَقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، الشّاسِب والشّاسِفُ: الَّذِي قد يَبِسَ عَلَيْهِ جِلْدُه، المِصْطَبَّة والمصْطَفَّة : شِبْهُ الدُّكَّانِ يُجْلس عَلَيْهَا، الشِّنْعابُ مِنَ الرِّجَالِ، كالشِّنْعافِ: الطويلُ العاجزُ، والجِفسُ والجِبسِ: اللَّئيمُ، جِذْع نَقيف ومنقوف : إِذا نُقِبَ، أَي أَكلته الأَرَضَة، بَحْرٌ زُغْرَبٌ وزَغْرَفٌ : إذا كان كثير الماء، إِناءٌ مَنْجُوبٌ ومَنْجُوفٌ: واسعُ الجَوْفِ [1]، عجوزٌ هِرْشَفَّةٌ وهِرْشبّةٌ: باليةٌ كبيرة [2].

وقد وردت بعض الكلمات بالباء والميم والفاء معًا ؛ فمن ذلك: حبشت الشَّيْء وحَمَشْتُه إِذا جمعته، الجبخ الجمخ: التكبر وَالْفَخْر [3]، الطفور والطُّمورُ: الوُثوبِ [4]، كَبَحْتُ الدابَّة وكفحتها وكمحتها: إذا جذبتَها إليك باللجام لكي تقفَ ولا تجرى [5]. ومقارنة هذه الألفاظ باللُّغات السامية وتتبع تاريخها يُظهران أنَّ الفاء والميم الرِّخوَين مُتطوِّران عن الباء الشديدة؛ فمتى وردت كلمتان متفقتان معنى ومبنى بحيث لم تختلفا إلا في كون إحداهما بائية والأخرى ميمية أو فائية، فالبائية هي الأصلية [6].

(1) انظر : اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1ص19.

(2) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة. ج6ص274.

(3) ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة. ج1ص264، 278.

(4) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. ج2ص726.

(5) المصدر السابق. ج1ص398.

(6) انظر : السحيمي، سلمان بن سالم، إبدال الحروف في اللهجات العربية. ص 493-494.

3 – إبدال الباء واوا :

الباء والواو شفويان؛ يتفقان في المخرج، وفي الجهر والانفتاح والاستفال، ولذا كثر التَّعاقُب بينهما. فمن ذلك : البَكباكة والوَكواكة : الجارية السَّمينة، يُقال: بَذَأَته عيني ووذَأَته: إذا استحقرته، البَرى والورى: الناس، البَزيم والوَزيم : بقية المَرَق في أسفَل القِدر إذا لم يكُن فيه لحمٌ، البَزمة والوَزمة : الأكل في اليوم والليلة مرة واحدة، يُقال : ما أعطاني حَبَرَبَرا ولا تَبَربرا، وما أعطاني حَوَروَرا ولا تَوَروَرا : أي ما أعطاني شيئا، أبدَع الأمر وأودَعه : إذا قطعه على نفسه وأوجبه عليها [1].

4 – إبدال الباء ياء :

الباء شفوية والياء شجرية، تتحدان في الجهر والانفتاح والاستفال. ومما ورد في هذا الباب: الدِّرْحابة والدِّرْحاية : الرَّجُل القصير، غَضبى وغَضيا : اسمٌ لمئة من الإبل، حديدٌ مُلوَّبٌ ومُلَوَّى، ذَبَّت لِثَتُه ذَبًّا وذَبْيًا : إذا جَفَّ ريقُها من عطشٍ وكَربٍ، احتسَب واحتسى : اختبَر، الحَصَب والحَصَى، أخنَبَ أخنى: أهلك، الدَّبُّ والدَّي : المشي الرُّوَيد، مِشمِشٌ مُربَّبٌ ومُرَبَّى، رَسَب ورسا، شبَّ النار وشَبَاها، الشَّجَب والشَّجا: الهم والحزن، صَرَبَ وصَرَى : قطع، أضَبَّ وأضبى : أمسك، ضَغَب وضَغَا : صاح، أقهَب وأقهى عن الطعام : أضرَب عنه ولم يشتَهِه، كَظَب وكظا : إذا اكتنز وامتلأ لحما، أوعب وأوعى : أدخل الشيء في الشيء [2].

5 – إبدال الباء قافا :

الباء شفوية والقاف لهوية، تباعدا مخرجا واتحدا في الجهر والشدة والانفتاح. ومما جاء في هذا الباب: نَشِب في حِباله ونَشِق: عَلِق، السَّبَعْطرى والسَّقَعْطرى:

---

(1) انظر : اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1 ص84.

(2) المصدر السابق. ج1 ص89.

أطول ما يكون من الرِّجال، الشَّبَب والشَّبَق : المُسِنُّ من بقر الوحش، نَعَب الغُراب ونَعَق : صوَّت، ابْتَسَره واقتَسَره: استكرهه، انزرب في بيته وانزرق: دخل فيه، ابتشر الشَّيْء: اقتشره، اعتذق واعتذب: إذا أسبل لعِمامته عَذَبتين من خَلفٍ [1].

6- إبدال الباء نونا :

الباء شفوية والنون ذلقية، وكلاهما مجهور منفتح ومستفل، فالتَّعاقب سَهلٌ بينهما. ومما ورد في هذا الباب : بَجَم القَرن ونَجَم : إذا طَلَع، وانتُقِع لونه وابتُقِع : إذا تغيَّر، ووَتَب بالمكان ووَتَن به : إذا أقام به، القِسيَبُّ والقِسيَنُّ : الشَّديد، بَخَع لي بحقي ونَخَع لي به : إذا أذعن به وأقَرَّ، ويُقال : بُسَّهُم عنك ونُسَّهُم : أي اطرُدهم عنك، القبابيع والقنابيع : أنوف الكلاب، والبثُّ والنثُّ : نشر الحديث وإفشاؤه، الذَّاب والذَّان : العيبُ، الرَّجُلان بِدَّان ونِدَّان : نظيران، بقي من الماء بُضاضةٌ ونُضاضةٌ؛ أي: بقِيَّةٌ يسيرةٌ، ويُقال : محَلٌّ شاطِبٌ وشاطِنٌ : بعيدٌ [2].

7- إبدال الباء لاما :

اللام من الذُّلُق، ويكثر في الكلام تعاقبها مع الباء، لاختلاف مخرجهما واشتراكهما في الجهر والانفتاح والاستفال. ومن هذا الباب: أسهب الرجل وأسهل: إذا نزل السَّهب أي المكان السهل، بَخَصة العين ولَخَصتها: شحمتها، رجلٌ مِعزابٌ ومِعزالٌ : إذا كان منفردا عن الناس، البِكاك واللِّكاك : المزاحمة، يُقال لكل شيء خُلِط بشيء : قد عُبِث به وعُلِث به، ضَباضِب الماء وضلاضِله : بقاياه. الغَبَس والغَلَس : بقية الليل وآخره، بَهَزَه ولهزه: دفعه، وَيلَك ووَيبَك سَواءٌ [3].

---

(1) انظر : اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1 ص30.

(2) المصدر السابق. ج1 ص78.

(3) المصدر نفسه. ج1 ص35.

8- إبدال الباء كافا :

الباء شفوية والكاف لهوية، وهما مع اختلافهما مخرجا متقاربان في الشدة والانفتاح والاستفال. ومما جاء في هذا الباب : أسود حُلبوبٌ وحُلكوكٌ : الشديد السواد، بعيرٌ مُبْلَند ومُكْلَند: شديدٌ، شابهه وشاكهه بمعنى، الالتباك والالتكاك: إخطاء الرجل في منطقه وغَلَطه في حُجَّته، أفلت وله بصيصٌ وكَصيصٌ : أي فزَعٌ [1].

9- إبدال الباء هاء :

الباء شفوية والهاء حلقية، وإن يكن بينهما تباعد في المخرج، إلا أنهما شريكتان في الانفتاح والاستفال، وهذه الصفات من مُسوِّغات الإبدال. ومما ورد في هذا الباب: رجلٌ مِهذارٌ ومِبذارٌ : إذا كان كثير الكلام، ابتُقِع لونه واهتُقِع : إذا تغيَّر وحال، بَزَرَه بالعصا وهَزَره : إذا ضربه بها، البَشاشة والهَشاشة : انطِلاق الوجه وكثرة البِشر [2].

10- إبدال الباء راء :

الباء شفوية والراء ذلقِيَّة، وكلاهما مجهور مُنفتِح ومُستَفِل، فالتعاقُب طبيعي بينهما. رجل ضَبِسٌ وضَرِسٌ : إذا كان داهية من الدَّواهي، السَّبَنْدى والسَّرَنْدى : الجريء المُقدِم، العَذِبة والعَذِرة: الحِنطة إذا نُقِّيت وهو أردأ من الحُثالة، المِشجب والمِشجر : ما توضع فوقه الثياب [3].

11- إبدال الباء ضادا :

الباء شفوية والضاد شجرية، وكلاهما مجهور منفتح ومستفل؛ فبينهما صلة صوتية تُسَهِّلُ التَّبادُل. ومما ورد في هذا الباب : رجل بَكباكٌ وضكضاكٌ : إذا كان

---

(1) انظر : اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1 ص32.

(2) المصدر السابق. ج1 ص87.

(3) المصدر نفسه. ج1 ص3.

قصيرا مُكتنِز اللَّحم، رجل ضئيلٌ وبَئيلٌ : نحيفٌ، البُؤبُؤ والضُؤضُؤ : الأصل والمعدن، أغرَبت الحوض وأغرضته : ملأته، بَكَّه وضكَّه : إذا زاحمه [1].

12- إبدال الباء عينا :

الباء شفوية والعين حلقية، تباعدتا مخرجا واتفقتا في الجهر والانفتاح والاستفال، فالتعاقب طبيعي بينهما . ومما ورد في هذا الباب : رجلٌ أَبلَهٌ وأعلَهٌ : أيْ بليدٌ، أبَرَّ القومُ وأعَرُّوا : إذا كَثُروا وكَثُر أولادهم، بَقِر الرجل وعَقِر : إذا فاجأه الصيد فشُغِل عن الرَّمي أو الطعن، ابتَسرت الرجلَ واعتَسرته : إذا استكرهته، العَدَرَّكة والبدرَّكة : الحادَّةُ [2].

13- إبدال الباء دالا :

الباء شفوية ، والدال نطعية ؛ تباعدتا مخرجا، وتدانيتا بالجهر والشدة والانفتاح والاستفال. ومن هذا الباب : أَبَنَّ الرَّجل بالبلد وأَدَنَّ : إذا أقام به، أردَيت على الستين وأربيت عليها : بمعنى زِدت عليها، اجلعَبَّ الرَّجل واجْلعَدَّ : إذا صُرِع وامتَدَّ على الأرض، ناقةٌ بَلعَكٌ ودَلعَكٌ : مُسترخِية مُسِنَّةٌ ، وتلبَّنت وتلدَّنت : تلبَّثت وتمكَّثت [3].

14- إبدال الباء ذالا :

الباء شفوية والذال لِثوية؛ تقاربتا مخرجا، وتدانيتا بالجهر والانفتاح والاستفال. ومما جاء في هذا الباب : بَعَط الشَّاة وذَعَطها : إذا ذَبَحها، رجلٌ مُجَرَّبٌ ومُجَرَّذٌ : داهٍ

---

(1) اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1 ص12.

(2) المصدر السابق. ج1 ص16.

(3) المصدر نفسه. ج2 ص582.

مجرِّبٌ للأمور، شَبَاة كُلِّ شيء شَذَاته: حَدُّه، الجَبُّ والجَذُّ : القَطع، البَرى والذَّرى: الناس، ويُقال: إبل عَباهل وعَذَاهل : لا راعي لها [1].

15- إبدال الباء ثاء :

الباء شفوية مجهورة، والثاء لثوية مهموسة؛ تقاربتا مخرجا، وتقاربتا بالانفتاح والاستفال. ومن هذا الباب : البَربَرة والثَّرثَرة : كثرة الكلام، البَرى والثَّرى: التُّراب، وخمَّ اللَّحم وغَبَّ : إذا أنتن وتغيَّر ريحُه، وكرَبه الأمر وكَرَثه : إذا ساءَه واشتدَّ عليه، الضَّلال بن بُهْلُل وابن ثُهْلُل : هو الباطل [2].

16- إبدال الباء جيما :

الباء شفوية والجيم شجرية؛ تباعدتا مخرجا، وتدانيتا بالجهر والشدة والانفتاح والاستفال. ومن هذا الباب: نَبَث التراب ونَجَثه: استخرجه، بعيرٌ بَلَنْزى وجَلَنْزى: غليظ شديد، جرشَم وبَرشَم : أَحدَّ النَّظر، الدَّبيب والدَّجيج : المشي الضعيف [3].

17- إبدال الباء شينا :

الباء شفوية والشين شجرية، تباعدتا مخرجا، وتقاربتا بالانفتاح والاستفال مما سهل الإبدال بينهما. ومن هذا الباب : المُحبَئِنُّ والمُحشَئِنُّ : الغضبان، وغُلامٌ بُلبُل وشُلشُلٌ : خفيفٌ ظريفٌ، أرَّب على القوم وأرَّش: إذا حمل عليهم ووشى بهم [4].

---

(1) انظر : اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1 ص1، ج2 ص584.

(2) المصدر السابق. ج2 ص576.

(3) المصدر نفسه. ج2 ص578.

(4) نفسه. ج1 ص10.

18- إبدال الباء تاء :

الباء شفوية مجهورة، والتاء نِطعية مهموسة؛ تباعدتا مخرجا، وتقاربتا بالشدة والانفتاح والاستفال. ومن هذا الباب : التَّلَل والبَلَل شيءٌ واحدٌ، البَلابِل والتَّلاتِل: الشَّدائدُ، سأَبَه وسأتَه : إذا خنقه، السَّحْب والسَّحْت : شِدَّة الأكل والشُّرب [1].

19- إبدال الباء حاء :

الباء شفوية مجهورة، والحاء حلقية مهموسة؛ تباعدتا مخرجا، وتدانيتا بالجهر والانفتاح والاستفال. ومن هذا الباب : البُذُرَّى والحُذُرَّى : الباطل، وأَحَثْت الأرض وأَبَثْتها: إذا استخرجت ما فيها، يُقال : رجع فُلانٌ إلى بِنجه وحِنجه : إذا رجع إلى أصله [2].

20- إبدال الباء سينا :

الباء شفوية والسين أَسَلِيَّةٌ، تقاربتا مخرجا، واتفقتا في الانفتاح والاستفال. ومن هذا الباب: البُلاطِح والسُّلاطح: الأرض الواسعة، الباحة والساحة: العَرِصة، عَسْب الفحل وعَسُّه : ضِرابه، رجلٌ جُعبوبٌ جُعسوسٌ : إذا كان قصيرا دميما [3].

21- إبدال الباء غينا :

الباء شفوية والغين حلقِية، تباعدتا مخرجا، واتفقتا في الجهر والانفتاح. ومن هذا الباب : ناقة ضغوثٌ وضبوثٌ : التي يُشَكُّ في سمنها فتُجس باليد، بَلق الباب وأغلقه سواءٌ، الضِّبثة والضِّغثة : ما حملته بين الكفين [4].

---

(1) انظر : اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1 ص574.

(2) المصدر السابق. ج2 ص580.

(3) المصدر نفسه. ج1 ص8.

(4) نفسه. ج1 ص18.

22- إبدال الباء طاء :

الباء شفوية والطاء نطعي، يشتركان في الجهر والشدة، فالتعاقب ممكنٌ بينهما. ومن هذا الباب : غاط في الأرض وغاب بمعنى، الغَبَش والغَطَش : بقية الليل وآخره [1].

23- إبدال الباء خاء :

الباء شفوية مجهورة، والخاء حلقية مهموسة؛ تباعدتا مخرجا، وتدانيتا بالانفتاح والاستفال. ومما وقع في هذا الباب : وسِبَت يده ووسِخت [2].

24- إبدال الباء زايا :

الباء شفوية والزاء أسلية، فهما متقاربان مخرجا، وتدانيتا بالانفتاح والاستفال. فلا يتعسَّر التبادل بينهما. ومما وقع في هذا الباب : غلامٌ بُلبُلٌ وزُلزُلٌ : وهو الخفيف الظريف [3].

---

(1) انظر : اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي، الإبدال. ج1 ص15.

(2) المصدر السابق. ج2 ص158.

(3) المصدر نفسه. ج1 ص7.

صوت البَاء ؛ إمَّا أنْ يُدغَم هو في ما بعده، وإمَّا أنْ يُدغَم فيه ما قبله، وسأبحث الحالتين معًا.

1 – ما تُدغم فيه الباء :

أ/ الباء : الباء تُدغَم في مثلها، كما في ﴿لذهبَ بِسمعهم﴾ [البقرة: 20]، و﴿الكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: 213]، لاتّحاد المخرج [1]؛ فإذا التقت باءان من كلمتين، وكانت أولاهما ساكنة، كان إدغامها إجماعًا، وإذا التقت الباء المتحرِّكة وجب إثبات كُلٍّ مِنهما على صيغته مُرقَّقا، مخافة أن يقرُب اللَّفظ من الإدغام، وذلك نحو قوله ﴿سببا﴾ [الكهف :84]، و﴿حَبَّبَ إليكم﴾ [الحجرات: 7] [2].

ب/ الميم : كما في قولهم : اصحَمَّطراً، تريد : اصحبْ مَطراً [3]؛ فإذا سُكِّنَت الباء ولَقِيَها ميم، كما في المثال السَّابق، وفي قوله تعالى حكاية عن نوح ﷺ ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾ [هود: 42]، جاز فيها الإظهار والإدغام؛ فالإظهار لاختلاف اللَّفظ، والإدغام لقُرب المخرج [4]، وأنَّه لا فرق بين الميم والباء إلا في أنَّ الهواء مع الأولى يَتَّخِذ مجراه من الفم، ومع الثانية من الأنف، فعمَلِيَّة الإدغام هنا هي مجرَّد انتقال الصَّوت الأوَّل من بين أصوات الفم إلى نظيرٍ له بين أصوات الأنف [5].

---

(1) انظر: ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج5ص549.

(2) انظر : ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد. ص110.

(3) انظر : سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص447.

(4) انظر: ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد. ص110.

(5) انظر : أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص118.

ج/ الفاء : الباء قد تُدغم في الفاء للتَّقارُب، ولأنها قد ضارعتها فقَوِيت على ذلك لِكثرة الإدغام في حروف الفم، وذلك قولك: اذهبْ فِي ذلك؛ فقُلِبَت الباءُ فاءً كما قُلِبَت الباء مِيما في قولك : اصحَمَّطراً [1]. وتُدغم الباء في الفاء لتقارُبهما في المخرج؛ لأنّهما مِن الشَّفة، فالفاء أقوى صوتًا لما فيها من التفشّي، وقد وقع ذلك في قراءة أبي عمرو بن العلاء، والكِسائي، وابن ذَكوان قولَه تعالى ﴿اذهب فَّمن تبعك﴾ [الإسراء: 63] [2].

وهذا الإدغام أقلُّ شُيوعًا من إدغام الباء في الميم، لأنه يستلزم أوَّلا قَلب الباء المجهور إلى نظيره المهموس، وهو الصوت الشائع في اللغات الأوروبية، الذي يُرمز له بالرمز (P)، وهو صوت شديد انفجاري، مخرجه الشفتان، وإذا لم ينحبس معه النَّفَس، وأصابته صفة الرَّخاوة بأن يُسمع له حَفيفٌ أو صَفيرٌ، انقلب إلى صوتٍ قَريبِ الشَّبه جِدًّا بالفاء، لأنها رِخوةٌ مَهموسةٌ، وبهذا يَتمُّ الإدغام. فعملية الإدغام هنا تبدأ بهمس الباء لتُشبِه الفاء، ثم يُسمَح للهواء معها بالمرور، ليُحدِث حَفيفًا أو صفيرا ككُلِّ الأصوات الرِّخوة. فإذا تَمَّ هذا للباء صارت كالفاء [3]؛ فأُدغِمَت فيها.

2- ما يُدغَم في الباء :

أ/ الميم : يقول سيبويه : «من الحروف حروفٌ لا تُدغَم في المقارِبَة، وتُدغَم المقارِبَة فيها. وتلك الحروف: الميم، والراء، والفاء، والشين [4]؛ فالميم لا تُدغَم في

---

(1) انظر : سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص448.

(2) انظر: ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج5ص549.

(3) انظر : أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص119.

(4) وأضاف إليها الزَّمخشري الضَّاد، وقد ناقشه أبو حيان النحوي، وبيَّن أنَّ هذه المسألة محلُّ خِلافٍ بين البصريين والكوفيين.

انظر: النحوي أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير. ج1ص618.

الباء، وذلك قولك: أكرمْ بِه، لأنهم يقلبون النون ميما في قولهم: العَنبر، ومَنْ بَدا لك. فلما وقع مع الباء الحرف الذي يَفِرُّون إليه من النُّون لم يُغَيِّروه؛ وجعلوه بمنزلة النُّون، إذ كانا حَرفَي غُنَّةٍ» [1]. فامتناع إدغام الميم في الباء مَرَدُّه إلى أنَّ الباء انحَطَّت عن الميم بِفَقد الغُنَّة الَّتي في الميم [2]. وهذا كالمُجمَع عليه بين علماء العربية.

أمَّا أهل الأداء، ففي الباء إذا سبقت ميما ساكنة سكونا أصليا كـ﴿أم بظاهر﴾ [الرعد: 33] أو عَارِضًا كـ﴿يعتصم بالله﴾ [آل عمران: 101] خِلافٌ بينهم؛ منهم من يُظهِرُها عندها، وحكى أحمد بن يعقوب التائب إجماع القُرَّاء على ذلك، ومنهم مَن يخفيها، وهو مذهب ابن مجاهد وابن بشر وغيرهما، وبه قال الداني وابن الجزري، قياساً على مذهب أبي عمرو بن العلاء، ومنهم من يُدغِمُها، وإلى إدغامها ذهب ابن المنادي وغيره [3].

ب/ الفاء : الفاء عند النُّحاة كالميم لا تُدغَم في الباء؛ لأنها مِن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا وانحدرت إلى الفم، وقد قاربت من الثنايا مخرج الثاء، فلم تُدغَم فيما لا تُدغَم فيه الثاء [4]. وقد تقرَّر عندهم أنَّه: "إذا شابه الشيءُ الشيءَ، أُعطِي حُكمَه". وثمَّةٌ عِلَّةٌ وهي أنَّ في الفاء تفشٍّ يُزيله الإدغامُ [5]. غير أنَّ الكِسائي، وهو من أئمة الكوفيين، قد قرأ دون باقي القُرَّاء بالإدغام قولَه تعالى ﴿إن نشأ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ [سبأ: 9]، وقد حكم ابن يعيش على هذه القراءة بالشُّذوذ [6]،

---

(1) انظر : سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص447.

(2) النحوي أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير. ج8ص523.

(3) ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد. ص144.

(4) انظر : سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب. ج4ص448.

(5) انظر: ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل. ج5ص549.

(6) المصدر نفسه.

وضعَّفها الزَّمخشري [1]، وقال أبو علي الفارسي عنها إنَّ: «ذلك لا يجوز، لأنَّ الباء أضعفُ في الصَّوت من الفاء»، فتعقَّبَهما أبو حيان قَائِلا: «القراءة سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ، ويوجَد فيها الفصيح والأفصح، وكُلُّ ذلك مِن تَيسيره تعالى القُرآن للذِّكر، فلا التفات لقول أبي علي ولا الزَّمخشري» [2]، لأنَّ العُمدة في القراءات على النَّقل، لا على استقراءات النُّحاة وتخريجاتهم.

وقد فسَّر إبراهيم أنيس هذا الإدغام بأنَّهُ جُهِرَت الفاء أَوَّلا، فأصبحت ذلك الصَّوت الشَّائع في اللُّغات الأوروبية، الذي يُرمَز إليه بالرَّمز (V)، ومثل هذا الصوت إذا ذهبت رخاوته بانحباس الهواء معه ليُصبح انفجاريا، أشبهَ الباء كُلَّ الشَّبَه [3].

ظاهرة الإقلاب :

النون إذا وَقعت ساكنةً قبل الباء، سواءٌ كان ذلك في كلمة كَعَنْبَرٍ، أو كلمتين نحو سَمِيعٌ بَصِير [4]؛ يمتنع إدغامها في الباء حِفاظًا على غُنَّتها [5]، ولبُعد المخرجين، ولا يجوز إظهارها لِشَبَهِها بأخت الباء وهي الميم [6]. لذلك قاموا بإبدال هذه النون ميما، وهذا الذي يُعرف اصطلاحًا بـ(الإقلاب).

---

(1) الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، لبنان، ط.3، 1980. ج3ص570.

(2) النحوي أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير. ج8ص523.

(3) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية. ص131.

(4) انظر : الإستراباذي الرضي، محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب. ج3ص216.

(5) الثمانيني، عمر بن ثابت، شرح التصريف، تح: إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، السعودية، ط.1، 1999. ص348.

(6) ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد. ص157.

وتفسيرُ هذه الظاهرة الصوتية عند سيبويه: أنَّ الباء من مَوضعٍ تَعتَلُّ فيه النون، وهو الشَّفَةُ، واعتلالها في ذلك الموضع نحو قلبك إيّاها مع الميم ميمًا في نحو: (مِنْ مَطَرٍ) ← (مِمَّطَرٍ)، فكما اعتلَّت مع الميم، كذلك اعتلَّت مع ما هو من مخرجه وهو الباء [1]، فأبدلوا مكانَها الميمَ لأنها مُؤاخِيةٌ للنُّون في الغُنَّة والجهر، ومُشارِكَةٌ للباء في المخرج [2].

فالباعث على الإقلاب في الأساس هو طلب السُّهولة النُّطقِيَّة ؛ ذلك أنَّه يتعسَّر التَّصريح بالنُّون السَّاكنة قبل الباء، لأنَّ النُّون السَّاكنة يجب إخفاؤها مع غير حروف الحلق كما يجيء في الإدغام، والنُّون الخفِيَّة ليست إلا في الغُنَّة التي مُعْتَمَدُها الأنف فقط، والباء مُعْتَمَدُها الشَّفَة، ويتعسَّر اعتمادان مُتوَالِيان على مَخْرَجي النفس المتباعِدَين، فطُلِب حرفٌ تُقلب النون إليه مُتوَسِّطًا بين النون والباء، فكان الميم، لأن فيه الغُنَّةُ كالنُّون، وهو شفوي كالباء [3]. لذلك إن تحرّكت النّون قبل الباء قَوِيَت بحركتها، وصار أكثر مُعتمَدِها الفم بسبب تحرُّكِها، فلم يجز تغييرها، كما في: "الشَّنَب" و"العِنَب" [4].

---

(1) انظر : الفارسيّ أبو علي، الحسن بن أحمد، التعليقة على كتاب سيبويه، تح: عوض بن حمد القوزي، مكتبة الرشد، السعودية، ط.1، 1990. ج5ص181.

(2) ابن الجزري، محمد بن محمد، التمهيد في علم التجويد. ص157.

(3) انظر : الإستراباذي الرضي، محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب. ج3ص216.

(4) الثمانيني، عمر بن ثابت، شرح التصريف. ص348.

خاتمة

خـــــاتـــــمـــــة

هذه خلاصة ما توصَّلت إليه من نتائج واستنتاجات، لخَّصتها من مباحث دراستي الموزَّعة على مدخل وخمسة فصول، وأُجمِلها في النِّقاط الآتية :

القلقلة وما يتعلَّق بها :

- القلقلة : «صُوَيتٌ يخرج من الفم (حركةٌ مُختَلَسةٌ) مع نَبوة من اللِّسان عن موضعه، حال الوقف على أحد هذه الأصوات المشربة الخمسة : القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء».
- المعاني المعجمية للقلقلة كُلُّها تعبيراتٌ عن حالات عدم استقرارٍ مادي أو معنوي تعتري الأشياء، وهذا المعنى اللغوي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتسمية الاصطلاحية لهذه الظاهرة الصوتية ؛ وذلك من جهة حالة عدم الاستقرار التي تعتري الصوت والمخرج مَعًا، وكذا الشِدَّة والضَّغط الكبير اللذين يَلحقان الصَّوت.
- من مُرادِفات مصطلح (القلقلة): اللقلقة، الاضطراب، الاهتزاز، شِدَّة الصِّياح، النبر، اليُبوسة، الضغط، والحَقر. وهذه الألفاظ كُلُّها تدور في فلك مَعانٍ شِبه مُتقارِبَةٍ.
- القلقلة حالةٌ بَينيَّةٌ تتوسَّط السُّكون والحركة، لذا عدَّها جمهور علماء التَّجويد من الصِّفات التي لا ضِدَّ لها.
- صُويت القلقلة ليس مُكوِّنًا من مُكوِّنات الأصوات الشديدة، وإنما هو صائت إضافي مجهور، يَقي الصوت المقلقل من التغير في السياقات

المختلفة، ويصون شِدَّته، ويُعيد له ما سلبه الضَّغطُ من جهارته، فيتبيَّن في السَّمع.

- القلقلة أقوى الصفات القوية الاثنتي عشرة، وقُوَّة صُوَيت القلقلة ووضوحه تختلف باختلاف مقامات الكلام، وصفات القُوَّة في حروفها، وباختلاف النَّاطقين بها كذلك.
- أكثر المتقدمين على اشتراط الشِّدَّة والجهر في المقلقلات، أما المحدثون فاكتفى بعضهم باشتراط الشِّدَّة وِفاقًا لطائفة من القُدامى، وآخرون وافقت على اشتراط الشدة والجهر في ما يُقلقل من الأصوات، إلا أنهم اختلفوا في انطباق ذينك الوصفين على بعض الأصوات؛ فالقاف والطاء عندهم مهموسان لا مجهوران، والجيم صامتٌ رِخوٌ لا شديدٌ.
- أصوات القلقلة مجهورةٌ أُشرِبَت من صَوْتَ الصَّدر؛ وهي الخمسة السابقة، وأدرج بعضهم ضمنها أصواتا أخرى؛ منها: الهمزة، والتاء، والكاف، واللام، والضاد، والزاي، والذال، والظاء، والفاء. وهذه إمَّا أنها لم تَستوف أَحد شَرطَي القلقلة، أو أنها استعاضت عنها بوسائل صوتية أخرى.
- موضع القلقلة هو: الصامت المجهور الشَّديد، غير المُدغَم، إذا كان سَاكنًا موقوفًا عليه. وهو مُستقِلٌّ عن جواره الصوتي، إلى الفتح أقرب. وظاهر عبارة سيبويه أنَّه يميل إلى حركته حال الوصل.

صوت القاف :

- مخرج القاف عند المتقدمين : من أوَّل اللَّهاة مع يُقابله من مؤخِّر اللسان، من جهة الفم. وهو الحيِّز الذي حدَّه الخليل بمَعلَمَي اللَّهاة وأقصى الفم، وعناه سيبويه أقصى اللِّسان وما فوقه من الحنك الأعلى، وعبَّر عنه ابن سينا

بأنَّه الحَد المُشترَك بين اللَّهاة والحنك، وقال ابن خلدون أنَّه مُتَّسِعٌ؛ أوّله من أعلى الحنك، وآخره ممّا يلي الكاف. أمَّا المحدَثون فهم على أنَّ القاف صوتٌ لهويٌّ، مع اختلافهم في تموقعه مُقارَنةً بـ(ك غ خ).

- لا تعارُض بين الفريقين؛ فالمتقدِّمون جعلوا مخرج القاف مما بين اللَّهاة والحنك الأعلى (الطَّبق اللَّين)، وهاتان المَنطِقَتَان مُتجاوِرتان؛ لذلك تُنسَبُ القاف تارةً إلى أقصى اللِّسان، وتارةً إلى اللَّهاة وما يتَّصِل بها من غشاء الحَنَك فيُقال فيها (لهوية)، ومرَّةً إلى أقصى الفم، فيُقال عنها (قصِيَّة)، وربما نُعِتت بالحَنكية نِسبَةً إلى الحيِّز الموجود بين الحَنكين اللَّين والصُّلب.
- وصف القُدامى القاف بالجهر والانفتاح، ووصفه المحدثون بالهمس والإطباق، والإشكال اصطلاحي بحت؛ فهو مجهور بضابط الجهر عند المتقدمين، وليس مُطبقًا وإنما مُفخَّمٌ تفخيمًا جزئيا.
- وقع القاف مُبدلا من أحد عشر صوتًا؛ هي: الهمزة، والكاف العربية، والكاف الفارسية، والغين، والجيم، والهاء، واللام، والميم، والنون، والواو، والصوت المزجي المركب من الدال والزاي.
- تُدغم القاف في مثلها، وفي الكاف، ولا يدغم فيها إلا الكاف.

صوت الطاء :

- الطاء صوتٌ مجهورٌ بضابط القدماء للجهر، ومهموس بضابط المحدثين للهمس. وهو عند المتقدمين : نطعي، مخرجه مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، أو من مُقدَّم سطح اللسان مع سطح الحنك والشجر، وعند المُحدَثين من التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا (مغارزها)، وقيل:

بالأسنان واللثة، ومؤدى هذه العبارات واحدٌ، وهي لا تختلف عما ذكره علماء العربية وعلماء التَّجويد.

- الطَّاء من الحروف التي شاع فيها الإبدال، وقد وقع مُبدلا من أربعة عشر صوتا؛ هي: التاء، والدال، والقاف، والظاء، والكاف، والميم، والنون، والفاء، والضاد، والذال، والعين، والغين، واللام، والواو.
- الاستنطاء ظاهرة صوتية اختلف في تفسيرها، وهي تتعلق أساسا بالإنطاء الذي هو لغة قديمة في الإعطاء، حافظت عليها بعض القبائل، وهي بلا ريب ثمرة تغير صوتي ما، ثم استقلَّت مع الزَّمن كُلُّ مَادَّةٍ بمشتقاتها، وأصبح لها كيانها الذي يُميِّزها.
- تُدغم الطاء في مثلها، وفي الدال، والتاء، والصاد، والسين، والزاي، والظاء، والذال، والثاء. ويُدغَم في الطاء: الدال، والتاء، ولام المعرفة، ولام (هل) و(بل) ونحوهما، والظاء، والذال، والثاء.

صوت الجيم :

- الجيم عند المتقدِّمين صوتٌ شديدٌ، والمحدثون بعضهم يُقِرُّهم، وبعضهم يراه جامعا بين الشِّدَّة والرَّخاوة. وهو شجري، مخرجه من بين عَكَدَة اللِّسان وبين اللَّهاة في أقصى الفَم، أو من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، وهو عند بعض المحدثين لثوي حنكي، وعند آخرين أدنى حنكي. وهذا النِّسَب مُتقارِبةٌ كُلُّها؛ ومردُّها إلى كون الجيم ينتمي إلى حَيِّزٍ واحدٍ واسعٍ نِسبيًّا.
- وقع الجيم مُبدَلا من أزيد من عشرين صوتا؛ هي: الحاء، والخاء، والدال، والراء، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والطاء، والظاء،

والعين، والغين، والفاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والنون، والهاء، والياء.

- تُدغم الجيم في مثلها، وفي السين، والشين، والتاء. ويُدغَم فيها: الطاء، والدال، والتاء، والظاء، والذال، والثاء.

صوت الدال :

- الدَّال صوتٌ مجهورٌ شديدٌ، وهو عند القدماء نطعي، مخرجه مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا، أو من المقدَّم من السَّطح المُمتَدِّ على الحنك، وعند المحدثين أسناني لِثَوي، وقيل: سني، من طرف اللسان بأصول الثنايا العليا (مغارزها)، وقيل: على مُقَدَّم اللِّثة. ومؤدى هذه العبارات واحدٌ، وهي لا تختلف عما ذكره علماء العربية وعلماء التجويد.
- أَبدال الدَّال ستة عشر صوتا: الذال، والراء، والزاي، والسين، والضاد، والطاء، والعين، والغين، والفاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والنون، والواو، والياء.
- يُدغَم في الدال سبعة أصوات : الطاء، والتاء، والظاء، والذال، والثاء، واللام، والذال. وتُدغَم هي في عَشرة أصوات: التاء، والثاء، والجيم، والذال، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والظاء؛ بأيِّ حركة تحرَّكت الدال إلا إذا فُتِحت وقبلها ساكن فإنها لا تُدغم إلا في التاء لِلتَّجانُس.

صوت الباء :

- الباء صوت شديدٌ مجهور، مخرجه مما بين الشفتين، لا خلاف فيه بين القدامى والمحدثين، نظرا إلى وضوحه للعَيان، وانكشافه للدَّارسين.

- أُبدِلت الباء من أربعة وعشرين صوتا؛ هي: الميم، والفاء، والقاف، والكاف، والياء، والواو، والنون، واللام، والطاء، والعين، والغين، والذال، والزاي، والسين، والشين، الضاد، والهاء، والدال، والجيم، والراء، والثاء، والتاء، والحاء، والخاء.
- تُدغم الباء في مثلها، وفي الميم، وفي الفاء. ويُدغَم في الباء : الميم، الفاء على خلاف بين علماء العربية وعلماء التجويد فيهما.
- (الإقلاب) ظاهرة صوتية الباعث عليها طلب السُّهولة النُّطقِيَّة، ومعناها: إبدال النون ميما إذا وَقعت ساكنةً قبل الباء، سواءٌ كان ذلك في كلمة أو كلمتين؛ وذلك لأنه امتنع إدغامها في الباء حِفاظًا على غُنَّتها، ولبُعد المخرجين، وتعذَّر إظهارها لِشَبَهِها بأخت الباء وهي الميم. فأبدلوا مكانَها الميمَ لأنها مُؤاخِيةٌ للنُّون في الغُنَّة والجهر، ومُشارِكَةٌ للباء في المخرج.

وأختم دراستي هذه بدعوة الباحثين إلى الاعتناء بالدَّرس اللهجي العربي عموما، والجزائري على وجه الخصوص، والوقوف على خصائصه، ومُقارنته باللِّسان الفصيح، ذلك أنَّ اللَّهجات ليست ضَرَّة للفُصحى كما قد يُتوَهَّم، بل إنها امتداد تاريخي لها، ودليل على ثرائها، ووسيلة لفهم كثير مما يتعلَّق بأصواتها والظواهر اللغوية المتصلة بها، كما أنَّ دراسة اللَّهجات أداةٌ مُهِمَّةٌ للتَّقريب بين أبناء الأمَّة ومَدِّ جُسور التَّواصُل بَينهم.

مكتبة البحث

المصادر والمراجع

القرآن الكريم ؛ برواية حفص عن نافع، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية .

-أ-

01- الأحمد نكري، عبد النبي بن عبد الرسول :

✓ جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تعريب: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.1، 2000م.

02- الأزهري، خالد بن عبد الله :

✓ شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.1، 2000.

03- الأزهري، محمد بن أحمد :

✓ تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط.1، 2001.

04- الأستراباذي، حسن بن محمد :

✓ شرح شافية ابن الحاجب، تح: عبد المقصود محمد، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط.1، 2004.

05- الأستراباذي الرضي، محمد بن الحسن :

✓ شرح شافية ابن الحاجب، تح : محمد محيي الدين عبدالحميد وآخرون، دار الكتب العلمية ، لبنان، د.ط ، 1975.

06- أستيتية، سمير شريف :

✓ الأصوات اللغوية: رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل، الأردن، ط.1، 2003م.

07- الأصمعي، عبد الملك بن قريب :

✓ ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، تح: ماجد حسن الذهبي، دار الفكر، سورية، ط.1، 1986.

08- ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد :

✓ أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، سورية، ط.1، 1999.

09- أنيس، إبراهيم :

✓ الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، مصر، ط.1، 1947.

✓ الأصوات اللغوية، مصر، ط.5، 1979.

✓ في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط.4، 1973م.

10- أيوب، عبد الرحمن :

✓ محاضرات في اللغة، مطبعة المعارف، العراق، ط.1، 1966.

-ب-

11- باقر، طه :

✓ من تراثنا اللغوي القديم، المجمع العلمي العراقي، العراق، 1980.

12- باي، ماريو :

✓ أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الأردن، ط.8، 1998.

13- برجشترايسر، جوتهلف :

✓ التطور النحوي للغة العربية، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1994.

14- البركاوي، عبد الفتاح :

✓ ترتيل القرآن الكريم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ، دار الجريسي، مصر، ط.1، 2004.

15- البُستي، محمد بن حبان :

✓ التقاسيم والأنواع، تح : شعيب الأرنؤوط، ، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط.2، 1993.

16- بسّة، محمود بن علي :

✓ العميد في علم التجويد، تح: محمد الصادق قمحاوي، دار العقيدة، مصر، ط.1، 2004م.

17- بشر، كمال محمد :

✓ علم الأصوات، دار غريب، مصر، د.ط، 2000.

18- البطليوسي، عبد الله بن محمد ابن السيد :

✓ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، دار الجيل، لبنان، ط.1، 1973م.

-ت-

19- التهانوي، محمد بن علي :

✓ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تر: عبد الله الخالدي وجورج زيناني، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط.1، 1996.

-ث-

20- الثعلبي، أحمد بن محمد :

✓ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط.1، 2002.

21- الثمانيني، عمر بن ثابت :

✓ شرح التصريف، تح: إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، السعودية، ط.1، 1999.

-ج-

22- الجبوري، مَي فاضل :

✓ القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، د.ط، 2000م.

23- الجرمي، إبراهيم محمد :

✓ معجم علوم القرآن، دار القلم، سورية، ط.1، 2001.

24- الجريسي، محمد مكي :

✓ نهاية القول المفيد في علم التجويد، ط.1، مصر، 1886م.

25- ابن الجزري، محمد بن محمد :

✓ التمهيد في علم التجويد، تح: علي حسين البواب، مكتبة المعارف السعودية، ط1، 1985.

✓ شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تح: أنس مهرة، دار الكتب العلمية ، لبنان، ط.2، 2000م.

✓ النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، دار الكتبة العلمية، لبنان د.ط، د.ت.

26- الجندي، أحمد علم الدين :

✓ اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، تونس، ط.1، 1979.

27- ابن جني أبو الفتح، عثمان :

✓ الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط.4، د.ت.

✓ سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، سورية، ط1 1985.

28- الجوادي، حيدر أحمد :

✓ الجامع لقواعد التجويد في ترتيل كلام الله المجيد، السعودية، ط.1، د.ت.

29- جونستون، ت.م :

✓ دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية، تر: أحمد الضبيب، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط.2، 1983.

30- الجوهري، إسماعيل بن حماد :

✓ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، لبنان، ط4، 1987.

-ح-

31- ابن الحاجب، عثمان بن عمر :

✓ الإيضاح في شرح المفصل، تح: موسى بناي العليلي، وزارة الأوقاف، العراق، ط.1، 1982م.

✓ الشافية في علمي التصريف والخط، تح: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، مصر، ط.1، 2010م.

32- الحصري، محمود خليل :

✓ أحكام قراءة القرآن الكريم، دار البشائر الإسلامية، لبنان، د.ت.

33- الحفيان، أحمد محمود عبد السميع :

✓ الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.1، 2000.

34- الحمد، غانم قدوري :

✓ الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار، الأردن، ط2، 2007.

✓ شرح المقدمة الجزرية، معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، السعودية، ط.1، 2008.

35- الحَمَوي، ياقوت بن عبد الله :

✓ معجم البلدان، دار صادر، لبنان، ط.2، 1995.

-خ-

36- ابن خالويه، الحسين بن أحمد :

✓ إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، مصر، ط.1، 1941.

37- الخفاجي، أحمد بن محمد :

✓ عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر، لبنان، د.ط، د.ت.

38- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد :

✓ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، دار الفكر، لبنان، ط.2، 1988م.

-د-

39- الداني أبو عمرو، عثمان بن سعيد :

✓ التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، مكتبة دار الأنبار، العراق، ط.1، 1988م.

40- دُرستويه، عبد الله بن جعفر :

✓ تصحيح الفصيح، تح: عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد، العراق، ط.1، 1975.

41- ابن دُرَيد، محمد بن الحسن :

✓ جمهرة اللغة، تح : رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، لبنان، ط.1، 1987م.

42- الدمياطي، أحمد بن محمد :

✓ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تح: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.3، 2006.

43- ديكنقوز، أحمد :

✓ شرح مراح الأرواح، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط.3، 1959م.

-ذ-

44- ابن الباذِش، أحمد بن علي :

✓ الإقناع في القراءات السبع، تح: عبد المجيد قطامش، دار الفكر، سورية، ط.3، 1982م.

-ر-

45- الرافعي، مصطفى صادق :

✓ تحت راية القرآن، المكتبة العصرية، لبنان، ط.1، 2002م.

-ز-

46- الزبيدي، محمد بن الحسن :

✓ طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط.2، 1973م.

47- الزَّبيدي، محمد بن محمد :

✓ تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية مصر، د.ط، د.ت.

48- الزمخشري، محمود بن عمر :

✓ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، لبنان، ط.3، 1980.

✓ المفصل في صنعة الإعراب، تح: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، لبنان، ط1 1993.

-س-

49- سالم، صفوت محمود :

✓ فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية، دار نور المكتبات، السعودية، ط.2، 2003م.

50- سالم، محمد إبراهيم :

✓ فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات، دار البيان العربي، مصر، ط.1، 2003م.

51- السجستاني أبو داود، سليمان بن الأشعث :

✓ السنن، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، لبنان، د.ط، د.ت.

52- السحيمي، سلمان بن سالم :

✓ إبدال الحروف في اللهجات العربية، مكتبة الغرباء الأثرية، السعودية، ط.1، 1995.

53- السخاوي، علي بن محمد :

✓ جمال القراء وكمال الإقراء. تح: مروان العطيَّة ومحسن خرابة، دار المأمون للتراث ، سورية- لبنان، ط.1، 1997م.

54- ابن السراج ، محمد بن سهل :

✓ الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط.3، 1988.

55- السعران، محمود :

✓ علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار النهضة العربية، لبنان، د.ط، د.ت.

56- السكاكي، يوسف بن أبي بكر :

✓ مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.2، 1987.

57- سلوم، داود :

✓ دراسة اللهجات العربية القديمة، عالم الكتب، لبنان، ط.1، 1996.

58- السندي، عبد القيوم عبد الغفور :

✓ صفحات في علوم القراءات، المكتبة الأمدادية، السعودية، ط.1، 1985م.

59- سيبويه، عمرو بن عثمان :

✓ الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1996.

60- ابن سيده، علي بن إسماعيل :

✓ المخصص، تح: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط.1، 1996.

✓ المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 2000.

61- السيرافي، الحسن بن عبد الله :

✓ شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2008.

62- ابن سينا، الحسين بن عبد الله :

✓ أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسان الطيان ويحي مير علم، مجمع اللغة العربية، سورية، ط.1، د.ت.

63- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر :

✓ الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1974.

✓ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.1، 1998.

✓ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، ط.1، دت.

-ش-

64- الشاطبي، القاسم بن فيره :

✓ حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، تح: متولي عبد الله الفقاعي، مطبعة محمد علي صبيح، مصر، د.ت، د.ت.

65- شاهين، عبد الصبور :

✓ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، مكتبة الخانجي، مصر، ط.1، 1987م.

66- شققي، رحاب محمد مفيد :

✓ حلية التلاوة في تجويد القرآن الكريم، مكتبة روابع المكلة، السعودية، ط.2، 2008م.

67- الشنبري، حامد بن أحمد :

✓ النظام الصوتي للغة العربية: دراسة وصفية تطبيقية، مركز اللغة العربية، مصر، ط.1، 2004م.

68- الشنقيطي، أحمد بن الأمين :

✓ الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، الشركة الدولية للطباعة، مصر، ط.5، 2002.

69- الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل :

✓ المسند، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط.1، 2001م.

-ط-

70- الطبري، محمد بن جرير :

✓ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح : عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد السند حسن يمامة، دار هجر، السعودية، ط.1، 2001 م.

71- ابن الطحان، عبد العزيز بن علي :

✓ مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، تح: صالح حاتم الضامن، مكتبة الصحابة، الإمارات العربية، ط1، 2007.

-ظ-

72- ظاظا، حسن :

✓ كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار النهضة العربية، مصر، ط.1، 2002.

-ع-

73- عابدين، عبد المجيد :

✓ من أصول اللهجات العربية في السودان : دراسة مقارنة في اللهجات العربية القديمة و آثارها في السودان، مكتبة غريب، مصر، ط.1، 1966.

74- العاني، سلمان حسن :

✓ التشكيل الصوتي في اللغة العربية، تر: ياسر الملاح، السعودية، ط.1، 1983.

75- عبد التواب، رمضان :

✓ بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط.3، 1995.

✓ التطور اللغوي وقوانينه، مجلة كلية اللغة العربية بالرياض، السعودية، 1975.

✓ دراسات وتعليقات في اللغة، مكتبة الخانجي، مصر، ط.1، 1995.

✓ في قواعد الساميات (العبرية والسريانية والحبشية)، مكتبة الخانجي، مصر، ط.2، 1983.

✓ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، مصر، ط.3، 1997م.

76- ابن عصفور، علي بن مؤمن :

✓ الممتع الكبير في التصريف، مكتبة لبنان، لبنان، ط.1، 1996م.

77- ابن عطية، عبد الحق بن غالب :

✓ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.1، 2001.

78- عبد العال، عبد المنعم سيد :

✓ لهجة شمال المغرب تطوان وما حولها، دار الكتاب العربي، مصر، ط.1، 1968.

79- العكبري، عبد الله بن الحسين :

✓ اللباب في علل البناء والإعراب، تح: غازي مختار طليمات، دار الفكر، سورية ط1، 1995.

80- علوية، نعيم :

✓ بحوث لسانية، دار الفكر، لبنان، ط.1، 1984.

81- عمايره، إسماعيل أحمد :

✓ بحوث في الاستشراق واللغة، دار البشير- مؤسسة الرسالة، الأردن- سورية، ط.1، 1996م.

82- عمر، أحمد مختار :

✓ البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، مصر، ط6، 1988.

✓ دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، مصر، د.ط، 1997.

✓ معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب، مصر، ط.1، 2008.

83- عمر، تمام حسان :

✓ اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، د.ط ، 1994.

✓ مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، د.ط، دت.

84- العوفي، محمد بن محمد :

✓ الفصول المؤيدة للوصول إلى شرح المقدمة الجزرية، تح: جمال السيد رفاعي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، مصر، ط.1، 2005م.

-ف-

85- ابن فارس، أحمد بن زكرياء:

✓ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.1، 1997م.

✓ معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.

86- الفارسيّ أبو علي، الحسن بن أحمد :

✓ التعليقة على كتاب سيبويه، تح: عوض بن حمد القوزي، مكتبة الرشد، السعودية، ط.1، 1990.

87- الفراهيدي، الخليل بن أحمد :

✓ العين، تح: مهدي المخزومي (و) إبراهيم السامرّائي، دار الحريّة، بغداد 1985.

88- فندريس، جوزيف :

✓ اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1950.

89- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب :

✓ القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسُوسي وآخرون، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط.8، 2005.

90- قابل، عطية نصر :

✓ غاية المريد في علم التجويد، مصر، ط.7، د.ت.

91- القاري، علي بن سلطان :

✓ المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، تح: أسامة عطايا، دار الغوثاني، سورية، 2006.

92- القاصح العذري، علي بن عثمان :

✓ سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، تح: علي محمد الضباع، مكتبة البابي الحلبي، مصر، ط.3، 1954م.

93- القالي، إسماعيل بن القاسم :

✓ البارع في اللغة، تح: هشام الطعان، مكتبة النهضة – دار الحضارة العربية، العراق- لبنان، ط.1، 1975.

94- قدور، أحمد محمد :

✓ أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، دار الفكر، سورية، ط.1، 1998.

✓ مبادئ في اللسانيات، دار الفكر، سورية، ط.1، 1996.

95- القرالة، زيد خليل :

✓ الحركات في اللغة العربية: دراسة في التشكيل الصوتي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط.1، 2004م.

96- القرطبي، عبد الوهاب بن محمد :

✓ الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط.1، 2000.

97- القسطلاني، أحمد بن محمد :

✓ لطائف الإشارات لفنون القراءات، تح: عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر،ط1، 1972.

98- القيسي، مكي بن أبي طالب :

✓ الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، ط3، 1996.

✓ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 4، 1987 م.

-ك-

99- كانتينو، جان :

✓ دروس في علم أصوات العربية، تر: صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1966.

-ل-

100- اللغوي أبو الطيب، عبد الواحد بن علي :

✓ كتاب الإبدال، تح: عز الدين التنوخي، مجمع اللغة العربية، سورية، 1961.

-م-

101- المبرد، محمد بن يزيد :

✓ المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، لبنان، د.ط، د.ت.

102- مجموعة من الأساتذة والعلماء :

✓ الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 2002م.

103- المرصفي، عبد الفتاح السيد عجمي :

✓ هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، دار الفجر، السعودية، ط.2، 2005م.

104- المرعشي (ساج قلي زاده)، محمد بن أبي بكر :

✓ جهد المقل في تجويد القرآن العظيم، تح: سالم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط.1، 2000.

105- ابن أبي مريم، نصر بن علي :

✓ الموضح في وجوه القراءات وعللها، تح: عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، السعودية، ط.1، 1993 م.

106- المسعدي، عمر بن إبراهيم :

✓ الفوائد المسعدية في حل المقدمة الجزرية، تح: جمال السيد رفاعي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، مصر، .2005

107- مطر، عبد العزيز :

✓ الأصالة العربية في لهجات الخليج، عالم الكتب، الكويت، د.ت.

✓ خصائص اللهجة الكويتية. مطابع الرسالة، الكويت، 1969.

108- المقدسي أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل :

✓ إبراز المعاني من حرز الأماني، تح: إبراهيم عطوة عوض، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط.1، 1981.

109- ابن منظور، محمد بن مكرم :

✓ لسان العرب، دار صادر، لبنان، ط1، 1997.

-ن-

110- ناصف، حفني :

✓ مميزات لغات العرب، مصر، ط.2، د.ت.

111- النحوي أبو حيان، محمد بن يوسف :

✓ البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، لبنان، ط.1، 2000.

✓ تذكرة النحاة، تح: عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط.1، 1986.

✓ ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد ورمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1998.

112- النعيمي، حسام سعيد :

✓ أصوات العربية بين التحول والثبات، جامعة بغداد، العراق، ط.1، 1989.

113- النويري، محمد بن محمد :

✓ شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تح: مجدي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.1، 2003م.

114- النيرباني، عبد البديع :

✓ الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، سورية، ط1، 2006.

115- النيسابوري، الحسن بن محمد :

✓ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.1، 1995.

116- النيسابوري، مسلم بن الحجاج :

✓ المسند الصحيح، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ، د.ط، د.ت.

-هـ-

117- الهُذَلي أبو القاسم، يوسف بن علي :

✓ الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، تح: جمال الشايب، مؤسسة سما ، ط.1، 2007م.

118- هلال، عبد الغفار حامد :

✓ اللهجات العربية نشأة وتطورًا، مكتبة وهبة، مصر، ط.2، 1993.

-و-

119- وافي، علي عبد الواحد :

✓ علم اللغة، نهضة مصر، مصر، ط.1، 1957.

120- ابن الوجيه، عبد الله بن عبد المؤمن :

✓ الكنز في القراءات العشر، تح: خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر، ط.1، 2004م.

121- أبو الوفا، علي الله بن علي :

✓ القول السديد في علم التجويد، دار الوفاء، مصر، ط.3، 2003 م.

-ي-

122- ابن يعيش، يعيش بن علي :

✓ شرح المفصل، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط.1، 2001.

123- أبو بكر الخليفة، يوسف :

✓ أصوات القرآن كيف نتعلمها ونعلمها، مكتبة الفكر الإسلامي، مصر، ط.1، 1973.

124- رفاس، سميرة :

✓ نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، رسالة دكتوراه، سيدي بلعباس، جيلالي ليابس، 2007-2008.

125- إبراهيم، عبد الفتاح محجوب :

✓ القاف المسماة فصيحة والأخرى المسماة عامية في عربية اليوم الفصحى، مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية المحكمة، السعودية، 1996.

126- الحمد، غانم قدوري :

✓ فكرة الصوت الساذج وأثرها في الدرس الصوتي العربي، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، السعودية، 2006.

✓ مخارج حروف العربية: عددها وترتيبها بين الدرس القديم والدرس، مجلة الحكمة، السعودية، 2010.

127- حمدان، أكرم علي :

✓ الهمز بين القراء والنحاة، مجلة الجامعة الإسلامية، السعودية، 2005م.

128- أ. شاده :

✓ علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، صحيفة الجامعة المصرية، 1931.

129- شواهنة، سعيد محمد :

✓ التحققات النطقية لصوتي الكاف والقاف في الدارجة الفلسطينية، مجلة جامعة الأزهر، غزة، سلسلة العلوم الإنسانية، 2009.

130- صفية، وحيد :

✓ أشكال التبدلات الصوتية في اللغات السامية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، سورية، 2009.

131- قشاش، أحمد بن سعيد :

✓ الإبدال في لغات الأزد : دراسة صوتية في ضوء علم اللغة الحديث، مجلة الجامعة الاسلامية، السعودية، 2002م.

132- المباركي، يحي بن علي :

✓ القيمة الكمية والزمنية لصُويت القلقلة في الأداء القرآني: دراسة تطبيقية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1998.

133- معروف يحي وعبيات عاطي :

✓ الدلالة الصوتية والنحوية في اللهجة العربية الخوزستانية، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة رازي كرمنشاه، إيران، 2011.

134- شطناوي منير والعظامات حسين :

✓ المخارج النطقية للأصوات اللغوية في مدرسة التقليبات الصوتية المعجمية، مجلة جامعة دمشق، سورية، 2008.

الفهرس

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	أ

مدخل

مفهوم القلقلة

1- تعريف القلقلة.....	02
2- مرادفات لمصطلح (القلقلة)	11
3- مقابل مصطلح (القلقلة)	13
4- الطبيعة الصوتية للقلقلة.....	13
5- القيمة الصوتية للقلقلة.....	18

موضع القلقلة

1- الجهر والشدة.....	21
2- الوقف والسكون.....	23
3- التخفيف.....	30

أصوات القلقلة

1- عند القدامى.....	31
2- عند المحدثين.....	43

أداء القلقلة

1- القائلون بميلها إلى السكون.....	45
2- القائلون بميلها إلى الحركة.....	46

مراتب القلقلة

1- باعتبار مقامات الكلام.....	52

2- باعتبار صفات القوة في أصواتها..... 55
3- باعتبار المتكلمين..... 58

الفصل الأول : صوت القاف

مخرج صوت القاف

1- عند القدامى..... 61
2- عند المحدثين..... 63

صفات صوت القاف

1- صفة الجهر :..... 70
2- صفة الإطباق :..... 78

كيفية إخراج صوت القاف

1- عند القدامى..... 85
2- عند المحدثين..... 86

ظاهرة الإبدال في القاف

1- إبدال القاف كافا عربية..... 88
2- إبدال القاف كافا فارسية..... 90
3- إبدال القاف همزة..... 94
4- إبدال القاف غينا..... 96
5- إبدال القاف جيما..... 98
6- إبدال القاف صوتا مزجيا (دز) 100
7- إبدال القاف ميما..... 101
8- إبدال القاف لاما..... 102
9- إبدال القاف نونا..... 102
10- إبدال القاف هاء..... 102
11- إبدال القاف واوا..... 102

ظاهرة الإدغام في القاف

1- ما تدغم فيه القاف..... 103
2- ما يدغم في القاف..... 104

الفصل الثاني : صوت الطاء

مخرج صوت الطاء

1- عند القدامى..... 107
2- عند المحدثين..... 113

صفات صوت الطاء

1- عند القدامى..... 115
2- عند المحدثين..... 116

كيفية حدوث صوت الطاء

1- عند القدامى..... 128
2- عند المحدثين..... 129

ظاهرة الإبدال في الطاء

1- إبدال الطاء دالا..... 131
2- إبدال الطاء تاء..... 132
3- إبدال الطاء قافا..... 132
4- إبدال الطاء ضادا..... 133
5- إبدال الطاء ظاء..... 133
6- إبدال الطاء ذالا..... 134
7- إبدال الطاء كافا..... 134
8- إبدال الطاء عينا..... 134
9- إبدال الطاء غينا..... 135
10- إبدال الطاء نونا..... 135

11- إبدال الطاء لاما..... 135
12- إبدال الطاء ميما..... 135
13- إبدال الطاء فاء..... 136
14- إبدال الطاء واوا..... 136
ظاهرة الاستنطاء..... 136

ظاهرة الإدغام في الطاء

1- ما تدغم فيه الطاء..... 144
2- ما يدغم في الطاء..... 146

الفصل الثالث : صوت الجيم

مخرج صوت الجيم

1- عند القدامى..... 149
2- عند المحدثين..... 155

صفات صوت الجيم

1- عند القدامى..... 156
2- عند المحدثين..... 157

كيفية إخراج صوت الجيم

1- عند القدامى..... 167
2- عند المحدثين..... 168

ظاهرة الإبدال في الجيم

1- إبدال الجيم شينا..... 170
2- إبدال الجيم ياء..... 173
3- إبدال الجيم دالا..... 175
4- إبدال الجيم كافا..... 175
5- إبدال الجيم قافا..... 179

6- إبدال الجيم حاء..... 180
7- إبدال الجيم خاء..... 180
8- إبدال الجيم راء..... 180
9- إبدال الجيم طاء..... 181
10- إبدال الجيم لاما..... 182
11- إبدال الجيم زايا..... 182
12- إبدال الجيم سينا..... 183
13- إبدال الجيم صادا..... 183
14- إبدال الجيم ضادا..... 184
15- إبدال الجيم غينا..... 184
16- إبدال الجيم عينا..... 184
17- إبدال الجيم ظاء..... 184
18- إبدال الجيم فاء..... 185
19- إبدال الجيم ميما..... 185
20- إبدال الجيم نونا..... 185
21- إبدال الجيم هاء..... 186

ظاهرة الإدغام في الجيم

1- ما تدغم فيه الجيم..... 187
2- ما يدغم في الجيم..... 188

الفصل الرابع : صوت الدال

مخرج صوت الدال

1- عند القدامى..... 191
2- عند المحدثين..... 192

صفات صوت الدال

1- عند القدامى..... 193
2- عند المحدثين..... 194

كيفية إخراج صوت الدال

1- عند القدامى..... 195
2- عند المحدثين..... 196

ظاهرة الإبدال في الدال

1- إبدال الدال طاء..... 197
2- إبدال الدال تاء..... 198
3- إبدال الدال ذالا..... 198
4- إبدال الدال زايا..... 199
5- إبدال الدال راء..... 200
6- إبدال الدال فاء..... 200
7- إبدال الدال ميما..... 200
8- إبدال الدال لاما..... 201
9- إبدال الدال نونا..... 201
10- إبدال الدال كافا..... 202
11- إبدال الدال قافا..... 202
12- إبدال الدال عينا..... 202
13- إبدال الدال سينا..... 202
14- إبدال الدال واوا..... 203
15- إبدال الدال ياء..... 203
16- إبدال الدال ضادا..... 203
17- إبدال الدال غينا..... 203

ظاهرة الإدغام في الدال

1- ما تدغم فيه الدال..... 204
2- ما يدغم في الدال..... 207

الفصل الخامس : صوت الباء

مخرج وصفات صوت الباء

1- عند القدامى..... 210
2- عند المحدثين..... 213

كيفية إخراج صوت الباء

1- عند القدامى..... 214
2- عند المحدثين..... 215

ظاهرة الإبدال في الباء

1- إبدال الباء ميما..... 216
2- إبدال الباء فاء..... 217
3- إبدال الباء واوا..... 219
4- إبدال الباء ياء..... 219
5- إبدال الباء قافا..... 219
6- إبدال الباء نونا..... 220
7- إبدال الباء لاما..... 220
8- إبدال الباء كافا..... 221
9- إبدال الباء هاء..... 221
10- إبدال الباء راء..... 221
11- إبدال الباء ضادا..... 221
12- إبدال الباء عينا..... 222
13- إبدال الباء دالا..... 222

14- إبدال الباء ذالا..... 222
15- إبدال الباء ثاء..... 223
16- إبدال الباء جيما..... 223
17- إبدال الباء شينا..... 223
18- إبدال الباء تاء..... 224
19- إبدال الباء حاء..... 224
20- إبدال الباء سينا..... 224
21- إبدال الباء غينا..... 224
22- إبدال الباء طاء..... 225
23- إبدال الباء خاء..... 225
24- إبدال الباء زايا..... 225

ظاهرة الإدغام في الباء

1- ما تدغم فيه الباء..... 226
2- ما يدغم في الباء..... 227
ظاهرة الإقلاب..... 229

خاتمة..... 232
مكتبة البحث..... 239
فهرس الموضوعات..... 262

ملخص

"القلقلة"، إحدى الظَّواهر الصوتية التي شغلت الباحثين منذ القرن الثاني الهجري وإلى غاية الآن؛ هدفت الدراسات المتعلقة بهذه الظاهرة إلى التعرف على حقيقتها، ومراتبها، وكيفية تأديتها، والأصوات المعنية بها (مخارجها، وصفاتها، وآلية إخراجها، والتَّغييرات اللاحقة بتلك الأصوات).

وهذه الرسالة، مسترشدة بكتابات الأولين وإضافات المحدثين، حاولت الإحاطة بتلك التفاصيل، وتحليل وتقييم نتائج الدراسات السابقة، وجعلها في متناول المهتمين بالصوتيات العربية.

Résumé

"El-Qalqalah", un phénomène phonétique qui fut objet de recherche depuis le 2ème siècle de l'Hégire et jusqu'à notre temps. Les recherches concernant ce phénomène tentaient de l'identifier, savoir ses grades, sa vocalisation, ses phonèmes (leurs points d'articulation, leurs caractéristiques, leurs mécanismes, ainsi que les changements phonologiques qui subissent).

La présente thèse, éclairée par les anciens textes arabes ainsi que les études contemporaines, éstime englober tous ces détails, analyser et évaluer les résultats des études précédentes, pour qu'elles soient à la portée des intéressés à l'analyse phonétique de la langue arabe.